الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة

كليـــة الآداب و اللغـــات قسم اللغـــة العربية و آدابـــها

# التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف

## دراسة بلاغية في البيان النبوي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة

إعداد الطالـــبة: تحت إشراف :
زينب دوادي أ.د محمد بوعمامة

السنـــة الجـــامعية
1431-1432هـ/2010-2011 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و اللغات  قسم اللغة العربية و آدابها

# التشبيه المثير في الحديث النبوي الشريف

## دراسة بلاغية في تباين الأبلاي

.

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة


إعداد الطالبة:  تحت إشراف:

زينب دوادي  أ.د محمد بوعمامة


لجنة المناقشة

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ.د بشير إبرير | أستاذ التعليم العالي | جامعة عنابة | رئيسا |
| أ.د محمد بوعمامة | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة | مشرفا و مقررا |
| أ.د عبد المجيد عيساني | أستاذ التعليم العالي | جامعة ورقلة | عضوا مناقشا |
| أ.د رشيد شعلال | أستاذ التعليم العالي | جامعة قالمة | عضوا مناقشا |
| د. الجودي مرداسي | أستاذ محاضر"أ" | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |

## شكـــر وتقديـــر

إنه لمن دواعي الشرف أن أتـــجه إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد بوعمامة بأسمى آيات الشكـــر والتقديـــر، لما لقيته مـــن تشجيـــع وإسداء التوجيهات والنصائح المثمـــرة، التي كان لهـــا الأثر الكبيـــر في إتمـــم هذا العمل، فحفظـــه الله وأبـــقاه ذخرا وسندا لخدمة العربية والبحث العلمي.

كما أسدي جزيل الشكر إلى القائميـــن هذعلى مكتبة كليـــة الآداب واللغات، وكذا كليـــة العلوم الإسلامية بجـــامعة باتنة، ومكتبة الأسد بسوريـــة ومكتبة جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقـــاهرة.

# المقدمـــة

# مقدمة

أيد الله الرسول الكريم بالكلمة معجزة الرسالة الخاتمة، وآتاه جوامع الكلم فأسر عليه الصلاة والسلام العقول قبل القلوب ببيانه وبلاغته المشرقة بنور من الله، وكان من تلك الوسائل الإبلاغية النبوية أنه أدرك صلى الله عليه وسلم أثر "التمثيل" في توجيه العقول وتربية النفوس فاحتذاه منهجا في بيانه البليغ و أجاد توظيفه بما أورده من صور تنفذ إلى أعماق الأفئدة و ألفاظ تشع نورا فتذعن لها الألباب وكلها تسليم بحقيقة الدين و توجيهاته النيرة .

والتشبيه التمثيلي شكل من أشكال التعبير البياني، تتجلى فيه شتى المواقف الحياتية والعواطف الإنسانية، مما يجذب المتلقي إلى سماعه و العمل بمضمونه، خاصة إذا صدر من خير الأنام محمد عليه الصلاة و السلام، و قد برز هذا الأسلوب البلاغي المتفرد في القرآن الكريم لما للتمثيل من قوة التبليغ و الإبلاغ، و كانت المهمة الأولى للنبي صلى الله عليه و سلم هي تبليغ الرسالة فاعتمد هذا اللون البياني للنفاذ إلى قلوب الناس فأبدع فيه و هو أفصح العرب، فكانت تمثيلاته عليه الصلاة و السلام ولا تزال موردا للبليغ و معينا للخطيب و حقلا خصيبا للغوي الراغب في استكناه أسرارها، و من ثم رأيت في بحثي هذا أن أستجيب لما قادتني إليه بلاغته النبوية من رغبة جامحة في تقصي جانب مضيئ من جوانبها النيرة وهو التمثيل أو تشبيه التمثيل كنوع وظف بلاغيا بشكل عام و نبويا بشكل خاص، وهذه الخصوصية منبعها و دافعها حبي لرسول الله صلى الله عليه و سلم وإعجاب ببيانه المتفرد،كما أن أطروحتي في الماجستير كانت في البلاغة القرآنية، فارتأيت أن أواصل البحث باختيار هذا الموضوع البلاغي في البيان النبوي لإعداد أطروحة الدكتوراه، بما أن الحديث النبوي أبلغ نص بعد القرآن إجماعا، فهو مبدع لفظا وتركيبا، و صورا و أخيلة و له نسقه الفريد و أسلوبه لا يضاهيه أسلوب، كماآثرت اختيار مبحث بلاغي بياني(التمثيل)،والذي لم يحظ بالدراسة والبحث الكافيين، إلا ما تناثر في ثنايا الكتب البلاغية من إشارات موجزة وتعليقات مقتضبة.

و قد خصصت التمثيل بالتتبع و التحليل في معظم أحاديث الرسول الكريم لإبراز خصائص هذا الأسلوب النبوي و محاولة الوصول إلى الأسرار البلاغية التي تنتشر دررا في سياق تعبيراته التمثيلية عليه الصلاة والسلام، والغرض من اختيار مبحث جزئي في البيان النبوي هو إعطاء الدراسة حيز من التنقيب ومن ثم الوصول إلى نتائج مضبوطة في ميدان البلاغة.

وقد حاولت إخراج هذا العمل متكاملا ثريا بالتوضيحات البيانية، معتمدة على آراء القدماء والمحدثين من البلاغيين و اللغويين و كذا المهتمين بالدرس اللغوي و البلاغي للحديث النبوي ومن ثم فإن الدراسة لو لم أضبطها بعناصر محددة لكان يمكن أن تمتد إلى مباحث أخرى، مما جعل موضوع البحث يكون أوسع مما اعتقدته بداية، بأخذ لون دقيق و شيق كالتمثيل و هذا مما يجعل إمكانية إنجازه دون صعوبات غير ممكن، إذ افتقدت بعض المراجع الحديثة التي تهتم بالبلاغة النبوية لقلتها، و إنما أكثر ما كتب حول الحديث النبوي يهتم بعلوم الحديث و ما ارتبط به من مصطلحات ونواحي ليس لها اهتمام بالذوق البلاغي و الحس الفني للحديث الشريف، و حبذا لو أني تحصلت على مراجع لدراسات حديثة حول البيان النبوي لكانت الإستفادة أكثر شمولية بالربط بين التراث والمعاصرة، وكنت أجد صعوبة في الوقوف على جميع معاني الحديث لكثرة روايات الحديث الواحد، لذلك كنت أقف على معناه بتتبع أقوال العلماء فيه لتفهم معناه و استنباط القبس البلاغي المطلوب، كما أضطر في حالات أخرى إلى تكرار الحديث في أكثر من موضع، حسب الخاصية البلاغية التي تقتضي ذلك، كما عملت وسعي على اعتماد كتب الصحاح في الحديث النبوي كصحيح البخاري و مسلم وكذا سنن أبي داود و سنن ابن ماجة و الترمذي ومسند أحمد.

و المنهج المتبع لإنجاز البحث هو المنهج التاريخي خاصة حين عرض أعلام البلاغيين و دراساتهم للتشبيه عامة و التمثيل خاصة، و قد راعيت التتبع الزمني لهم، و قد كان المنهج وصفيا حينا، وتحليليا أحيانا و ذلك حين الموازنة و إيراد علاقات التمثيل و خصائصه الفنية و آثاره النفسية وأبعاده البلاغية و الأسلوبية، وقد قام البحث على أربعة فصول، و على النحو التالي:

الفصل الأول : وتضمن تمهيدا تعريفيا للمصطلحات التي بني عليها البحث و أهمها : التشبيه عامة و التشبيه التمثيلي خاصة، وكذا الإمتداد التاريخي لهذا اللون البياني بإيراد آراء البلاغيين من القدماء و المحدثين في التشبيه و التمثيل، و بلاغة الرسول المتفردة و المتضمنة هذا البيان البديع، مبتدئة في عرضي التاريخي بأعلام البلاغة العربية وروادها كالجاحظ و أبي هلال العسكري، و ابن رشيق القيرواني، و عبد القاهر الجرجاني، و السكاكي، و القزويني، و ابن الأثير، كما اهتم المحدثون بالبلاغة النبوية ومن بينهم : مصطفى صادق الرافعي و عباس محمود العقاد و محمد رجب البيومي و عز الدين السيد و محمد لطفي الصباغ و غيرهم من الدارسين الذين تناولوا الجانب البلاغي أواللغوي في الحديث النبوي، وكل بالمنهج أو الرؤية الفنية التي ارتأها لامعة في بحر البيان النبوي، وأردفت بإيراد تعريفات وآراء موجزة لبعض اللغويين وأعلام البلاغة حول التشبيه عامة والتمثيل خاصة قصد الإيضاح وإعطاء النظرة الشاملة للموضوع.

ثم أوردت بعد هذا التجذر التاريخي تناول التشبيه والتمثيل في أشعار بعض الجاهليين وهي نماذج كانت نتاج النظرة إلى الحياة و الأحياء و تأمل للوجود و إعراب عما تجيش به النفوس من بديع التشبيهات و أجملها، و مقارنة أسلوب الشاعر الجاهلي في التوظيف للتمثيل، و أسلوب الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام المرتبط بعقيدة سمحاء تعلو بمبادئها و تتسامى بقيمها التي يؤيدها رب السماء. ثم عرضت بعض التمثيلات القرآنية كأسلوب بياني جمع بين طياته نماذج حية مستمدة من الواقع المشاهد و هذا لمخاطبة العقول و البصائر، و تمتاز هذه النماذج التمثيلية بأنها تبعث في النفوس فرحة و رغبة أو تستثير فيها الهيبة و الرهبة، لذلك فقد كانت المنبع الأول للتمثيل النبوي و القرآن الكريم قد بين مكانة البيان النبوي بقول الحق عز و علا : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون"(سورة النحل،الآية44).

وفي الفصل الثاني : أبرزت أهم الخصائص الفنية للتشبيه التمثيلي النبوي مركزة على أكثر السمات قوة في أسلوبه عليه الصلاة و السلام كالانتقاء اللفظي المناسب للمعاني، و هذا من الملكة المتفردة التي أوتيها الرسول الكريم، و بها استطاع أن يكون في أسلوبه مشوقا لمستمعيه أو قارئيه، فيكون الإقناع و الإمتاع في بلاغته الرسالية و التي لم يدخر فيها جهدا عليه الصلاة و السلام، فكانت الطبيعة مصدرا

ثرا و خصيبا بنوعيها الحية و الجامدة، فكل ما تقع عليه الحواس مما يمكن أن يفيد الفكرة و يساعد على التبليغ وظفه عليه الصلاة و السلام مما أعطى لتمثيلاته الديمومة و الخلود الفني و الفكري على حد سواء و في عرضه هذا لما يريد تعليمه للأمة، كما اقتفى أسلوب الإيجاز فالبلاغة الإيجاز دون إخلال، و التوكيد و الإيضاح كذلك دون إطالة وإطناب غير مجد لذلك فإن بلاغته عليه الصلاة والسلام وصفها الزيات في كتابه "وحي الرسالة" بقوله : "إن بلاغة الرسول من صنع الله، و ما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه و تقصر مقاييسه عن قياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، و نحن لا نعلم إنشاءه، وإنما نعلم خبره، وهل نعلم من أسرار الروض غير العطر و النضارة؟، وهل يجد الإنسان في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟"، فالبلاغة النبوية بجاذبيتها الخاصة و خصائصها الفنية هي النموذج الأعلى الذي يجب أن يحتذى .

وفي الفصل الثالث : بينت العلاقات بين التمثيل كموضوع للدراسة و الألوان البيانية التي تتصل به بصلات استكنهت أواصرها بآراء البلاغيين و عرض بعض النماذج للتمثيلات النبوية في أحاديثه عليه الصلاة و السلام، و ذلك بإيضاح علاقة التشبيه بالتمثيل، وهي أوطد العلاقات في هذا الجزء، ثم أردفت بإبراز علاقة التمثيل بالإستعارة و ما لها من دور في التأكيد على مقدرة الرسول صلى الله عليه و سلم وكفاءته في توظيف كليهما بجدارة بلاغية عالية، ثم أتبعت هذا بما يبرز كلا اللونين البيانيين و إن تباعدا قليلا، وبعدها ارتأيت أن أضيف علاقة التمثيل بالمثل، كون الأمثال النبوية قد صنفت حولها المؤلفات الكثيرة، و خلال الدراسة وجدت أن العلاقة بين هذين الفنين متداخلة ومتمازجة، و أنهيت هذا الفصل بتناول علاقة التشبيه التمثيلي بالتركيب النحوي وما للمعاني النحوية من كبير الأثر في إبراز بلاغة وجودة التمثيل وهذا تأثرا برأي عبد القاهر الجرجاني و نظريته في النظم و ربطه للمعاني النحوية بما تحققه من تميز في النص خاصة القرآني منه و بالتركيب المخصوص الذي جاءت به، كما أوضحت هذا الجزء بإيراد نماذج للحديث النبوي بدراسة بعض أساليب الشرط أو توظيف صيغ نحوية معينة دون غيرها في التمثيل النبوي و ما يؤديه ذلك الأسلوب من دور في إجادة التعبير عن المعنى المقصود.

وفي الفصل الرابع : تناولت أسرار و جماليات التمثيل في الحديث النبوي الشريف، معتمدة في ذلك على ما يجب أن نثريه في البلاغة العربية بشكل عام و البلاغة القرآنية و النبوية بالأخص، حيث أن الدراسة الجمالية الذوقية، يجب أن تستفيد اليوم من علم النفس و علم الجمال الذين تطورا في هذا العصر كثيرا، لذلك فقد خصصت الأسرار النفسية التي استقيت آثارها بتتبع تمثيلاته البديعة عليه الصلاة السلام، وركزت على عنصرين هامين يثيران العاطفة المحبة للتبليغ الرسالي النبوي و هما : توظيف التقابل و التضاد في إيراد المعاني و الأفكار مما يحفز على سرعة الفهم عند المتلقي .وذلك كما قال الشاعر العربي :

ضدان لما استجمعا حسنا  و الضد يظهر حسنه الضد

وللرسول صلى الله عليه و سلم حكمة الأنبياء و هو الحبيب المصطفى لذلك فإنه اعتمد الترغيب والترهيب بالتحسين للشيء أو السلوك الفاضل، و تقبيح و استهجان التصرف أو الخلق السيئ وفق المبدأ الرسالي المبني على التبشير و الإنذار و هذه التمثيلات المشحونة بالتعبير الإبلاغي تحمل طاقات نفسية و انفعالية يجب أن لا نبقيها متوارية بل يجب إبرازها و تلمس مواطن الحياة والجمال فيها، لذلك دعمت الأثر النفسي بإبراز الجماليات البلاغية و الأسلوبية للتمثيل في الحديث النبوي و ذلك بإيضاح مدى مقدرته البيانية عليه الصلاة و السلام في مطابقة تمثيلاته لمقتضى الحال و هذا من أهم عناصر البلاغة بل هي البلاغة نفسها، كما أن تصويراته و صوره كان التلاؤم فيها بين طرفي الصورة بالجمع بينهما بوجه شبه قوي و مؤثر مما يعطيها الفنية و الجمالية المتوخاة، و ليبرز الفكرة عليه الصلاة و السلام استعمل أسلوبا تعبيريا شيقا يتمثل في الرسم التجريدي المعبر والخطوط القليلة الملخصة للقضايا الإنسانية الكبرى، كما أن التناسق بين الفعل و ثوابه و عقابه، وسيلة تفيض جمالا لغويا أنيقا، فتأتي الصورة المحسوسة المعبرة عن المعنويات المجردة لتثبت المعنى، و تجعله أكثر تحريكا للهمم و تذوقا للفن النبوي الأمثل لأن البلاغة النبوية اتخذت هذا المنحى القرآني للإبلاغ و التأثير، وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان، وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد وحده عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام. و قد ختمت هذا الفصل

بجدول توضيحي لأهم التمثيلات النبوية المجردة و الحسية معتمدة في ذلك على ما ورد في الصحيحين (البخاري و مسلم).

وإذا كان الفضل يذكر لأهله فيشكرون، فإنه من الواجب أن أشكر الله تعالى على توفيقه لي ثم أتقدم بالشكر و التقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور :محمد بوعمامة الذي كان لي خير مرشد ببذل التوجيه السخي، وقبول الحوار الجاد برحابة صدر و دماثة خلق، مما دعاني إلى المضي في الإستزادة المعرفية لتحقيق المراد، كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إتمام هذا العمل.

و أرجو أن تحظى هذه الدراسة بمكان ضمن بحوث البلاغة النبوية، و يبقى هذا الميدان المعرفي بحاجة إلى استكناه أسراره و استدرار كنوزه، بدراسات أخرى، و أتوجه إلى السادة المناقشين بخالص الشكر و التقدير.

# الفصل الأول:

## -تعريف التشبيه والتمثيل وعرض الجهود البلاغية حولهما.

1- تعريف التشبيه : لغة و اصطلاحا .

2- العرض التاريخي لآراء البلاغيين :

أ – القدامى.

ب – المحدثين.

3- عرض آراء موجـــــزة حول التشبيـــه و التمثيل لبعـــــض أعلام البلاغة العربية.

4-التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي.

5- التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم .

**تعريف التشبيه : لغة و اصطلاحا**

**1- التشبيه لغة** : من شبه : الشبه الشبه و الشبيه: المثل و الجمع أشباه، وأشبه الشئ الشئ ماثله والتشبيه التمثيل [1].

وفي مختار الصحاح في مادة شبه وشبه لغتان بمعنى يقال هذا شبهه أي شبيهه وبينهما شبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات :المتماثلات، والتشبيه التمثيل [2]

وفي معجم المصطلحات البلاغية ورد في تعريف التشبيه الشبه والشبيه: المثل، وأشبه الشيء الشئ : ماثله، وأشبهت فلانا وشابهته، واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل، أي أن اللغويين لم يفرقوا بين المصطلحين التشبيه والتمثيل و إلى ذلك ذهب الزمخشري و إبن الأثير، وعللوا ذلك أنه لا فرق بينهما في أصل الوضع اللغوي[3]

فالمعاجم اللغوية تتفق -في الأغلب- على أن التشبيه هو التمثيل، فالشبه والشبه والشبيه: المثل والمثل والمثيل .

**2- التشبيه اصطلاحا** :هو مشاركة أمر لآخر في المعنى [4]، و"التشبيه دلالة على مشاركة أمر لآخر في وصف جامع بأداة من أدواته وهي الكاف و كأن ومثل ونحوها".[5]

ويكون التشبيه بأدوات معلومة كقولك :العلم كالنور في الهداية فالعلم هو المشبه و الهداية مشبه به ووجه الشبه هو النور وأداة التشبيه هي الكاف.

والتشبيه هو صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر[6]

---

(1)- ابن منظور لسان العرب المجلد الثالث عشر دار صادر بيروت ص 503.

(2)-محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح،ضبط و تخريج و تعليق د.مصطفى ديب البغا ، دار الهدى الجزائر ،ص214

(3)- أحمد مطلوب معصم المصطلحات البلاغية الجزء الثاني مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1406 هـ 1986م ص166

(4)- الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة . دار الجيل بيروت لبنان ص 121.

(5)- محمد سليمان عبد الله الأشقر،معجم علوم اللغة العربية،مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الأولى،1422ه2001م.ص125.

(6)- يوسف أبو العدوس التشبيه لاستعارة منظور مستأنف دار المسيرة، الأردن الطبعة الأولى 2007م 1427هـ ص 15.

وقد تعددت تعريفات علماء البلاغة للتشبيه إلا أن مؤداها يشير إلى أنه عقد مشاركة بين شيئين في صفة مشتركه بأداة مذكورة أو مقدرة لغرض يقصده المتكلم أو الأديب عندما يريد إبراز وصف شيء ما يعمد إلى اختيار شيء آخر تكون الصفة فيه ظاهرة وبارزة فيجعله مشبها به، ويأتي الجمال فيما ينقل من الصورة الكامنة وحسن الاختيار للطرف الثاني (المشبه به) وما ينتج من وجه الشبه من دلالة على قوة النفاد إلى عمق الشيء .

- وأركان التشبيه أربعة هي المشبه والمشبه به وهما طرفا التشبيه، و أداة التشبيه ووجه الشبه ركنان فقط، والفرق بين الركن والطرف أن الطرف عنصر أساس في آلية التشبيه ولا يمكن الاستغناء عنه في هذا اللون البياني، بينما الركن عنصر ثانوي ويمكن حذفه أو تقديره.

-وطرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) "إما حسيان أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة نحو: أنت كالشمس في الضياء.

وإما عقليان أي مدركان بالعقل نحو العلم كالحياة ونحو الضلال عن الحق كالعمى ونحو الجهل كالموت.

وإما المشبه حسي والمشبه به عقلي نحو: طبيب السوء كالموت.

وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي نحو العلم كالنور [1].

وبعد أن استقرت علوم البلاغة على ما هي عليه، نحا البلاغيون منحى الأجمال وضبط المصطلحات وكذا اختصار التقسيمات وفق ما يتناسب وطبيعة الفن البياني أو البديعي المتطرق إليه ومن أهم تقسيمات التشبيه أنه يقسم : - من حيث طرفاه .

-و من حيث الأداة.

-ومن حيث وجه الشبه.

[1] - السيد أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع مكتبة دار الباز دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص 201 -202.

**أولا: تقسيم التشبيه من حيث طرفاه :**

1 - **طرفا التشبه قد يكونان مفردين :** كتشبيه الحسناء بالشمس، وقد يكونان مقيدين، وقد يكون أحدهما مقيدا والأخر مفردا،والقيد قد يكون شبه جملة أو حالا أو صفة, وجعلوا منه المضاف إليه[1] ,ومن الطرفين المقيدين قولهم :"الساعي في غير طائل كالراقم على الماء" و"علم لا ينفع كدواء لاينجع" و"المرأة الحسناء السيئة كخضراء الدمن" و"الولد العاق كجمر الغضا*", ولا بد من الإشارة إلى أن التشبيه المقيد سواء أكان القيد في أحد طرفيه أو في كليهما إنما الذي يكون القيد فيه ذا صلة بوجه الشبه كالأمثلة السابقة، أما إذا كان القيد ليس كذلك أي لا صلة له بوجه الشبه فإن التشبيه يعد مفردا لا مقيدا فإذا قلنا مثلا " رأيت فتاة ذات عفة وحياء كالشمس فإن هذا التشبيه لا يعد مقيدا لأن القيد (ذات عفة وحياء) لا علاقة له بوجه الشبه وقد يكون المشبه فردا والمشبه به مركبا كقوله صلى الله عليه وسلم إنما "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" [2] وكقول الخنساء :

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار[3]

2 - وقد يكون الطرفان متعددين كلاهما أو أحدهما: ولهذا صور كثيرة :

أ - قد يكون المشبه واجدا المشبه به متعددا.

ب - وقد يكون المشبه متعددا والمشبه به واحدا .

ج - وقد يكون في الكلام أكثر من تشبيه إلا أنه يؤتى بالمشبهات أولا ثم يؤتى بالأشياء المشبه بها ليقابل كل واحد بما يناسبه.

---

[1]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ( علم البيان و البديع) دار النفا ئس الطبعة الثانية عشر 1429هـ 2009م,ص55 .

*- الغضا شجر ، خشبه من أصلب أنواع الخشب وجمره يمكث طويلا لا ينطفئ ووجه الشبه ظاهر، فكما أن جمر الغضا يظل مشتعلا فكذلك عقوق الولد لوالديه يصعب أن تنطفئ حرقته في قلبيهما ،و غضى:تقول:الكريم ربما أغضى،وبين جنبيه جمر الغضا،وليل مغض:مظلم،وقد أغضى علينا الليل. المرجع نفسه ص56.وفي أساس البلاغة ص540.

[2]- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري اعتنى به: محمود بن الجميل ،مكتبة الصفا الطبعة الأولى 2003م 1424ه و الحديث برقم 2498 ، ج 11 ، ص372 .

[3]-البيت للخنساء ديوانها ص316، عن المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لإميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى1417ه 1996م ، ص209.

د- وقد يكون في الكلام أكثر من تشبيه كذلك إلا أنه يذكر مع كل مشبه المشبه به[1]

والنوع الأول الوارد ضمن القسم "أ" يطلق عليه البلاغيون تشبيه الجمع: وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه كقول الشاعر:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح[2]

أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم أو كالبرد أو كالأقاح [3] .

والنوع الوارد ضمن القسم "ب" يطلق عليه البلاغيون تشبيه "التسوية" (وهو أن يتعدد المشبه دون المشبه به) كقول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وأدمعي كاللالئ.

وتسمى كذلك للتسوية فيه بين المشبهات [4].

أما النوع الوارد ضمن القسم "ج" يطلق عليه البلاغيون التشبيه الملفوف "وذلك بذكر كل طرف مع مثله حيث يؤتى بالمشبهات أولا، ثم بالمشبهات بها كقول الشاعر:

ليل و بدر وغصن شعر ووجه وقد [5].

والنوع الوارد ضمن القسم "د" يطلق عليه البلاغيون التشبيه المفروق وذلك بجمع كل مشبه مع ما تشبه به كقول الشاعر:

النشر مسك و الوجوه دنا نيرو أطراف الأكف عنم [6].

- ومن هذا القبيل قول الشاعر:

إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

---

[1]-فضل حسن عباس البلاغة فنونها وأفنانها ص57.

[2]- البيت وارد في كتاب جواهر البلاغة ص 205.

[3]- الأقحوان: البابونج على وزن أفعلان وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه أقاحي أو أقاح مختار الصحاح ص333.

[4]- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ص205.

[5]- المرجع نفسه ص 205.

[6] - العنم : شجر لين الأغصان تشبه به بنان الجواري ، عن مختار الصحاح ، ص 295 .

فإذا أشرقت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميت

فقد شبه النفس بالرجاجة، والعلم بالسراج وحكمة الله بالزيت وسموا هذا "مفروقا" لأنه فرق بين التشبيهات فجاء كل واحد مستقلا عن صاحبه[1] .

3 - وقد يكون الطرفان مركبين، أو يكون أحدهما مركبا والأخر مفردا ومثال الحالة الأولى قول الشاعر: بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه[2]

فقد شبه الشاعر هيئة الغبار في ساحة الحرب والسيوف اللامعة لشدة القتال بهيئة الليل وفيه الكواكب أو الشهب متساقطة في جهات مختلفة , فإذا ما أردنا الفصل بين أجراء هذا التشبيه والتعريف بين عناصره كلا على حده لذهب ذلك بجمال الصورة وفنيتها، لذلك فإن التشبيه المركب تتداخل فيه مكونات الصورة التشبيهية بينما في التشبيه المتعدد يمكن الفصل بين أجرائه، كما أوردنا في الأمثلة عن الملفوف والمفروق والتسوية والجمع كما في قول الشاعر:

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق[3]

حيث شبه الشاعر النجوم اللامعة في كبد السماء بدرر منتثرة على بساط أزرق، فإذا ما قلنا كأن النجوم درر، وكأن السماء بساط أزرق كان التشبيه متعددا مقبولا، أما بالصياغة التي جاء بها البيت فإن التشبيه مركب فني متضام العناصر متين البناء.

فبلاغة الصورة حين يرد التشبيه مركبا يكون الإمتزاج و الفنية في إخراج الكلام ذي مدلولات متجددة ترسم لوحة متفردة الخطوط الألوان ومثال تشبيه المفرد بالمركب .

كقول الشاعر:

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر

---

[1]- فضل حسن عباس البلاغة فنونها وأفنانها ص61.

[2]- ورد البيت في أسرار البلاغة للجرجاني،ص151.

[3]- المرجع نفسه ص 223

فالمشبه مفرد وهي حدائق الشقيق [1*] والمشبه به مركب من الأرجوان [2]منقطا بالعنبر

أما تشبيه المركب بالمفرد فمثاله قول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء .

فالمشبه مركب من الخال في الخد والمشبه به مفرد وهو الشقيق [3]

**ثانيا: تقسيم التشبيه من حيث الأداة:**

ينقسم التشبيه من حيث الأداة إلى مرسل ومؤكد وبليغ .

–فالمرسل ما ذكرت فيه الأداة مثل حمزة كالأسد في الشجاعة ويطلق عليه كذلك التشبيه التام ومثاله كذلك قول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت [4]

– والتشبيه المؤكد: وهو الذي حذفت منه الأداة مثل حمزة أسد في الشجاعة ومثاله كذلك قول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء[5]

وهذا التشبيه المؤكد أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين *

– أما التشبيه البليغ فهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه كما في قول الشاعر:

فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار[6]

وهذا النوع من التشبيه البليغ أضيف فيه المصدر قصد تبين النوع نحو راغ روغان التغلب، تبختر تبختر الطاووس .

---

[1]الشقيق المقصود زهور شقائق النعمان الحمراء اللون، وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضا فكثر فيها ذلك النبات،عن مختار الصحاح،ص 223

[2] الأرجوان: هو شجر له نور أحمر، وكل لون يشبهه فهو أحمر، وقيل إنما كلمه فارسيه وأصلها أرغوان فهو لفظ معرب عن مختار الصحاح ص 159.

[3]– المرجع نفسه ص 218.

[4]– المرجع نفسه ص 218.

[1]– اللجين الفضة المذابة، في مادة لجن اللجين بالضم الفضة عن مختار الصحاح ص 377.

[2]– السيد أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة ،ص 218.

**رابعا: تقسيم التشبيه من حيث وجه الشبه:**

وينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى:

1 -مفصل ومجمل فالمفصل هو ما ذكر فيه وجه الشبه ووجه الشبه هو الوصف الخاص الذي يقصد به اشترك طرفي التشبيه فيه كالكرم في نحو قولنا " أحمد كحاتم في الكرم" إذن المفصل إذا ذكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه فهو مرسل مفصل مثل "هي كالشمس في الحسن " وإن ذكرت الأداة وحذفت وجه الشبه فالتشبيه مؤكد مفصل: هي شمس في الحسن.

أما إذا حذفت الأداة ووجه الشبه فلدينا التشبيه البليغ "هي شمس" و"هو أسد" ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :"...الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك،..."[1] فإذا ما جمعنا إذن بين المؤكد و لمجمل كان لدينا البليغ أي : المؤكد + المجمل = البليغ .

2 -وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى **تمثيل** وغير تمثيل :و"منه مثل الشئ بالشئ:سواه به وجعله على مثاله،والتمثيل هو التصوير والتشبيه،...والتمثيل في علم النفس فعل ذهني به تحصل المعرفة،كالإدراك الحسي والتخيل...والفرق بين التمثيل والتمثلأن التمثل هو التصور على حين أن التمثيل هو التصوير والتشبيه"[2]. وهنا أتطرق إلى التعريف اللغوي الاصطلاحي للتمثيل كمصطلح بلاغي بياني له خاصياته التي ينفرد بها ويتميز.

ففي كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي جاء في مادة "مثل" المثل الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله والمثل الحديث نفسه وأكثر ما جاء في القرآن, ومنه قوله تعالى : « **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** » [3] و« **كَمَثَلِ الْكَلْبِ** » [4]

---

[1]- صحيح مسلم ، دار ابن حزم ،بيروت ، الطبعة الأولى1423،2002م ، ورد الحديث في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ، برقم223 ص 119.

[2]- جميل صليبا المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني بيروت،لبنان ج 1 ،ص341-342.والتمثيل(القياس)raisonnement par- analogie - ص341.

[3]- سورة الجمعة الآية: 05.

[4]-سورة الأعراف الآية 176.

والمثل شبه الشيء في المثال ويقال ما لهذا مثيل ....والتمثيل تصوير الشيء كأنه ينظر إليه [1] أما في الكليات للكفوي، فقد أطلق التمثيل على التشبيه مطلقا وذكر أن كتب التفاسير مشحونه بهذا الإطلاق ولاسيما "الكشاف"، ويطلق أيضا على ما كان وجه الشبه فيه مركبا غير محقق حسا وهو مذهب الشيخ (عبد القاهر الجرحاني)، وعلى ما كان وجهه مركبا غير محقق لاحسا ولا عقلا وهو مذهب السكاكي، وعلى ما وجهه مركب محققا أم لا، وهو مذهب الجمهور [2] فقد قدم الكفوي مختلف المذاهب والآراء التي دارت حول هذا المصطلح البلاغي ومفهومه المختلف فيه بين المفسرين والبلاغيين، كما أضاف أن "ضرب المثل و أن كان عقليا جاز إطلاق اسم التمثيل عليه وأن يقال ضرب الإسم مثلا لكذا، ويقال ضرب النور مثلا للقرآن والحياة للعلم"[3]

والتمثيل من نعوت ائتلاق اللفظ بالمعنى عند "قدامه بن جعفر" وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه، ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

ألم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلـــــني بعدها في شمالكـــا

ولو أنني ما كنت هالكـــــا على خصلة من صالحات خصالكا[4]

فعدل من أن يقول في البيت الأول أنه كان عنده مقدما فلا يؤخره أو مقربا فلا يبعده، أو مجتبى فلا يجتنبه، إلى أن قال: إنه كان في يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى، ذهابا نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ أو معنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والإبداع في المقالة[5] وظف هذا التشبيه التمثيلي، وما ألا حظه في هذا البيت أنه يمكن عده كناية، خاصة مما نجده من إشارة على حد قول قدامه بن جعفر فقد أطلق لفظ اليمين والشمال وقصد بهما علوا

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين دار حياء التراث الغربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1421 هـ 2001م ص 896.

[2]- أبوا البقاء الكفوي الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المضري مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1419هـ 1998م، ص 295.

[3]- المرجع نفسه ،ص 296.

[4]- بدوي طبانة ، معجم البلاغه العربية ،منشورات جامعة طرابلس لبنان الطبعة الأولى 1397ه - 1977م ج2 ص 834.

[5]- المرجع نفسه ،ص 834.

المكانة أو عدمها وقد تداخلت بعض المصطلحات البيانية في سياقات معينة ولكنها في أقوال أخرى يمكن التمييز بينها بوضوح وجلاء، إذ يتفق بلاغيا عن د الجمهور أن التمثيل هو الذي يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من مركب ومن أمثلة ذلك قول ابن "المعتر" :

قد انقضت دولة الصيام وقد  بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره  يفتح فاه لأكل عنقود[1]

فالمشبه صورة الهلال والثريا أمامه "والثريا نجوم مجتمعه تشبه العنقود.

– والمشبه به صورة شره فاتح فاه لأكل عنقود من العنب.

– ووجه الشبه صورة شيء مقوس تتبع شيئا آخر مكونا من أجزاء صغيرة بيضاء[2] .

– ومنه كذلك قوله تعالى: «**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** »[3] .

– فالمشبه: هو حال من ينفق قليلا من المال في سبيل الله، ثم يلقى عليه جزءا جزيلا.

المشبه به: حال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة (وقد تتضاعف أضعافا كثيرة) .

وجه الشبه: صورة من يعمل قليلا بنية صادقة، وتوكل على الله وحسن ظنه به فيجنى كثيرا من المردود المادي والمعنوي في الدنيا والآخرة أو بإيجاز (من يقدم قليلا ويجني كثيرا) .

و"تشبيه التمثيل ماكان كل من طرفي التشبيه فيه هيئة منتزعة من متعدد، لم يقصد فيه أن يجعل كل جزء من المشبه به مقابلا لجزء معين من المشبه،وإنما الهيئة بكاملها مقابلة للهيئة الأخرى" [4] إذ أنه لتشبيه التمثيل وجه أخر ينتزع فيه وجه الشبه من مثل أو قصة أو نادرة كما في أمثال كليلة ودمنة

---

[1]– ابن المعتز ديوانه تحقيق : يونس أحمد الساحراني عالم الكتب بيروت 1997م ج2 ص 95.

[2]– يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ص 54.

[3]– سورة البقرة الآية 261.

[4]– محمد سليمان الأشقر، معجم علوم اللغة العربية ، ص127.

وقد يطلق على هذا النوع التشبيه المرشح، أي الذي يكاد ينسى فيه التشبيه، بينما يكثر الحديث عن المشبه به[1]

- أما التشبيه غير التمثيل فهو ما لم يكن فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، بل يكون وجه الشبه مفردا كقول الشاعر:

لاتطلبن بآلة لك رتبـــه  قلم البليغ بغير حظ مغـــــزل[2]

فوجه الشبه هناء قلة الفائدة فهو مفرد غير منتزع من مركب .

ومنه قول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء  تجتليك العيون شرقا وغربـــا

فوجه الشبه هنا الرفعة والضياء إلا أننا يمكن أن نستغني بأحدهما عن الآخر أو أن نقدم أحدهما على الآخر وهذا ممتنع في تشبيه التمثيل الذي يجب أن تكون الصورة متضامة لا تقدم فيها ولا تؤخر[3] إذن فإن التشبيه غير التمثيل بخلاف التمثيل وهو عند الجمهور مالا يكون وجهة منتزعا من متعدد وعند السكاكي ما لا يكون منتزعا منه أو يكون وصفا حقيقيا فتشبيه الثريا بالعنقود [4]المنور تمثيل عند الجمهور وليس بتمثيل عند السكاكي[5].

وتشبيه غير التمثيل عند عبد القاهر هو أن يكون وجه الشبه منه أمرا بينا بنفسه، ولا يحتاج إلى تأول وصرف عن الظاهر، لأن المشبه مشارك للمشبه به في نفس وجه الشبه وحقيقته، لا في مقتضاه ولازمه وهذا المعنى يتحقق في أمرين

---

[1]- المرجع نفسه ص 58.

[2]- سيد أحمد الهاشمي ص 214.

[3]- فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ص 79.

[4]- يقصد بيت صيفي بن الأسلت ، ومؤداه : وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى * كعنقود ملاحية حين نورا .

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبوب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. نقلا عن جواهرالبلاغة ص213، والبيت ورد ضمن المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لإميل بديع يعقوب، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1417ه 1996 م ج3 ص158.

[5]- التفتازاني ، المطول (شرح تلخيص المفتاح)، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية دار حياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1425هـ 2004م ص 554.

– الأمر الأول: أن يكون وجه الشبه حسيا، أي يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، فيكون من المبصرات، أو المسموعات، أو المشمومات أو المذوقات أو الملموسات.

– الأمر الثاني: أن يكون وجه الشبه (غرزيا طبيعيا) فإن الغرائر والطباع وإن كانت عقلية فإنها لا تدرك بالحواس لكنها تلحق بالحسيات، لأنها حقائق متقررة ثابتة، نعلمها في المشبه به، كما نعلمها في المشبه، كالشجاعة، والجبن، والكرم البخل والذكاء، والغباء وإلى غير ذلك من الكيفيات النفسية[1]

فهذا مفهوم تشبيه غير التمثيل عند عبد القاهر الجرحاني غير أن جمهور البلاغيين يرون أن غير التمثيل هو ما كان وجه التشبه فيه مفردا سواءا كان حسيا أم عقليا .

- ومن حيث المصطلح المقابل للتمثيل في اللغة الفرنسية، نجد Analogie كما يستعمل Representatif للتمثيل التصويري[2]، وفي المعجم الفلسفي، التمثيل (القياس )، في الفرنسية : Raisonnement par analogie و التمثيل والتمثل في الفرنسية والإنجليزية Representation et assimilation[3] وفي معجم علم اللغة النظري، لغة قياسية يقابلها Analogical language، وهي لغة تتبع ترتيبا ثابتا في تركيب جملها، والقياسية Analogism[4]، وتمثيلٌ Representation وهو أن يمثل رمز لغوي من نوع ما وحدة لغوية من نوع آخر، مثل تمثيل الحرف للفونيم، أو تمثيل الكلمة للشيء، و وظيفة تمثيلية Representational function وهي أن تستخدم اللغة لتصوير موقف وتمثيل الأشياء والأشخاص[5]، ' و Analogy :أن تتغير كلمة أو تركيب لغوي بتأثير الأنماط المنتظمة في اللغة

---

[1]– يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة ص 61.

[2]– عن القاموس عربي،فرنسي (لغوي – علمي ) ، إعداد مكتب الدراسات و البحوث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، الطبعة الثالثة ،1426 ه 2005م ،ص 260-261

[3]– جميل صليبا ،المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،ج 1 ، 1982 ، ص 343-341

[4]– محمد علي الخولي ،معجم علم اللغة النظري ( انجليزي – عربي ) مكتبة لبنان 1982 ،ص14.

[5]– المرجع نفسه ، ص 241.

ذاتها، وهو أحد أساليب النمو الذاتي للغة [1]، والتمثيل Alegorie: هو من حيث الكيف استعارة، والاستعارة المجتلبة من حقل دلالي ما والمنبسطة على امتداد النص تدعى تمثيلا أو استعارة مسترسلة أو متصلة [2]، وفي "المنهل" مصطلح تمثيلي تصويري (علاقة بيانية) يقابله في الفرنسية : Representatif [3]، وبالنظر إلى الترجمات السابقة الذكر فإن المصطلح الفرنسي الأقرب لمفهوم التشبيه التمثيلي : Hypotypose أو Representant analogie [4]

وحسب ما أوردته من ترجمات ومصطلحات متعددة تقابل مصطلح "التمثيل"، فإن المفهوم البلاغي العربي المتفرد بالخصوصية البلاغية كونه تشبيه مركب، ينتزع فيه وجه الشبه من متعدد، وكل مصطلح أجنبي فرنسي أو إنجليزي، يتفق مع التمثيل البلاغي في زاوية جزئية محدودة دون أن ينطبق على المفهوم الكلي الدقيق المعمول به في البلاغة العربية، وهذه ميزة العربية كلغة بيانية .

**أنواع التشبيه الأخرى:**

**1** -التشبيه الضمني : هو نوع من التشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة وإنما يلمح التشبيه ويعرف من قرينة الكلام ومضمونه، لذا سمي تشبيها ضمنيا مثاله قول أبي فراس:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر [5] .

شبه الشاعر نفسه بالبدر المنير الذي يحتاج إليه السائر ليلا ليهديه السبيل، وإن قومه يحتاجونه في حال جد الجد أي في حال الحروب والأزمات كحال احتياجنا إلى نور البدر في الظلمة الحالكة،

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 14.

[2]- عن مقال لمحمد الولي عنوانه :الاستعارة والتمثيل ، وموقعه الإلكتروني هو http //www.said bengrad.com .

[3]- سهيل إدريس ،المنهل (قاموس فرنسي – عربي) ،دار الآداب ،بيروت ،الطبعة الخامسة 1424ه 2003م ، ص 1053.

[4]- josef N.Hajjer-traité de traduction ( grammaire-Rhetorique etStylistique ) septième Edition 2002-Dar Elmachreq-Beyrouth –Liban –page 198.
« Comparaison qui rejoint la figure dite hypotypose on s, ingenie a multiplier les rapports de ressemblance entre deux images »

[5]- أبوفراس الحمداني ديوانه شرح وتقديم عباس عبد الساتر دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الخامسة 1424ه2003م ص67.

ولكن الملاحظ أن أركان التشبيه لم تظهر جلية في الكلام، وإنما فهمت من مضمونة ومنه كذلك قول المتنبي:

وأصبح شعري منهما في مكانه  وفي عنق الحسناء يستحسن العقد[1]

فالمشبه حال الشعر الذي يمدح به المستحق فيزداد بلاغة وجمالا.

المشبه به: حال العقد الثمين يزداد بهاء في عنق الحسناء، فوجه الشبه زيادة جمال الشيء بوضعه في مكانه الأنسب له ومنه قول أبي تمام[2]

لا تنكري عطل الكريم من الغنى  فالسيل حرب للمكان العالـــي

فالتشبيه الضمني هنا لم تظهر كذلك أركانه بادية بوضوح وإنما تستخلصها من مضمون قول أبي تمام في خطابة :لا تنكري ولا تتعجبي لعدم احتفاظ الكريم بالغنى والمال لأنه مثل قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقر فيها ماء السيل وإنما يترل إلى السفح، فالرجل الكريم هنا هو المشبه والمشبه به قمم الجبال ووجه الشبه:عدم احتفاظ كلا من المشبه والمشبه به بمالديه من مكاسب (ففي حالة الكريم نجد المال الوفير، وفي حالة الجبال نجد الماء الغزير).

**2** -وقول أبي تمام كذلك :

وإذا أراد الله نشر فضيلة  طويت أتاح لها لسان حسود

لولا أشتعال النار فيها جاورت  ما كان يعرف طيب عرف العود[3]

فقد شبه الإنسان الفاضل الذي يظهر فضله على لسان حسوده الذي يحاول أن ينال منه، ويطمس جميع محاسنه، فيزداد المحسود جلالا ورفعة وعلو قدر، وكلما أسرف الحسود في محاولة الضرر عاد عليه ذلك بالخير والمترلة الرفيعة ولهذا جاء الشاعر بالدليل المؤيد للفكرة في البيت الثاني لإمكان حصول المشبه، لأن العود لا يفوح ولا يظهر أثره ولا تنتشر رائحته العطرة الشذيه إلا باشتعال

---

[1]- المتنبي ، ديوانه دار صادر بيروت الطبعة الثانية2005 م ص139.

[2]- أبونمام ،ديوانه ، ضبط وشرح:الأديب شاهين عطية،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة 1424هـ 2003م ص232.

[3]-ديوان أبي تمام،ص85 ،وورد البيت في أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تعليق:محمد رشيد رضا،دار المعرفة بيروت لبنان ص100 .

النار فيه، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من ترتب النفع على محاولة الضرر في كل [1]، و في هذا يقول عبد القاهر:"انظر هل نشر المعنى تمام حلته، وأظهر المكنون من حسنه وزينته،وعطرك بعرف عوده،وأراك النضرة في عوده،وطلع عليك من مطلع سعوده،واستكمل فضله في النفس ونبله ... بمافيه من التمثيل والتصوير "[2]

ومن هنا نلاحظ أن بنية التشبيه الضمني تريكز على مبدأين أساسيين هما:

أ – لا تظهر أركان التشبيه المعروفة في التشبيه الضمني من أداة ووجه شبه ومشبه به وإنما ندرك ذلك من السياق ومضمون الكلام وهذه الظاهرة :خفاء التشبيه في التشبيه الضمني هي الخاصية التي تميزه عن غيره من التشبيهات

ب – لا يكون التشبيه الضمني إلا بين صورتين، وكل صورة لا بد من أن تكون مجسدة في جملة أو أكثر، فهولا يقع بين مشبه ومشبه به مفردين، ولعل هذا هو سبب تسميته التشبيه الجملي[3] وقد بدا التداخل أحيانا من إيرادنا لبعض النماذج من التشبيه الضمني بينه وبين التمثيل وقد جعله عبد القاهر الجرجاني فرعا منه، فعند ما يتحدث عن التمثيل يقول: "وعلى الجملة فينبغي أن نعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح مالا نجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر"[4]

والتشبيه الضمني كذلك يطلق عليه التشبيه الكنائي [5]، وإن كان التداخل يبين أن التشبيه الضمني والتمثيلي يكمن في كون كليهما يرتبط بالصورة في المشبه والمشبه به إلا أن نقطة الخلاف بينهما تتمثل في أن مدار حقيقة التمثيل ترتبط بوجه الشبه سواء أكان تمثيليا أو غير تمثيلي، أما

---

[1]– يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة يتطور مستأنف ص 53.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص100 .

[3]– يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة ( منظور مستأنف) ص 54.

[4]– المرجع نفسه ص 54 .

[5]– فضل حسن عباس البلاغة فنونها وأفنانها ص 80.

النظر في التشبيه الضمني فهو يرتبط بخفاء أركانه وكونه غير صريح وإنما يدرك ضمنيا، لذلك فإن من تعريفات التشبيه الضمني أنه: "تشبيه يلجأ فيه إلى التلميح دون التصريح،فيستنبط القصد من كامل المعنى،دون أن يوضع في صورة من صور التشبيه المعروفة،ويؤتى به لبيان أن الحكم الذي أسند إليه المشبه ممكن الوقوع"[1]

2-التشبيه المقلوب: قد يعكس التشبيه فيجعل المشبه مشبها به وبالعكس لذلك يطلق عليه التشبيه المنعكس أو المعكوس فتعود فائدته إلى المشبه به لادعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه مثل :كأن ضوء النهار جبينه، أو نحو: كأن نشر الروض حسن سيرته، وكأن الماء في الصفاء طباعه،وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل أن يوهم في الشئ هو قاصرعن نظيره في الصفة أنه زائد في استحقاقها،فيصح على موجب دعواه وشوقه إلى أن يجعل الفرع أصلا و مثاله قول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصباح كأن غرته  وجه الخليفة حين يمتدح[2]

شبه الشاعر غرة الصباح المنير بنور الشمس المتلألئ ضياء بوجه الخليفة إيهاما أن نور وجه الممدوح أتم وأظهر من غرة الصباح، وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الإفتنان والإبداع، وقد سمى "ابن جني" هذا التشبيه غلبة "الفروع على الأصول" حيث يقول:"هذا فصل من فصول العربية طريف،تجده في معاني العرب،كماتجده في معاني الأعراب،ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة[3] وسماه ابن الأثير الطرد والعكس [4].ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير قول ابن المعتز:

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا  مثل القلامة قد قدت من الظفر

---

[1]- عرفات بطرجي ،الجامع لفنون اللغة العربية والعروض مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1407هـ 1987م ، ص127.

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،ص194.

[3]- ابن حني الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، مصر ،ج1 ص 300.

[4]- ابن الأثير المثل السائر ،نهضة مصر للطباعة والنشر ج2 ص 125 .

شبه عبد الله بن المعتز الهلال بالقلامة، لأن من العادة أن تشبه القلامة بالهلال، فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه،...ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه الأصل،وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ. [1].

ومن أمثلة التشبيـــه المقلوب في القرآن قوله تعالى: **«قَالُواْ إِنَّمَـــا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا »** [2]

لقد قلب المحللون للربا التشبيه للتدليل على اعتقادهم الفاسد وعدم حرمته عندهم بل هو أصل الحلال لإلفهم له وتعاملهم به، واستفادتهم الدنيوية منه فشبهوا البيع بالربا في أنهما جائزان، ولكن الله أبطل مقالهم ذلك وقال عز وجل في آية أخرى: **«وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا »** [3] إنكارا لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه[4]

ويقرب من التشبيه المقلوب ما يسمى ب: تشبيه التفضيل وهو أن يشبه شيء بشيء لفظا أو تقريرا ثم يعدل عن التشبيه لإدعاء أن المشبه أفضل من المشبه به، و أكمل ولهذا سمي تشبيه التفضيل، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

حسبت جمالها بدرا منيـــرا وأين البدر من ذاك الجمـــال؟

فقد فضل الشاعر جمال محبوبته على البدر بتوظيف الإستفهام الإنكاري مبالغة في إظهار جمال المحبوبة الذي فاق البدر إشراقا وبهاء، ومنه قول زين الدين الرازي:

هذا النجم إلا أنه غير آفل يضئ إذا ما غابت الأنجم الزهر[5]

---

[1]- المصدر نفسه، ص126-127.

[2]- سورة البقرة الآية275 .

[3]- سورة البقرة الآية 275.

[4]- يوسف أبو العدوس (التشبيه والإستعارة) ص 59.

[5]- المرجع نفسه، ص 60.

وإنما أضفت هذا النوع من التشبيه لإيضاح أن أنواع التشبيه المتداولة بلاغيا هي: الضمني والتمثيلي والبليغ والمقلوب، وإذا ما أردت أن أربط بين التشبيه المقلوب والتمثيل لا أجد أي علاقة بينهما إلا إذا جاء التشبيه المقلوب في سياق المثل، فإنه قد يؤخذ كاستعارة تمثيله أو تمثيل يحذف فيه المشبه ويبقى على المشبه به و ذلك بالنظر إلى طرفي التشبيه على أنهما صورتان.

ويذكر عبد القاهر الجرجاني أن ما جاء على طريقة تشبيه المحسوس بالمعقول يسمى تمثيلا مقلوبا، لأنه جاء على عكس التمثيل "ما الأصل فيه قد صار فرعا والفرع أصلا "[1] وهذا النوع جاء ليفيد المبالغة كما قال ابن رشيق: "إذا كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة، كأنه أراد المبالغة،ولعله يقول أو يقول المحتج له:معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة"[2] .

وهذا الإيهام من أن الفرع صار أصلا قد اكتملت فيه صفة الأصل فكأن هذه المعنويات اشتهرت بهذه الأوصاف حتى قاربت مدار المحسوسات، لذلك فإن عبد القاهر يبني هذا النوع على التمثيل والتأويل أي التخييل المعنوي في صورة حسية ومثال ذلك قول الشاعر:

كأن النجوم بين دجاهـــا سنن لاح بينهن ابتـــداع[3]

وينبه عبد القاهر إلى أن سواد الليل يزيد النجوم ضياء وحسنا، وكذلك بطلان البدعة والشبهة يزيد السنة نصوعا وظهورا، لأن الشيء يظهر ويتميز بضده، ومن التمثيل المقلوب قول الشاعر :

ولقد ذكرتك و الزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق[4]

لكثرة ما وصف يوم البعد بالقسوة والحزن، واكتست أيامه لون السواد، ثم عطف عليه "قلب من لم يعشق "اعتقادا من الشاعر أن القلب الذي لا يدخله العشق والهيام قلب مظلم قاس وهذا نوع

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني أسرا البلاغة تعليق: محمدرشيد رضا دار المعرفة بيروت لبنان ، ص 196.

[2]- ابن رشيق ، العمدة ، دار الجيل بيروت الطبعة الخامسة 1401ه 1981م ، ج1 ، ص 288 .

[3]- عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص 196.

[4]- المصدر نفسه، ص 198.

من الوصف الذي شاع على لسان العامة في أن قلب المنافق والكافر كالليل وقد جاء في القرآن وصف الجهل، والكفر بالظلمة ووصف العلم والإيمان بالنور، قال تعالى: « **لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...** »[1]، وجاء في الحديث وصف الرسالة بالنور والبياض، قال عليه الصلاة والسلام "أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها" [2] ففي رأي عبد القاهر أن التمثيل على وجه التخييل وذلك بشرح المحسوس بالمعقول ضرب من التشبيه المقلوب أو المعكوس إذ "يذكر طريقة العكس في التمثيل لا تجئ على حدها في التشبيه الصريح، وإنما إذا سلكت فيه كان مبنيا على ضرب من التأول والتخييل، يخرج عن الظاهر خروجا يبعد عنه بعدا شديدا "، "وإذا ثبتت هذه الفروق والمقابلات بين التشبيه الصريح الواقع في العيان، وما يدركه الحس، وبين التمثيل الذي هو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشيئين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة[3]...فإذ ذاك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة، إلا أنه يراها تارة في المرآة و تارة على ظاهر الأمر، و أما في التشبيه الصريح فإنك ترى صورتين على الحقيقة، و قلب التشبيه يفيد المبالغة وهذه وظيفة من وظائف الصورة البلاغية في الأدب"[4]

ومما سبق، أخلص إلى أن التشبيه وسيلة بيانية تتميز بثرائها وتنوعها،ويمكن أن يفرد كل نوع بالدراسة والتحليل،إلا أنني قد ألمحت إلى ماتعلق بالتشبيه، والغرض في ذلك الوصول إلى مفهوم أولي للتمثيل بوصفه موضوع الدراسة.

---

[1]- سورة الحديد، الآية 09

[2]- ورد الحديث في أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ص 198.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 199.

[4]- أحمد علي دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا ، منشورات وزارة الثقافة دمشق سورية الطبعة الثانية 2000 ص276-277.

**العرض التاريخي لجهود وآراء الدارسين :**

**تمهيد:**

رسالة الأنبياء هداية البشر، وقد نزل القرآن للهدى والتقى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ومنه القاعدة العامة والقضية المجملة يشرحها النبي لأمته فيبين ما يعوزهم بيانه ويفصل ما ينقصهم تفصيله ويتوخى من الوسائل ما يكفل تمام البلاغ ليقف الجميع أمام تبصرة وعمق تحليله خاضعي العقول لأن كلامه عليه الصلاة والسلام مؤيد بنور من الله وهو القائل " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" فأحاديثه الشريفة بيان للقرآن في مضامينه الشرعية المقننة لحياة الكون وبالأخص للإنسان الذي حمل الأمانة ومن تلك الرسائل النبوية الابلاغية التي وظفها بإحكام وكان المبدع البليغ: التشبيه كوسيلة بيانية ترتبط أكثر ما ترتبط بالبلاغة العربية والرسول صلى الله عليه وسلم عربي أصيل" أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" وأخص من التشبيه: التمثيل هذا المبحث الذي يتمحور حوله موضوع الدراسة.

وقد تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة جملة من التمثيلات التي تربي النفوس وتنير العقول وتصقل الخبرات فتدارسها مما يضفي إيمانا وعلما وقربا من النورانية المنشودة.

وفيما يلي أعرض إلى النشأة التاريخية لفن التشبيه عامة وإلى التمثيل خاصة عند أعلام البلاغة العربية مركزة على آراء القدامى ثم المحدثين رابطة كل ذلك ببلاغة وبيان النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن التشبيه أداة بلاغية لتوضيح وتبيين شيء مادي أو لمعنى مجرد، والتشبيه التمثيلي أكثر الوسائل البيانية ربطا بين المجردات (المعقولات) باستعمال الملموسات (الماديات).

والبيان النبوي يضرب بسهم وافر في هذا الميدان ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة ناجحة فعالة للوصول إلى الهدف المنشود، وقدأولى أعلام البلاغة العربية هذا اللون البياني الإهتمام وسأورد فيما يلي آراءهم في التشبيه وبالأخص ما تعلق بالتمثيل.

**-البلاغيون القدامى :**

**1- الجاحظ (ت 225 هـــ):**

وهو من البلاغيين الذين توسعوا في دراسة الموضوعات البلاغية وبالأخص البيانية كما أنه " أول من جمع ما يتصل بالبلاغة من كلام سابقيه ومعاصريه وشرحه وأضاف إليه" [1] ومن المسائل البيانية التي أولاها الجاحظ عناية خاصة التشبيه ,كونه من التعبيرات البيانية التي لها دورها في التعبير الفني ,وقد وقف الجاحظ أمامه كثيرا ووضح أركانه فهو يعلق على قول الشاعر:

كأني غداة البين يوم تحملوا  لدى سمرات الحي ناقف حنظل

بقوله: " يخبر عن بكائه، ويصف درور دمعته في أثر الحمول، فشبه نفسه بناقف الحنظل"[2] وأشار إلى طرفي التشبيه في حديثه عن المشبه به، فالطرفان المشبه والمشبه به يشتركان في أمور كثيرة... ومن الواجب أن يكون للمشبه به شهرة في وجه الشبه يتميز به عن غيره من نظائره" [3] وفي هذا القول من الدقة والفنية أن الجاحظ جعل القصد في وجه الشبه ضرورة بلاغية لاكتمال التصوير وسلامته لذلك " ينبغي ألا يوهم في ذهن السامع ما يبعد عن وجه الشبه المقصود" [4].

وقد دل الجاحظ إلى هذا المفهوم بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " الناس كلهم سواء كأسنان المشط" فقد أصاب المحز بهذا التشبيه، وأعطى السامع صورة لما يقصده من عدم التفاضل بين الناس على اختلاف أجناسهم ألوانهم و لم يوهم مع ذلك- شيئا غير المقصود [5]،كما وظف الجاحظ بعض الأمثلة عن وضوح وجه الشبه

---

[1] فالبلاغة عند الفارسي :معرفة الفصل من الوصل , وعند اليوناني : تصحيح الأقسام واختيار الكلام, وعند ال رومي :حسن الإقتضاب عند البداهة و الغزارة عند الإطالة , وعند الهندي:وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة ,وعند العربي : البلاغة الإيجاز ، نقلا عن البيان العربي، لبدوي طبانه ،مكتبة الأنجلو المصرية ص 97.96

[2] الجاحظ كتاب الحيوان تحقيق: عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ج 2 ص139

[3] فوزي السيد عبد ربه عيد – المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة مصر 1983م ص 266.

[4] المرجع نفسه ص266.

[1]ورد الحديث في المرجع نفسه ،ص267.

وشهرته في بعض الأشياء مثل:القناة في التعبير عن الشدة و الإستقامة, فيقال :رجل كالقناة و فرس كالقناة , وقد قال الشاعر:

متى ما يجئ يوما إلى المال وارثي  يجد مع كف غير ملأى ولا صفر

يجد فرسا مثل القناة و صارما  حساما إذا ما هز لم يرض بالهدر

ولهذا القصد أيضا شبهت عظام المرأة بالخيزران في لينها وتمايلها ,ومن ذلك قول الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تثنت  كأن عظامها من خيزران[1]

وفضائل التشبيه كثيرة ومنها: "أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشباه عدة نحو أن يأتيك بالكمال بعد النقصان و بالنقصان بعد الكمال, وتتفرع من حالتي كماله و نقصه فروع لطيفة "[3] وقد تنبه الجاحظ إلى هذه الفضيلة , فالشيئ الواحد نوظفه في تشبيهات عدة, كالغصن , مرة ننسب إليه النضارة و كثرة الإيراق كما في قول الشاعر: [4]

رأيت الغانيات نفرن مني  نفار الوحش من رام مفيق

رأين تغيري و أردن لدنا  كغصن البان ذي الفنن الوريق

ومرة يشبه به في العري وفقدان النضارة و الجمال كقول أبي العتاهية: [5]

عريت من الشباب وكنت غضا  كما يعرى من الورق القضيب

ألاليت الشباب يعود يوما  فأخبره بما فعل المشيب

وقد وقف الجاحظ في كتابيه " البيان والتبيين" وكذا "الحيوان" طويلا أمام تشبيهات القرآن الكريم والحديث النبوي وحللها تحليلا دقيقا، ينم عن ثقافة واسعة وقدرة على الفهم والتحليل، وإن كان لفظ التشبيه كمصطلح لم يكن قد استقر بعد على الصورة التي عرفت في العصور المتأخرة لعلم البلاغة بل تراوح مدلوله عند الجاحظ بين البدل والمثل والتشبيه.

---

[2] المرجع نفسه , ص267.

[3] الجاحظ كتاب الحيوان ، ج2 ، ص 246.

[4] فوزي السيد عبد ربه عيد , المقايس البلاغية عند الجاحظ ص 269.

[5] المرجع نفسه .ص .269

أما مايرتبط بالتشبيه البسيط من جهة و بالتمثيل من جهة أخرى فإن الجاحظ يحصر البيان في التخيير أعني المثل " والإنسان لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعليم وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخيير" [1]

ونقل الجاحظ عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قوله:" كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يتسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل"[2]

ومن هذه المفاهيم الجاحظية عن التشبيه والمثل نصل إلى مفهوم تناولته البلاغة الحديثة و"التي تجعل من محور التخيير أو محور المثل المعيار الأساسي للبلاغة بل للكلام الأدبي بصفة عامة: تمديد مبدأ المشاكلة LA PROJECTION DU PRINCIPE DE SIMILARITE الذي يمتاز به محور التخيير إلى محور التأليف"[3]

ولذلك فإن المثل من أهم الأوجه البيانية التي عني بها الجاحظ واستشهد بها في شروحه البلاغية لما لها من علاقة وطيدة بالحياة الأدبية العربية " وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة و لم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع"[4]

والجاحظ يسمى التشبيه مثلا في مواضع متفرقة، فقد أطلق هذا المصطلح على قوله تعالى : « **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** » [5] .

"فيقول : قال أهل الطعن و الخلاف كيف يجوز أن يضرب المثل بشئ لم نره فنتوهمه" [6]، ويقول في موضع آخر: " وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد

---

[1] الجاحظ ، الحيوان ، ج2 ، ص 246.

[2] البيان والتبيين تحقيق:عبد السلام هارون دار الجيل بيروت لبنان ج1 ، ص 86.

[3] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند العرب ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى1986.

[4] البيان والتبيين ،ج1، ص 271.

[5] صورة الصافات الآيتان 65.64.

[6] الجاحظ ،لحيوان .ج6.ص212.

جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهته أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك "[1]

وقد أطلق الجاحظ على الآية مثلا، وهي من التشبيه الصريح بإتفاق أغلب البلاغيين لأن وجه الشبه فيه غير منتزع من متعدد، وإنما المثل يكمن في جزئية منه لا في الصياغة كلها. وهنا تظهر الوظيفة الابلاغية للتشبيه عند الجاحظ والمتمحورة في نقل الحقائق الأولى وإعادة قولبتها وفق الواقع الموافق ولذلك قالوا : " الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم" [2] لأن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال مع كل استعمال بياني أو بديعي.

وإذا ما ربطنا بين التشبيه والتمثيل كمجال بياني وبين الأحاديث النبوية الشريفة وجدنا الجاحظ يقول فيها أجود القول ويصفها أحسن الوصف: " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف... لم ينطق إلا عن ميراث حكمة... وبكلام حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة..." [3] فقد كان عليه الصلاة والسلام ولا زال إلى يوم الدين يشيع حديثه على كل لسان، وخطبه ملء الصدور والقلوب لأنه مؤيد بوحي إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد تناثرت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في مؤلفات الجاحظ كدرر زادت تحليلاته تلألؤا وعمقا وهو القائل " وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي و لم يدع لأحد ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا"[4].

---

[1] المصدر نفسه، ج4. ص39.

[2] الجاحظ. البيان و التبيين ج3 ، ص 294.

[3] المصدر نفسه ج2 ، ص 17.

[4] المصدر نفسه،ج2 .ص 15.

و قد عني الجاحظ بإيراد الشواهد دون أن يشرحها و يبين مدى دلالتها على القواعد البلاغية المحددة، لأنه في الأغلب "كان مشغولا بإيراد النماذج وقلما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي يقررها" [1].

والزاوية المقصودة في هذا العرض التاريخي والتحليلي هي إيضاح المنزلة البلاغية لتمثيلات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدى تأديتها للوظيفة الابلاغية في عهده وفي كل الازمان،كونها ترتبط برسالة دينية شمولية، والبلاغة إحدى وسائلها المؤثرة والناقلة للمضمون الرسالي على أكمل الوجوه.

و مما سبق عرضه من آراء الجاحظ فإنه لم يفرد في كتابيه "الحيوان"، "البيان و التبيين" بابا للتشبيه سواءا الصريح أو التمثيلي وإنما أوردهما ضمن شواهد بيانية وبسياقات مختلفة وتداخلت عنده المصطلحات البيانية بين التشبيه الصريح و التمثيل و الإستعارة و الكناية .

وإن مفهوم التشبيه التمثيلي عند القدماء من علماء البلاغة والنقد مفهوم عام أطلقوه على كثير من الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والكتابة والتشبيه الاصطلاحي ومن أمثالهم إلى جانب الجاحظ :

**2-قدامة بن جعفر** ( ت سنة 337 هـــ) بكتابيه نقد النثر " ونقد الشعر" الذي عمد فيهما إلى تطوير مباحث البلاغة وقد تناول المسائل البيانية كالتشبيه والإستعارة وقد عد التمثيل فرعا من ائتلاف اللفظ مع المعنى [2]، و يقول قدامة في ذلك : "وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر و الكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه و مثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

ألم تك في يمنى يديك جعلتني  فلا تجعلني بعدها في شمالكا

ولو أني أذنبت ما كنت هالكا  على خصلة من صالحات خصالكا[3]

---

[1] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، الطبعة السادسة 1983، ص56.

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص 159.

[3] المصدر نفسه ، ص160.

وإن مفهوم قدامة للتمثيل هنا غير محدد المعالم فيمكن أن نعده استعارة تمثيلية أو كناية، و إن كان هنا التمثيل جاء على سبيل المجاز فعد عنده مثلا أو تمثيلا، لأنه بهذا لا فرق عنده بين المصطلحين .

كما أن قدامة يرى أن التشبيه يقع بين شيئين بينهما إشتراك في معان تعمهما و يوصفان بها، و افتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه، و يبين أن أحسن التشبيه ما كان بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الإتحاد [1].

واستدل بقول امرئ القيس :

له أيطلا ظبي و ساقا نعامة و إرخاء سرحان و تقريب تتفل[2]

و هذا تشبيه أعضاء بأعضاء هي بعينها، و أفعال بأفعال هي هي أيضا بعينها إلا أنها من حيوان مختلف، ثم اعترض على هذا اعتراضا لطيفا حين ذكر أن مثل هذا تشبيه حسن و لكنه لا يدل على فضل الشاعر و نبوغه لأن الفضل و التقدم يكون في التشبيهات التي تلتقط الأشباه من الأمور المتباعدة [3]، ولكن قدامة يقصد إلى أن يكون الجامع بين الطرفين جامعا صحيحا بينا و أنه كلما كان وجه الشبه أوسع وأشمل لجملة من أحوال الطرفين كان ذلك أبين و أبلغ، و إن أشار قدامة بن جعفر إلى مصطلح التمثيل إلا أنه تداخل كذلك مع مصطلحات بيانية أخرى.

ومثل له بأمثلة تشمل كثيرا من الألوان البلاغية.

---

[1] يوسف أبو العدوس ، التشبيه و الإستعارة (منظور مستأنف) ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى 1427ه 2007م ، ص 21.

[2] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1983 ، ص 48،وفي الشعر والشعراء ،لابن قتيبة،ص55.

[3] محمد محمد أبو موسى ، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، مكتبة وهبة القاهرة مصر ، الطبعة السادسة ، 1427 ه 2006م ، ص 127 .

**3 -أبو هلال العسكري** (ت 395 هـــ) تحدث عن التشبيه التمثيلي تحت اسم "المماثلة" وأورد له كثيرا من الشواهد الأدبية من القرآن و الشعر والتي تشمل كثيرا من الصور البيانية كالتشبيه والمجاز والاستعارة و الكناية، و ذكر أن التشبيه هو: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ... و قد جاء في الشعر و ساير الكلام بغير أداة التشبيه" [1]

وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه وهي:

1. أخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.
2. إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به.
3. إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها
4. إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوة فيها.

" وأما الطريقة المسلوكة في التشبيه، والنهج القاصد في التمثيل عند القدماء والمحدثين فتشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد والحسن بالشمس والقمر، .... وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها أعلاما...كالسمؤال في الوفاء وحاتم في السخاء والأحنف في الحلم وسحبان في البلاغة وقس في الخطابة ولقمان في الحكمة،... وهبنقة في الحمق والكسعي في الندامة ومادر في البخل...." [2]

وهذه الأمثال السائرة قوامها التشبيه بين صورة حقيقية قيلت وفق موقف أو قصة هي المورد ومشبه به وهي الصورة الحالية التي ترتبط بها وهذا ما يورد ضمن الاستعارة التمثيلية المرتكزة على التشبيه التصوري أو الصورة الكلية المتناغمة بين حال المقام ومقتضى الحال وانما وظف التشبيه لأنه " يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه

---

[1] محمد محمد أبو موسى ، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، مكتبة وهبة القاهرة مصر ، الطبعة السادسة ، 1427 ه 2006م ، ص 127 .

[2] أبو هلال العسكري الصناعتين ، ص 243.

و لم يستغن أحد منهم عنه" [1]، لذلك نلمس ذلك التنوع عند أبي هلال في التقسيمات، بالإضافة إلى التصنيف الأول فإنه قسم كذلك التشبيه إلى ثلاثة أوجه :

1 -تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون مثل تشبيه الماء بالماء، و الغراب بالغراب، ...

2 -تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر و السواد بالسواد،...

3 -تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما كتشبيه البيان بالسحر، و المعنى الذي يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك [2]

وقد استعان أبو هلال العسكري في شرحه بأجود التشبيهات في الآيات القرآنية و الأحاديث، كما تفرد عن سابقيه باستقصاء بعض التشبيهات من "كليلة و دمنة" لابن المقفع المشتملة على الحكمة و الموعظة و من هذه التشبيهات : "الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شرابا ازددت عطشا" و "لا يخفي فضل ذي العلم و إن أخفاه كالمسك يخبأ ويستر ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح" [3]، و إلى غير ذلك من الحكم، غير أنه ما يسترعي الإنتباه أن هذه الحكم من باب تصوير المعاني العقلية بصور حسية، و هذا ما يدرج تحت مصطلح : التمثيل الذي لم يوظف كذلك كمفهوم محدد في "الصناعتين" لأبي هلال وإنما تلمسنا معناه حين إيراده للشواهد التشبيهية المنضوية تحت هذا الحد، ومن الأمثلة التي أوردها العسكري قوله تعالى: « **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ** » [4]، و المعنى الذي يجمع بين طرفي التشبيه هي: الحاجة إلى المنفعة و الحسرة لما يفوت من درك الحاجة [5]

**4 -ابن رشيق القيرواني (ت 465هـ)** :من أهم كتبه "العمدة" في صناعة الشعر ونقده ويعتبر نموذجا من نماذج النقد إلا انه نقد يقوم على أسس بلاغية ومما جاء في حد التشبيه عنده :" التشبيه

---

[1] المصدر نفسه ، ص 243.

[2] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 240.

[3] المصدر نفسه ، ص 244.243.

[4] سورة الرعد ، الآية 14.

[5] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 240.

صفة الشيء بما قاربه من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه كلية لكان إياه"[1]

وقد أسهب إبن رشيق في كتابه " العمدة" في إيضاح فائدة التشبيه وأنواعه وأشار إلى مليح التشبيه وعده ضربا من الاستعارة ومثل له بأمثلة أكثرها من قبيل الكناية والتشبيه الاصطلاحي، كما عده كذلك من قبيل الإشارة، حيث ذكر " ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل" [2]

كما ذكر أن : "التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة وأخرى بالحالة والطريقة" [3] ومنه قول أبي الطيب:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه[4]

إنه إنما أراد وقوفا خارجا عن المتعارف، ففي بيت المتنبي يشبه بلاه ببلى الأطلال الدارسة ومثل حاله بصورة الشحيح البخيل الذي لا يمكن أن يتوانى في تحصيل ما يفقده وإن كان شيئا يسيرا فما بالك إذا ما ضاع منه خاتمه فإنه ولا شك لن يبرح حتى يجده، و البيت يدرج ضمن الأمثال السائرة التي يمكن إيرادها في مواقف مشابهة .

و تحدث ابن رشيق عن أقسام التشبيه و بعض أدواته و عن التشبيهات الطريفة المبتكرة، و عقد بابا سماه "المثل السائر" و رأى أن المثل السائر في كلام العرب كثير نظما و نثرا و أفضله : أوجزه و أحكمه و أصدقه[5]، كما فرق بين الإستعارة والتشبيه والتمثيل، وتميز منهج ابن رشيق في إيضاح هذا اللون البياني بالدقة والتحليل والموازنة المفضية إلى وضع الفروق الشارحة لكل نوع بياني بما يتفق وخصوصياته وإن كان تحدد مفهوم التمثيل لم تتضح معالمه الكاملة عند صاحب "العمدة"إلا أنها بدأت تبدو سائرة نحو الإيضاح خاصة وأنه قدم شواهد كثيرة وضعها تحت

---

[1] ابن رشيق العمدة ج 1 ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1401ه 1981م ، ص 286.

[2] ابن رشيق ، العمدة ، ج1، ص305.

[3] المصدر نفسه ، ص 295.

[4] المتنبي ، ديوانه ، ص 167.

[5] ابن رشيق، ، العمدة ، ج1 ، ص 280

مصطلح "التمثيل"،ومن ذلك الأحاديث النبوية، وفي ذلك يقول:" ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله:" الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة"،وقوله" المؤمن في الدنيا ضيف،ومافي يديه عارية،و الضيف مرتحل، والعارية مؤداة،و نعم الصهر القبر" [1] إلا أن ابن رشيق هنا في هذه الأحاديث قد وقع لديه التداخل بين التشبيه البليغ والتشبيه التمثيلي و الإستعارة،و لكن الأوضح عنده هو استعماله المصطلح في حالة التركيب والتعدد في التشبيه،لذلك فإننا نجده يقول:"من ضروب الإستعارة التمثيل،وهو المماثلة [2] عند بعضهم، وذلك أن تمثل شيئا بشئ فيه إشارة نحو قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل[3]

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلى وله سبعة أنصباء،و الرقيب وله ثلاثة أنصباء،فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها، فتمت له جهات الإستعارة والتمثيل[4]

وحسب رأي ابن رشيق فإن هذين اللونين البيانيين "كلاهما يخرج الأغمض إلى الأوضح ويقربان البعيد"[5]، ومما سبق فإن مفهوم ابن رشيق للتمثيل غير محدد فمرة يستعمل التشبيه البسيط ومرة الكناية ومرة الإستعارة، لذلك فإن مفهوم التشبيه التمثيلي لم يتحدد كمصطلح له أبعاده إلا عند المتأخرين من أمثال:

عبد القاهر الجرجاني و السكاكي والقزويني وابن الأثير لذلك فإني سأتطرق المحددة لمفهوم المصطلح كل حسب نظرته البلاغية،و رأيه في حد التمثيل كلون بياني.

---

[1] المصدر نفسه ،ج1 ،ص278-279.

[2] ولهذا المصطلح مفاهيم أخرى ومنها : المماثلة:فضابط المماثلة أن كل كلام كان مفتقرا إلى الجواب ،فإن جوابه يكون مماثلا،و البلاغيون نظروا إلى التماثل من خلال مفهوم المشاكلة...و أدخلوه في إطار المصاحبة والمجاورة/عن فايز القرعان ،التقابل والتماثل في القرآن الكريم(دراسة أسلوبية) عالم الكتب الحديث إربد- الأردن،الطبعة الأولى 2006م ص154و477.

[3] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ،بيروت ، 1983 ، ص 23، وابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ص42.

[4] ابن رشيق ، العمدة ،ج1 ص277.

[5] المصدر نفسه ،ج1 ص287.

5-**عبد القاهر الجرجاني( ت 471 هـ )**:وقد ظل مفهوم التمثيل عاما عند عبد القاهر حتى جاء الإمام فحدد مفهومه وفرق بينه وبين التشبيه الإصطلاحي وكشف النقاب عن بلاغته، قسم عبد القاهر الجرجاني التشبيه من حيث وجه الشبه إلى قسمين:

أحدهما: تشبيه غير تمثيل وثانيهما تشبيه تمثيل ثم أقام بينهما الحواجز الحصينة حتى لا يلتبس أحدهما بالأخر و " أعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا" [1].

ومثل لهذا النوع من التشبيه بشواهد قرآنية وأخرى شعرية ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ابن المعتز:

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله [2]

وقد شبه الحسود إذا صبر عليه وسكت عنه وترك غيظه يتردد فيه بالنار التي لا تمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد (الصورة الأولى هي صورة الحسود وحالاته النفسية العصبية التي يهلك نفسه بها، والصورة المقابلة هي صورة النار الملتهبة التي لا تمد بالحطب أو بالوقود فتبقى مرسلة ألسنتها في كل اتجاه إلى أن تنطفئ جذوتها لأنها قد منع عنها سبب الاشتعال كما منع عن الحسود سبب الراحة...).

وإذا ما أردنا أن نوجز مفهوم عبد القاهر الجرجاني للتشبيه التمثيلي فهو ما لا يكون وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى تأويل وصرف عن الظاهر لأن المشبه غير مشارك للمشبه به في حقيقة وجه الشبه الظاهري وجنسه بل في مقتضاه ولازمه فإذا قلت: ألفاظ فلان كالعسل في الحلاوة، فإن الحلاوة وجه شبه ظاهري فقط لأن المشبه به وهو العسل يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة بخلاف المشبه وهو الألفاظ فإنه لا يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة ولذا يحتاج إلى التأويل بإرادة ما تستلزمه الحلاوة من قبول النفس للشيء وحسن وقعه فيها،"وأن

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، دار المعرفة بيروت- لبنان ، ص 75.

[2] المصدر نفسه ، ص 77.

هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها، ولكن من مقتضى لها وصفة تتجدد في النفس بسببها"[1]

والخلاصة لأن التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزي سواء أكان مفردا أو مركبا، وأن التشبيه غير التمثيلي محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه حسيا أو غرزيا سواء أكان مفردا أم مركبا.

ومن أجود ما وضحه عبد القاهر عن التمثيل تأثيره في المتلقي: " إذا ما جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت في صورتها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[2]

وقد ركز عبد القاهر اهتمامه في تحليله البلاغي على تشبيهين من التشبيهات التمثيلية القرآنية وهما:قوله تعالى« **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** »[3]، وكذا قوله تعالى: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** »[4]

كما مثل لهذا اللون البياني( التمثيل) بأحاديث نبوية منها قوله عليه الصلاة والسلام:" مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضئ للناس ويحرق نفسه" [5]و كذلك في موضع آخر استشهد بقوله" الناس كإبل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة" [6] و قصده في كل ذلك بيان تميز البلاغة القرآنية والنبوية وسموقهما التعبيري باختيار الأمثل من التمثيلات لإيصال المعاني، ونظرة عبد القاهر إلى التشبيه التمثيلي نظرة متفردة ناشئة عن فكره المتعمق المتأثر بالثقافة الأصيلة وكان له في هذا المضمار السبق في توضيح الفرق بين التشبيه والتمثيل بينما لم يوضح السابقون أمثال

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص78.

[2] المصدر نفسه، ص 93.

[3] سورة الجمعة، الآية:05

[4] سورة يونس، الآية:24.

[5] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص101.

[6] المصدر نفسه ص91.

الجاحظ والعسكري والرماني الفرق بينهما وقد بسط القول فيه عبد القاهر الجرجاني وأوضح دقائقه ومن بين ما أشار إليه كذلك " جواز العكس في التشبيه دون التمثيل" [1]، لأن القلب أو العكس حسن في التشبيه البسيط وغير مقبول في التمثيل لإنكاره على الصورة الكلية.

وأيضا... فإن التمثيل يكثر فيه تشبيه المعقول بالمحسوس، وانتزاع الوجه الأول من الثاني، فلو عكس هذا كان فيه مخالفة للعقل، لأن اتصاف المعقول بوصف المحسوس إنما جاء من طريق تشبيهه به فلو عكس الأمر، لزم انتزاع وصف المحسوس من المعقول وهو تناقض، ولأن المحسوس أظهر وأقوى من المعقول فيكون الواجب قياس المعقول عليه ولا يصح العكس[2]

ونلمح من عرض عبد القاهر لأبعاد التمثيل مدى قدرته البلاغية على الموازنة والتحليل والتعليل مما يدل على دقة في الفهم وملكة في التذوق وقد تحول مفهوم التشبيه والتمثيل عنده إلى عمل عقلي ينم عن وجدان حسي وذلك بالربط الفني بين المحسوس والمعقول.

**6-السكاكي:** من أعيان رجال البلاغة في القرن السابع ومن أهم كتبه" مفتاح العلوم" والسكاكي يجئ وسطا بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والفن وأمثاله من البلغاء العاملين على إعطاء البلاغة فنيتها قبل الإهتمام بالتقسيمات والتفريعات،وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبلاغة مسلك العلوم النظرية، وفسروا اصطلاحاتهم كما يفسرون المفردات اللغوية ثم تنافسوا في الإختصار والإيجاز حتى صارت كتب البلاغة أشبه بالمعميات والألغاز[3]

ومن المباحث البيانية التي خصها السكاكي بالاهتمام التشبيه التمثيلي وهو المفهوم الذي رسخ في الدراسات اللاحقة للتمثيل ويرى السكاكي أن هذا النوع من التشبيه تكون الصورة فيه منتزعة من

---

[1] أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني(نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري)،مكتبة الخانجي القاهرة 1410ه1990م ص 266.

[2] المرجع نفسه، ص 268.

[3] عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت لبنان ص 272.

متعدد: " أعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور، خص باسم التمثيل"[1]

ومثل له بأمثلة وشواهد من الشعر والقرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: « **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ** » [2] فإن وجه تشبه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية، هو رفع الطمع إلى تمني مطلوب سبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وأنه أمر توهمي كما ترى منتزع من أمور جمة [3] وقد اعتمد السكاكي في درسه البلاغي على التقسيمات البلاغية والقواعد المقننة ولذلك فإنه قسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي فالتشبيه التمثيلي عنده ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا غير حقيقي، والتشبيه غير التمثيلي: ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ذلك، وهذا صادق بالعقلي الحقيقي والشأن فيه أن يكون مفردا وكذا العقلي غير الحقيقي إذا كان مفردا وكذا جميع الحسيات مفردة كانت أم مركبة،وإنه يطلق على وجه الشبه الأمر التصوري أو الأمر التوهمي أو الصفة غير الحقيقية، وكل هذه التقسيمات تفضي إلى مسمى واحد وهو: وجه الشبه العقلي.

وفيما يضيفه السكاكي على مفهوم التمثيل إيراد المثل ضمنه حيث يذكر أنه: " متى فشا استعمال التشبيه التمثلي على سبيل الإستعارة لا غير سمي مثلا"[4].

والملاحظ عند السكاكي في إيراده للشواهد تركيزه على الشواهد الشعرية والقرآنية بينما يكاد يخلو الكتاب من توظيف الأحاديث النبوية الشريفة لذلك فقد أوردت السكاكي في هذا المجال فقط لعلاقته بالمصطلح المختار للدراسة وهو التشبيه التمثيلي، والمنحى التعريفي الجديد الذي أضافه

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم،ضبطه وشرحه الأستاذ:نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأ ولى 1403ه1983م ص 346.

[2] البقرة: 17، 18، 19.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 347.

[4] المصدر نفسه، ص 349.

إلى مفهوم التمثيل وضرورة أن يكون مركبا، وهذا مما انفرد به السكاكي لأن التمثيل عند عبد القاهر قد يكون في المفرد،وبالتالي فكل تمثيل عندالسكاكي تمثيل عند عبد القاهر وليس العكس لانفراد عبد القاهر بالمفرد المتأول.

**7. الخطيب القزويني** : تحدث عن التشبيه بالتفصيل في كتابيه "التلخيص" و "الإيضاح" و تأثر بعبد القاهر الجرجاني و سار على نهجه و توسع في تناول التشبيه و كذا ألوان البيان الأخرى إلا أن تقسيمات القزويني للتشبيه كانت عقلية و لم يلتفت كثيرا إلى الذوق الفني و الأثر النفسي للشاهد سواء أكان من القرآن أو الحديث النبوي أو الشعر أو غيرها من الشواهد، و قد شرح كتابه "التلخيص" عدد من البلاغيين كالسبكي و التفتازاني و عبد المتعال الصعيدي و غيرهم .

وقسم القزويني التشبيه كذلك من حيث وجه الشبه إلى : تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي، فالتشبيه التمثيلي عنده: هو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد (أمرين أو أمور) وهذا يتحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد سواء أكان ذلك الوجه حسيا أم عقليا.

والتشبيه غير التمثيلي عنده: ما كان وجه الشبه منه على خلاف ذلك وهذا يتحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه مفردا سواء أكان الوجه حسيا أم عقليا.

ومثال ذلك قوله تعالى : « **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ** » [1]

فإنها عشر جمل إذا فصلت وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه ومن تمام

[1] سورة يونس ، الآية 24

القول في هذه الآية. [1]

فالخطيب القزويني إذن أطلق اسم التمثيل على ما كان الوجه فيه مركبا سواء أكان حسيا أم عقليا، وأهمل ما كان الوجه فيه مفردا عقليا غير غريزي مع أن هذا الوجه لا يمكن تحصيله والوصول إليه إلا بعد كد الذهن وإرهاق الحس لأنه يستلزم حرف اللفظ عن ظاهره وإرادة مقتضاه ولازمه، و من ثم فإن مفهومه للتمثيل يختلف عن مفهوم عبد القاهر و السكاكي، وإن كان مذهب السكاكي يعد أصلا لمذهبه، و هو بهذا يوسع معنى التمثيل فيشمل كل تشبيه مركب سواء أكان الوجه حقيقيا أو غير حقيقي، أو متأولا أو كان تشبيها مركبا حسيا بمركب حسي آخر، أو إخراج المعنوي إلى الحسي أو الحسي إلى المعنوي، و بذلك لا ينطبق على تمثيلاته تمثيل الإفراد كما عند عبد القاهر، و شرط غير الحقيقي كما عند السكاكي، و بهذا يكون مفهوم القزويني هو أوسع المفاهيم و أخفها و أيسرها لعنايته بالتركيب كقرينة هامة في التمثيل.

وهناك من علماء البلاغة من لم يفرق تماما بين التشبيه والتمثيل وأدرجهما ضمن تسوية المفهومين ومن بينهم:

**8- ابن الأثير (ت 637 ه )** صاحب" المثل السائر" الذي يقول: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به" [2] وقد أورد تصوراته للتشبيه ووضعه ضمن أربعة أقسام:

- إما تشبيه معنى بمعنى، مثل : زيد كالأسد.

-وإما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى: « **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ**» [3]

---

[1] الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة، ص 145.

[2] ابن الأثير، المثل السائر ، ص 93.

[3] سورة الصافات ، الآية 48، 49.

-و إما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى: «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ** »[1] وهذا القسم أبلغ الأقسام * الأربعة لتمثيلة المعاني الموهومة بالصور المشاهدة.

-و إما تشبيه صورة بمعنى كقول أبي تمام :

و فتكت بالمال الجزيل و بالعدا فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا – وذلك صورة مرئية بفتك الصبابة وهو فتك معنوي، وهذا القسم ألطف الأقسام الأربعة ثم قسم هذه الأنواع الأربعة[2]، إلى أقسام أربعة أخرى وهي:

1.تشبيه مفرد بمفرد.

2.تشبيه مركب بمركب.

3.تشبيه مفرد بمركب.

4.تشبيه مركب بمفرد. [3]

وما يرتبط بالتشبيه التمثيلي خاصة ما أورده ابن الأثير من قبل تشبيه المركب بالمركب في قوله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا رح لها وطعمها مر".[4]، و يعلق ابن الأثير على هذا التمثيل النبوي بقوله :" ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو متصف بصفتين هما: الإيمان والقراءة بالأترجة وهي ذات وصفين : هما الطعم والريح، وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ "[5] وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم المسلم لأن يختار من هذه التشبيهات ما يراه زيادة له في إيمانه بقربه من القرآن و العمل به و تدبره بقلب واع و عقل متفكر و تطبيق بالعمل الخالص لوجه الله تعالى.مما جاء من التشبيهات المركبة في المثل

---

[1] سورة النور: الآية 39.

[2] ابن الأثير، المثل السائر ، ج2 ، ص104،103.

[3] المصدر نفسه، ج2 ، ص 104.

[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 111.

[5] المصدر نفسه ، ص 111.

السائر التشبيهات القرآنية فما ورد منه قوله تعالى «**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ مِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**»[1]

وكذلك قوله تعالى: «**مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**» "[2]

وقد اهتم ضياء الدين بن الأثير بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه "المثل السائر" "اهتماما ينبئ عن تقديره وإكباره للأحاديث النبوية وقد دل في اختياره هذا على سعة التتبع وحسن الإهتداء لى المراد من المعاني الدقيقة في بيانه صلى الله عليه و سلم و"ابن الأثير" كغيره من المتقدمين لدراسة الأحاديث النبوية في مجال البلاغة، فإنه لم يزد عمله كما يبدو من هذه النصوص عن أمرين اثنين هما:

1. تعليقات عامة تدل على استحسانه دون دراسة أو تحليل، وقد يتعلق بكلمة موجزة جدا.
2. ملاحظات تبقى في حدود التقسيمات والتعريفات التي وضعها البلاغيون ، كالتشبيه المركب والتشبيه العقلي و الحسي وما إلى ذلك ، فقد كان يعمد إلى توظيف هذه المصطلحات والتقسيمات،حين التعقيب على آراء البلاغيين، ثم تطبيق القاعدة على نص الحديث.

---

[1] النور الآية 35.

[2] إبراهيم، الآية 18.

**آراء الدارسين المحدثين في البيان النبوي :**

**1- مصطفى صادق الرافعي** :خصص للبلاغة النبوية قسما من كتابه:" إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" أجاد فيه وأحسن وصفه بيان النبي صلى الله عليه وسلم، و قد بدأ الرافعي حديثه عن بلاغته عليه الصلاة و السلام بمقدمة لا يخطها في العربية إلا أديب كبير من أولئك الذين اشتهروا بنمط خاص من البيان، فهو يقول عن البلاغة النبوية في نسق بلاغي يتفرد به و يعرف به الرافعي دون غيره "هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، و حسرت العقول دون غايتها، لم تصنع و هي من الأحكام كأنها مصنوعة، و لم يتكلف لها و هي على السهولة بعيدة ممنوعة" [1] .

وهذا الأسلوب المتميز في وصف بلاغة البيان النبوي عند" الرافعي" راق وموغل في العمق والجدية إلا أنه لا يكون في متناول كل الباحثين الراغبين في الإستزادة من جمال أسلوب الرافعي لأنه يمتنع أحيانا عن الكل كما ذكر محمد رجب البيومي أن كلام الرافعي رائع ساحر يتضمن العديد من المعاني المتداخلة التي يحلق بها في سماء العلوية الروحية إلى حيث لاتقتنص فرائده إلا بعد كد وامتناع[2] وقد دارت دراسته للبلاغة النبوية حول محورين أساسيين هما:

- الأول:الحديث عن القدرة اللغوية الفائقة في بيانه صلى الله عليه وسلم والكشف عن أسباب ذلك ومقارنتها بقدرات العرب البيانية وربط صفاته الخلقية ببيانه صلى الله عليه وسلم.

و الثاني: حول كلامه عليه الصلاة والسلام إذ بين أهم سماته البلاغية من خلال أحاديثه الشريفة،وأهم تلك السمات أنه أوتي جوامع الكلم لأنه المؤيد بالإعجاز القرآني والنبوي،لذلك فإن الرافعي يرى "أن ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت على سبيله وان لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله محكمة الفصول... محذوفة الفضول... و كأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وانما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم"[3]

---

[1] مصطفى صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 279.

[2] محمد رجب البيومي البيان النبوي، دار الوفاء للطباعة والنشر القاهرة ، الطبعة الأولى 1407ه1987م ص332

[3] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 279.

وقد خلص إلى إجمال أسباب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه البلاغة التي وضحها في ثلاث نقاط هي: التوفيق من الله والتوقيف، وتفوقه صلى الله عليه وسلم في اللغة القرشية التي هي أفصح اللغات وأبينها ونشأته في أفصح القبائل[1]

وقد أورد الرافعي أمثلة من الأحاديث النبوية الشريفة وحدد صورها البيانية وقام بدراستها ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مات حتف أنفه"و قد روي عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنه قال: " ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمعناه يقول : " مات حتف أنفه" وما سمعتها من عربي قبله [2]

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت على سبيله وان لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله محكمة الفصول... محذوفة الفضول... و كأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وانما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم"[3]

ومثل ذلك قوله في الحرب:" الآن حمي الوطيس" والوطيس " هو التنور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صنعة الحرب فإن هذه الكلمة كل ما يقال في صنعتها، وكأنما هي نار مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلا، وكأنما هي تمثل لك دماء نارية أو نار دموية" [4]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم" لأنجشة " وكان يسير بالنساء في هوادجهن، وهو يحدو بالإبل وينشد القريض الرجز، فتنشط وتجد وتنبعث في سيرها، فتهز الهوادج وتضطرب النساء فيها اضطرابا شديدا فقال عليه الصلاة والسلام: " رويدك رفقا بالقوارير"[5]

ويختتم الرافعي دراسته ببيان الخصائص الأسلوبية للبيان النبوي فيرجعها إلى ثلاثة عناصر هي:

---

(1) فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي ، ص 68.

(2) الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، 316.

(3) المرجع نفسه، ص 279.

(4) المرجع نفسه، ص 328.

(5) المرجع نفسه ، ص 331.

-التأثير:أي أنه صلى الله عليه وسلم، ينتقي أفضل الألفاظ بنفاذه إلى جوهر اللغة وأسرار التركيب،فيصيب الهدف المنشود من الإقناع والتأثير.

-القصد و الإيجاز:أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقصر الألفاظ على ما تحتمله من المعنى دون إطالة أو إخلال.

-الإستيفاء:أي أنه عليه الصلاة والسلام لديه الإحاطة بالمعاني والقدرة على تركيب العبارات تركيبا يقتضيه الموضوع والمعنى.

وإلى جانب ذلك، فإن الأسلوب النبوي يتميز بسمو المعنى وحكمة القول ودنو المأخذ،وفصل الخطاب وهي سمات لا تكون مجتمعة إلا في الحديث النبوي.

إذن، لقد صور الرافعي بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم كما تراءت له فأجاد وقد اعتمد إبراز الطابع الأدبي للبيان النبوي ليجعل تحقق هذا الطابع دليلا على صحة النص المحمدي،إذ أن النص الحديثي لم يوظف في مختلف علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة كشاهد بينما يكون نثر الأعراب موضعا للإستشهاد، أفلا يكون حديث أفصح الخلق أهلا لذلك[1].

**2-العقاد** : من الكتاب الذين كانت لهم تأملات عميقة وتأثر واضح ببيان النبي صلى الله عليه وسلم حيث أشاد ببلاغته عليه الصلاة والسلام في مؤلفه (وعبقرية محمد) في بابي (عبقرية الراعي) وعقد فصلا آخر عنه صلى الله وسلم وعنونه بـــ (البليغ) وأوضح بلاغته وإبلاغيته حيث يقول : " أما محمد فقد كان جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه وخير من وصفه بذلك عائشة – رضي الله عنها – حيث قالت : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد [2] كسردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه" [3]

---

[1] محمد رجب البيومي، البيان النبوي ص07.

[2] يسرد: المراد، كثرة الكلام في التعبير عن المعنى.والسرد:وهو يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض،مقاييس اللغة لابن فارس،دار إحياء التراث العربي ،ط1422،1ه2001م،ص493.

[3] عباس محمود العقاد عبقرية محمد ، دار رحاب للنشر و الفنون المطبعية، الجزائر ص 26.

وإن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ... هي سمة الإبلاغ حيث يقول العقاد:"فليس أقرب من هذا الأسلوب في إبلاغ الغرض منه،لا كلفة ولا غموض ولا إغراب" [1] وهو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعا (الخطب والأدعية والوصايا،...) و لم يورد العقاد أمثلة مستفيضة عن تشبيهاته عليه الصلاة والسلام أو صورا بيانية أخرى قاصدا الشرح والتحليل وإنما اكتفى بما يظهر عبقريته عليه الصلاة والسلام في مجال فن القول البليغ وقد أجاد في وصف ذلك،حيث يقول:" "اللهم هل بلغت" هذه اللازمة التي رددها النبي في أطول خطبه الأخيرة،و هي خطبة الوداع، وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها، لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات،فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ،و ما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يجود بنفسه:" جلال ربي الرفيع فقد بلغت"و لصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي... هي سمة الإبلاغ[2]

### 3-محمد رجب البيومي:

ألف الدكتور محمد رجب البيومي كتابه " البيان النبوي" جمع فيه مجموعة أبحاث كان قد نشرها في مجلات علمية، وقد اختص أساسا بالبيان النبوي الكريم، والذي كان في الأصل رسالة دكتوراه قدمها إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وقد تناول هذا الكتاب موضوعات كثيرة تخص السنة النبوية وأدرج الصورة الفنية في مبحث خاص سماه الصور البيانية في حديث الرسول فأوضح فيه المراد من التشبيه في البلاغة المعاصرة، كما بين الصورة الجزئية والصورة الكلية ومنزلتها في الأسلوب البياني وكل ذلك في ظل الاستشهاد بالحديث النبوي. [3]

وقد ضمن كتابه القيم عن بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وصفا وتحليلا لقدرته الأدبية والخطابية،حتى أنه ذكر مثلا أن حديث المعراج كان له تأثير في الأدب العربي وكذا الأدب العالمي،فهذا المعري يؤلف "رسالة الغفران" مستلهما تحليقه في العالم الأخر من مشاهد أخبار الغيب

---

[1] محمد رجب البيومي، البيان النبوي ص07.

[2] العقاد، عبقرية محمد، ص78.

[3] فالح حمد أحمد الحمداني ، الصورة البيانية في الحديث النبوي ، ص 72.

في القرآن الكريم والسنة النبوية التي وضحت و بينت للتبليغ بالتبشير والإنذار، ويقول البيومي: "لا جرم أن مشاهد القيامة في القرآن قد صورت اليوم الآخر تصويرا لا ينفد سحره، ولكن القيام برحلة في عالم الغيب مما أبرزه حديث المعراج لأول مرة في الأدب العربي... فكان أبو العلاء أبا عذرة الرحلة الخيالية إلى الجنة والنار...رحلة رائعة محلقة في عالم الفن" [1]، وقد أشار بعض دارسي الأدب إلى أن الأديب الإيطالي "دانتي" قد ألف كوميدياه الإلهية ناقلا أو متأثرا بالمعري في رسالته الغفرانية، المنسوج فنا فردوسيا وجهنميا من الكتاب والسنة النبوية كمصدر أول لهذا الإبداع الخاضع في الآن ذاته للحقيقة والخيال المصدق لعالم الغيب.

كما فصل البيومي في إيراد الصور البيانية في الحديث النبوي وربط بين إعجاز القرآن وإبداع محمد صلى الله عليه وسلم، كما عرض آراء المؤيدين لمقدرته الأدبية من القدماء والمحدثين وفي هذا يقول:"حين تتحدث عن الصور البيانية في أدب محمد صلى الله عليه وسلم،إنما تتحدث عن لون من ألوان الإبداع النبوي،جاء على أكمل تمامه وأبهى أصباغه، وأورف ظلاله،و به ارتفع أسلوبه إلى مترلة لم يبلغها أديب في العربية" [2] و تطرق كذلك البيومي إلى الصور البيانية بما فيها من تشبيه و استعارة و كناية مرجعا جمال التشبيه مثلا إلى مدى إدراكنا مابين الطرفين من صلة صادقة تؤثر في النفس وتبتعد عن التحايل العقلي المفتعل أو الإستناد إلى المحسوسات البصرية دون مراعاة الأبعاد الروحية والتعليمية،فتصبح مجرد أقوال جامدة سرعان ما تنسى وقد استدل على ذلك بقول العقاد ومفاده:"اعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها..." [3]

وإن العقاد والبيومي كليهما استلهما الجمال العلوي و الأدب السامي من ثقافتهما النبوية ومن الملهم محمد صلى الله عليه وسلم، مما يشرف البيان العربي في كافة عصوره لأنه لباب صور حية، وإلهام مبدع، لاصنعة فيه ولاتكلف.

---

[1] محمد رجب البيومي ،البيان النبوي ص167-168.

[2] المرجع السابق ،ص229.

[3] المرجع نفسه ص230.

**4-عز الدين علي السيد:** أما الحديث النبوي من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين علي السيد فهو دراسة نقد من أوفر دراسات المحدثين توفيقا للصورة البيانية، فقد قام بتطبيق قواعد البلاغة على الحديث النبوي، فتحدث عن التشبيه والتمثيل والمجاز وغير ذلك من الوسائل الرئيسية والفرعية ومما ذكره عن التشبيه والتمثيل قوله أنهما " أداة فطرية لإظهار صورة ذهنية عند المتكلم لا يرى التعبير عنها كافيا في تصويرها في صورة أشد وضوحا، وأكمل أطرافا،يزيد قياسها بها ومطابقتها لها تقرير المعنى وتأكيد الدلالة... ولا يملك الحس والوجدان مدلوله، إلا بإخراجه هذا المخرج التصويري الذي تتعاون قوى النفس، من فكر وخيال في إحكامه وبث الحياة فيه..." [1]

وقد أورد عز الدين السيد أحاديث نبوية كثيرة حبلى بالصور التشبيهية حيث حديثه عن التشبيه والتمثيل وقد حللها تحليلا جيدا فيه استنباط عقلي أو إيماني ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما مثلي ومثلكم رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها فجعل يترعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها"[2]

فهذا الحديث النبوي الذي يحمل تمثيلا بليغا موحيا بالمعنى إذ يقرر عليه الصلاة والسلام شدة حرصه على المؤمنين ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم وهذا التشبيه التمثيلي صوره عليه الصلاة والسلام برجل استوقد نارا فشبت وأضاءت ما حوله، فجذب الضوء الفراش والجنادب وغيرها مما تغريه النار على اقتحامها، وأسرع إليها يقع فيها، فأخذ يحاول إنقاذهن بترعهن من النار فيغلبهن الحمق فيعدن إلى النار يقتحمن فيها. [3]

إنها صورة مكتملة الجوانب، نابضة بالحياة أفعالا وحركات سريعة متلاحقة، وصراعا ومغالبة بين الهوى والهدى وحرارة ولهيبا وأشعة وظلمة وتتمثل ما وراءها من نوازع متقابلة، يدفع بعضها إلى الخير المنجي، والآخر على الشر المردي.

---

[1] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، دار اقرأ بيروت الطبعة الثانية 1406ه 1986م، ص143.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، ج15 ص49-50.

[3] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 162.

وقد درس عز الدين السيد الحديث النبوي من الوجهة البلاغية،وتطرق قبل ذلك إلى أهم كتب الحديث كالمجازات النبوية للشريف الرضي،والفائق في غريب الحديث للزمخشري،وكذا كتب شروح الحديث كعمدة القارئ للإمام العيني، وغيرهم وأوضح بعد ذلك الوسائل الأسلوبية التي وظفها النبي الكريم لتبليغ الرسالة كالتشويق والتقرير و التأكيد والتكرار ثم انتقل إلى دراسة الألوان البيانية النبوية كالتشبيه و التمثيل والإستعارة وأنواع البديع مهتما في ذلك كله بالثروة النفسية في البيان الكريم حيث يقول عز الدين السيد:"لا عجب إذن أن نجد أنفسنا مع بيانه عليه السلام مأخوذين بمعانيه،مشدودين إلى أهدافه،متمثلين صورته في قلوبنا وهو يحدث،لأنه يخاطب منا القلوب قبل الأسماع،لصدور الكلام عن قلبه الرؤوف"[1]

ينتقل إحساسنا إلى حالنا وحال النبي حين قراءة أحاديثه بتأمل و تدبر فنرى أنفسنا في صراع الهدى الغالب للهدى الرحيم فمثلا ذلك الفراش الأحمق، الذي يضحي بالحياة في اندفاع قاهر، ثمنا غالبا للامح براق، فإذا اجتذبه المشفق الرؤوف إليه ضانا بحياته، غلبه الهوى على نفسه فاقتحم المهالك، فما أشقانا وما أتعسنا حين نغلب الناصح الحكيم فنقتحم في النار.

وإننا نرى بعين عقولنا المدركة للعلاقات بين الأشياء أن هذا التخيل الحسي لا يبعد كثيرا عن الحقيقة بل إنه الحقيقة ذاتها في هذا الصراع الأبدي بين الخير والشر بين عباد الله الصالحين وبين إبليس المغرر بالنفوس الضعيفة المنقادة نحو بريقه المزيف فتكون النهاية هلاكا ولا شك في الدنيا ومن ثم في الآخرة، وتتبدي لنا من خلال هذه الصورة التشبيهية التمثيلية صورة مقابلة لها وهي التصور العقلي لعدم الانصياع وراء هوى النفس مما يؤدي إلى التشبث بحبل الله ومن ثم النجاة والفوز في الدنيا ثم الآخرة بإذن الله،وقد أدى التمثيل النبوي دوره في إيصال الفكرة للراغب في التلقي ثم الإمتثال.

**5-محمد بن لطفي الصباغ** : تناول د. محمد لطفي الصباغ في كتابه " التصوير الفني في الحديث النبوي" الصورة البيانية في أحاديثه عليه الصلاة والسلام وقد خص التصوير النبوي بالتحليل وذلك

---

[1] المرجع نفسه، ص261.

بالإشارة إلى ما في أقواله الفنية من بديع الوصف وجمال الصورة المعبرة عن المعنى في دقة وشمولية وقد حلل الصباغ بعض التشبيهات الصريحة والتشبيهات التمثيلية واستوحى منها معاني نورانية كثيرة ذلك أنها : " تمتاز بالوضوح والدقة والواقعية والجدة" [1]

وأشار إلى أن نص الحديث النبوي يرتفع إلى مراتب عليا من البلاغة والبيان وبوب الصور البيانية إلى الحسية منها والمعنوية،حيث يقول:" إن في تراثنا الفكري رصيدا عظيما لم يراجعه كثيرا من الخلق، وفي مدونات السنة نصوص أدبية عالية لم تمتد إليها أيدي الدارسين... وفي بطون كتب التاريخ نصوص رائعة وقصص ومحاورات وفي كتب السيرة روائع مدهشة"[2]

ويقرر الصباغ أن النص النبوي نص أدبي والذروة من البيان ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة.

ومن الأمثلة التي أوردها الصباغ عن التشبيه التمثيلي قول الرسول عليه السلام " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة" [3] وهنا تتبدى سمات أسلوبه صلى الله عليه وسلم الذي يجمع بين الجزالة في المفردات و الوضوح في الدلالة،و إذا اقترن الوضوح بالجزالة في الكلام كان بيانا فريدا بخصائصه الأسلوبية.

الجليس يؤثر على جليسه ويتفاوت هذا التأثير قوة وضعفا ولكنه لا يتقدم، وكان التشبيه محكما إلى أبعد درجات الإحكام، فحامل المسك إما أن يحذيك و إما أن يكون تاجرا فتشتري منه فإن لم يكن هذا ولا ذلك فأنت تجد منه الريح الطيبة، ونافخ الكير أنت بين أمرين وإما أن يحرق ثوبك وجسمك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة [4] .

---

[1] محمد بن لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص 552.

[2] المرجع نفسه ص20.

[3] صحيح البخاري ، ترتيب وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي وتقديم: أحمد محمد شاكر،دار ابن الهيثم، القاهرة ،الطبعة الأولى1425ه2004م والحديث برقم2101،ص948.

[4] محمد بن لطفي الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص 553.

فلطفي الصباغ إذن قد درس التشبيه كصورة بيانية استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم لإيضاح المعاني المعبر عنها موظفا في ذلك: الوصف الحسي والموازنة الدقيقة والقصة الشيقة والإثارة المنضبطة والبعد الفكري فكانت تشبيهاته عليه الصلاة والسلام تصل إلى الغاية التبليغية من أقرب طريق وتحقق الهدف المرجو دائما.

-**دراسات بلاغية أخرى للبيان النبوي** : قامت دراسات أخرى متلمسة البحث الجاد في البيان النبوي، كدراسة فالح حمد أحمد الحمداني وعنوانها: **الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف** ، وقد ضمنها صاحبها تحليلات فنية لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وما حوته من صنوف البيان المختلفة موضحا دور التشبيه والإستعارة والكناية في التصوير البلاغي، إلى جانب كتاب آخر عنوانه" **أدب الحديث النبوي** للدكتور بكري الشيخ أمين " والذي شرح فيه وحلل نماذج للحديث النبوي واستخلص منها الأهداف والعبر دون عناية كبيرة بالجانب الفني التصويري [1]، وكتاب آخر عنوانه: "تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية" لأسعد أحمد علي والذي قدم فيه مستويات قرآنية لفهم الحديث والسنة وذكر أن " الغاية من دراسة الحديث النبوي ليست معرفة الرجال الذين اشتغلوا به قدر معرفة الحديث النبوي ذاته.... وما يضمره ذلك الحديث للبشرية من حداثة متطورة" [2]

كما تناولت بعض الدراسات اللغوية الحديث النبوي ومن بينها " **الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية** "لمحمد ضاري الحمادي وقد أشار إلى بعض التراكيب اللغوية المعتمدة على التصوير البياني. [3]

---

[1] فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع عمان الأردن الطبعة الأولى 2001 م ،ص74.

[2] أسعد أحمد علي، تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية ، ص 11.

[3] فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي، ص 78.

وقد تعرض مؤلفو هذه الكتب في أثناء شرحهم وتوضيحهم وتأويلاتهم إلى ما تنبني عليه الصور البيانية من علاقات ووسائل سواء أكانت الصور البيانية في التشبيه، أم في الإستعارة أم في الكناية أو غيرها.

وإن الدارس لبيان الحديث النبوي الشريف لابد ان يرجع إلى كتب الأمثال التي احتوت على الأمثال النبوية وللأمثال علاقة وثيقة بالدراسات البلاغية بوجه عام وبعلم البيان بوجه خاص فالأمثال في كل أمة خلاصة تجاربها ومحصول خبرتها والمرآة التي تنعكس على صفحتها عادات الأمم، و إذا كانت أمثال سائر الناس وعامتهم بهذه الصفة فلا غرابة من أن تكون أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر أهمية وأرفع مترلة وأعلى شأنا وأبلغ حكمة وأنصع بيانا وأكرم معنى، لا سيما وأن مهمته الأولى والأخيرة مهمة توضيحية وتعليمية تبليغية.

ومن الكتب التي جمعت أمثاله صلى الله عليه وسلم كتاب الأمثال في الحديث النبوي للإمام الحافظ أبي الشيخ الأصبهاني، ولقد كان "الترمذي" أول من فتح الباب لأمثال التمثيل في سننه، وتابعه فيه الحكيم الترمذي في كتابه " الأمثال من الكتاب والسنة" والرامهرمزي في كتابه " أمثال الحديث" ومن المحدثين الدكتور عبد المجيد محمود في كتابه " أمثال الحديث" مع تقدمة في علوم الحديث،أما أمثال الحديث الموجزة، فالجاحظ من أوائل من نبه إليها في " البيان والتبيين"وكذلك أورد الميداني في كتابه " مجمع الأمثال" مجموعة من الأمثال النبوية التي صارت أمثالا مؤكدا أن أول من قالها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

ومن الدراسات البيانية للأمثال في الحديث النبوي الشريف دراسة الدكتور : محمد جابر فياض العلواني في رسالته الموسوعة: **الأمثال في الحديث النبوي الشريف** التي قدمها إلى كلية الآداب في جامعة عين شمس لنيل شهادة الدكتوراه فقد درس فيها الأمثال النبوية الشريفة دراسة دقيقة ومفصلة، لا حصر لها في الدراسات القديمة والحديثة، وفي دراسته البيانية هذه قسم لنا

---

[1] الميداني ، مجمع الأمثال ج 1 ، ص 7،8.

الأمثال إلى نوعين رئيسيين: أحدهما أمثال التمثيل [1] التي جاءت صورها واضحة المعالم بارزة التقسيمات ثم درس الأمثال الموجزة أو الأمثال البلاغية.

بعد الإطلاع على الدراسات البلاغية للحديث النبوي، لاحظت أن تلك الدراسات كانت غير متخصصة بعلم البيان، وجاءت فيها بعض النظرات البيانية بشكل جزئي لا يتميز بالشمول ولا يعطي الصورة البيانية حقها من النواحي الفنية والجمالية.

وما يجدر ذكره أن المؤلف الوحيد –من القدامى–الذي خص بيان محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب خاص هو "الشريف الرضي" في كتابه " المجازات النبوية" فقد كانت محاولته أكبر محاولة في حديثه صلى الله عليه وسلم وذكره لها بأكثر من تأويل إذا احتمل السياق ذلك و رغم ذلك فإن هذه الدراسة ابتعدت عن التصوير الجمالي، و إن تناولت وسائل التصوير البياني من تشبيه واستعارة وكناية،ولا يزال هذا الحقل ميدانا خصبا لدراسات، تقدم للدارس العربي كنوز البلاغة النبوية، لتكون معينا لكل راغب في الإستزادة الأسلوبية وكذا المعرفية.

[1] المرجع نفسه، ص83.

## - عرض آراء موجزة لبعض أعلام البلاغة العربية في التشبيه والتمثيل:

– **سيبويه (180هـ)** : تطرق سيبويه للتشبيه حين تناول موضوع استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى فعلق على قوله تعالى: «**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء** »[1].

بقوله: «فلم يشبهوا بما ينعق، وإنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق المنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجار لعلم المخاطب بالمعنى»[2].

– **الفراء ( 207هـ)** : تناول الفراء بعض الآيات القرآنية، وأشار إلى ما ورد فيها من تشبيه، كقوله تعالى: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق...»، حيث " أضاف المثل إلى الذي كفروا، ثم شبههم بالراعي، و لم يقل، كالغنم والمعنى أنهم كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول صلى الله عليه وسلم، فأضيف التشبيه إلى الراعي والمعنى في المرعي... [3].

– **أبو عبيدة (210هـ)**: تحدث أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن" عن التشبيه،وذلك حين عرضه عددا من التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم إلا أنه لم يفصل القول فيها، ومن ذلك قوله تعالى: «**فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** »[4] أي كالجبل[5]،وكانت التشبيهات القرآنية من أهم أسباب تأليف الكتاب.

– **ابن قتيبة الدينوري ( 276هـ)**: خص ابن قتيبة التشبيه بفصل في كتابه: «عيون الأخبار» باسم «حسن التشبيه في الشعر» وأورد له أمثلة من الشع، كما تحدث في كتابة"الشعر والشعراء"،

---

[1]– سورة البقرة الآية: 171.

[2]– سيبويه، الكتاب ،تحقيق عبد السلام هارون دار القلم 1966 م ج1 ص 212.

[3]–الفراء،معاني القرآن، عالم الكتب،بيروت،1983ج1،ص99 ،نقلا عن :يوسف أبو العدوس ،التشبيه والإستعارة ، ص 16.

[4]– سورة الشعراء ،الآية63.

[5]– المرجع نفسه، ص 16.

عن التشبيه الحسن والقبيح، والتشبيه المعكوس وتشبيه شيئين بشيئين، والتشبيه التمثيلي، والإصابة في التشبيه، وعلق على بعض الآبيات التي احتوت على مثل هذه التشبيهات،حيث قال:" وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه كقول القائل في وصف القمر:

بدأن بنا وابن الليالي كأنه  حسام جلت عنه القيون صقيل

فمازلت أفني كل يوم شبابه  إلى أن أتتك العيس وهو ضئيل[1]

وقد علق ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" على بعض التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم إلا أن تعليقاته كانت قصيرة و لم يفرد بابا مستقلا للتشبيه[2].

ومن ثم فإن ابن قتيبة وقف عند الآتي:

1 - استعمل التمثيل مرادفا للتشبيه.

2 - التداخل بين التشبيه والإستعارة لأن المصطلحات البلاغية لم تتحدد بعد.

- **المبرد (286 هـ)**: فصل الحديث عن فن التشبيه في كتابة «الكامل» وعرفه بقوله: «واعلم أن للتشبيه حدا، لأن الأشياء تشابه عن وجوه، وتباين عن وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق ولا يراد به العظم والإحراق، وقد صنف "المبرد" التشبيه إلى أربعة أضرب: 1- تشبه مفرط، 2- تشبيه معيب، 3- تشبيه مقارب، 4- تشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير[3].

---

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء،دار صادر،بيروت،ص21.

[2]- يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، متطور مستأنف ص 17.

[3]- المرجع السابق ، ص 18.

- **ابن المعتز (296هـ)**: أشار ابن المعتز في كتاب" البديع" إلى حسن التشبيه في عدد من الأبيات الشعرية، لكنه لم يحلله أو يذكر أركانه [1]، ووقف عند ما سماه التشبيهات العجيبة وعجائب التشبيه وأحسن التشبيه[2].

- **ابن طباطبا العلوي (322هـ)**: التشبيه عند "ابن طباطبا " أول مقياس بلاغي في كتابه "عيار الشعر"، كما أنه على ضروب متنوعة منها:

أ- تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة.

ب- تشبيه الشيء بالشيء لونا وصورة.

جـ- تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة.

د- تشبيه الشيء بالشيء حركة وبطئا وسرعة.

هـ- تشبيه الشيء بالشيء لونا.

و- تشبيه الشيء بالشيء صورة و لونا وحركة وهيئة[3].

**- الرماني (386هـ)**: عرف الرماني في" النكت في إعجاز القرآن" التشبيه ورأى "أن التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل". [4]

- ثم قسم الرماني التشبيه إلى: حسي ونفسي، ثم صنفه إلى تشبيه حقيقة وتشبيه بلاغة، وقد اتسم تحليل الرماني للتشبيهات القرآنية بالعمق والدقة.

---

[1]- المرجع نفسه ص 19.

[2]- المرجع نفسه ص 20.

[3]- المرجع نفسه ص 21.

[4]- الرماني النكت(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،تحقيق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،دار المعارف ،مصر1968،ص80.

- **ابن جني ( 392 هـــ)**: أفرد ابن جنى في كتاب "الخصائص" بابا سماه غلبة الفروع على الأصول وقال: «هذا فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة»[1].

- **الشريف الرضي ( 406 هـــ)**: إن الشريف الرضي كان التداخل لديه واضحا بين أنواع الإستعارة، فيطلق المجاز على التشبيه وهذا يظهر عن خلال تعليقه على بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك، قول الرسول صلى الله وسلم: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا».

وهذا كلام من محاسن الإستعارات وبدائع المجازات، لأنه عليه السلام جعل الإسلام غريبا في أول أمره تشبيها بالرجل الغريب الذي قل أنصاره وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره ثم استقرت قواعده واشتدت معاقده وكثر أعوانه... [2].

- **ابن سنان الخفاجي**: تناول التشبيه بحديث مفصل، وذكر أن صحة التشبيه، هو أن يقال أن أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر في جميع الوجوه،والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، ... فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد،...[3].

- **ابن ناقيا البغدادي ( 485 هـــ)**: صنف كتابا مستقلا لتشبيهات القرآن كما أورد تشبيهات من الحديث النبوي الشريف وتحدث عن التشبيه وقيمته وأنواعه، فقال: التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة،وأثبت أن التشبيه القرآني لا يجاريه أي تشبيه من تشبيهات فحول الشعراء، وقد تأثر في ذلك بالباقلاني الذي وازن بين القرآن والشعر لإثبات الإعجاز القرآني[4].

---

[1]- ابن جني الخصائص،تحقيق محمد علي النجار، مصر ، ص300.

[2]- الشريف الرضي، المجازات النبوية: علق عليه: كريم سيد محمد محمود دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، ص 21.

[3]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مؤسسة العلياء 2001. ص 366.

[4]- يوسف أبو العدوس، التشبيه والإستعارة (منظور مستأنف) ص 28.

- **الزمخشري (538 هـــ)**: طريقة الزمخشري في تحليل الشبيهات الواردة في القرآن الكريم متميزة، إلا أنه لم يفرق بين التشبيه والتمثيل ورأى أن لضرب الأمثال شأنا" ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد،وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي،ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء"[1]، كما تحدث الزمخشري عن تشبيهات القرآن المركبة، ويلاحظ القارئ أن للتمثيل مدلولات كثيرة في بلاغة "الكشاف" وقد أطلقه على التشبيه والإستعارة والإستعارة التمثيلية وعلى الكناية،وجعله مرادفا للتشبيه [2].

- **فخر الدين الرازي ( 606 هـــ)**: قسم التشبيه بحسب المحسوس والمعقول والعكس، ثم ضرب أمثلة على هذه الأقسام، وصنف التشبيه إلى المفرد والمركب و لم يفرق بين التشبيه والتمثيل وعقد فصلا في كتابه" نهاية الإيجاز" عن المثل وعرفه بأنه تشبيه سائر وخصص بابا لأغراض التشبيه تحدث عن وجه الشبه العقلي والحسي وعن التشبيه القريب و الغريب[3].

- **حازم القرطاجي ( 684 هـــ)**: بين "القرطاجني" أهمية التشبيه الفنية، ورأى أنه يجب أن ينظر إلى المحاكاة التشبيهية من جهات فيها الوجود وعدم الفرض والإدراك، ويقول في ذلك: «ومن ذلك جهة الإدراك ينبغي أن تكون المحاكاة في الأمور المحسوسة حيث تساعد المكنه من الوجوه المختارة بالأمور المحسوسة، وبها يحسن بأن تحاكى الأمور غير المحسوسة حيث يتأتى ذلك ويكون بين المعنيين انتساب...» [4] ويردف قائلا: «وينبغي أن تكون الأوصاف التي يشترك فيها المثال والممثل أشهر صفاتها أو من أشهرها واعتبار هذا الشرط آكد في صفات الممثل به...» [5].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف،دار الفكر،بيروت،ج1،ص195.

[2]- يوسف أبو العدوس، التشبيه والإستعارة،ص31.

[3]- المرجع السابق، ص 32.

[4]- حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية، ص 112

[5]- المرجع نفسه،ص113.

– **الطيبي (743 هـــ)**: عرف الطيبي التشبيه في مؤلفه:"التبيان في علم المعاني والبديع والبيان" وبين أركانه وتحدث عن أقسامه وعن حسنه وقبحه، وعن أدواته وضرب أمثلة من القرآن الكريم والشعر للتشبيه وعلق عليه تعليقات لطيفة، تأثر فيها بالزمخشري والقزويني وغيرهما[1].

-**جلال الديني السيوطي (911 هـــ)**: قدم السيوطي تعريفا للتشبيه، وذكر بعض أنواعه وأدواته وضرب لذلك أمثلة من القرآن وقد تأثر بمن سبقه عن النقاد والبلاغيين كالسكاكي والطيبي،...[2]. وقد عرف التشبيه قائلا: «هو نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها» [3]، ومن تقسيماته للتشبيه أنه ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب والمركب : أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض[4].

وإن "البلاغة العربية تحمل بذور نموها وتطورها منذ نشأتها الأولى،فقد ذكر ابن المعتزفي "البديع" ثمانية عشر فنا،وزاد عليها قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري وابن الأثير فنونا أخرى،..." [5]، وإن الغرض من تقديم هذه الآراء الموجزة لأعلام البلاغة العربية عن التشبيه إنما الهدف منها،الإشارة إلى اتساع هذا المبحث البياني، وإذا ما أردت التوسع بإبراز آراء أغلب البلاغيين واللغويين فإن جانب التاريخي سيطغى على الدراسة التي اعتمدت فيها التطبيق أكثر من التنظير،كما أن الإيجاز في إعطاء التعريفات والآراء قصد تكوين مفهوم شامل وتصور عام حول التشبيه والتمثيل كليهما.

---

[1]– يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، ص 39.

[2]– المرجع نفسه ص 42.

[3]– جلال الدين السيوطي الإتقان في علوم القرآن تحقيق، عصام فارس الحرستاني ومحمد أبو صعليليك دار الجيل بيروت الطبعة الأولى 1419 هـــ 1998م المجلد الثاني ص 102.

[4]– المصدر نفسه ص 104.

[5]– أحمد مطلوب،تيسير البلاغة،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،المجلد الثالث والسبعون ، 1419،1998م ، ج04 ،ص879 .

## التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي:

الشعر الجاهلي مصدر هام لدارسي الأدب و اللغة العربية و الإطلاع على مضامينه الراقيـــة بمختلف توجهاتها وبضروبها المتشعبـــة وبأغراضه النثريـــة، مما يفتح آفاقا للباحث ويوسع مداركه في دراسة الظاهرة الأدبية أو اللغوية مدار البحث و الدراسة، و البلاغة العربية تجسدت في أشعار الجاهليين بداية، وإذا ما حددنا المجال بالتمثيلات الشعرية الجاهلية فإننا ولاشك سنقف عند كم هائل من التراث البلاغي الذي يحتاج إلى تدبر ورويـــة وحس علمي لاستكناه صفاته البلاغيـــة وخاصياته اللغوية وأبعاده الفكريـــة، وإنما أرجع إلى هذا المصدر الثري وهو الشعر الجاهلي للوقوف عند تمثيلات الجاهلين ووضعها إزاء ما جاء في كلامه عليه الصلاة و السلام من تمثيلات نبوية بديعة.

وتختلف أغراض التمثيل في الشعر الجاهلي عن أهداف وأغراض التمثيل النبوي، لأن كلامه عليه الصلاة و السلام جاء متضمنا هداية البشر وهو وعظ رسالي وتوجيه رباني أضاءه الإيمان ووحي السماء، أما التمثيل الجاهلي فهو محض خيال وإبداع عبر من خلاله الشعراء عن أحاسيسهم تجاه الناس و الطبيعة وكل ظروف الحياة وتقلباتها بسرائها وضرائها.

ومن ثم فإن الجاهليين برعوا في قول الشعر بمختلف أغراضه، " فالشعر شعر العرب، ديوانهم وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم،...." [1].

وإذا قلنا الأدب الجاهلي فقد أردنا الشعر لأن النثر الجاهلي قليل الشأن، يسير المقدار لا يجاوز بعض الأمثال و الحكم و الخطب و الوصايا، وهذا هو المنتظر المعقول، ففي آداب الأمم كلها سبق الشعر النثر إلى الظهور، لأن الشعر هو لغة الشعوب في طورها الفطري طور العاطفة و الخيال و الاعتماد على الحافظـــة و الذاكرة والروايـــة في تناقل الأخبار و الأشعار.

---

[1] ابن فارس ، الصاحبي، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـــ، 1997، ص 45.

ومن موضوعات الشعر الجاهلي والتي جاءت في قالب التمثيل البلاغي قول النابغة الذبياني وهو أحد شعراء المعلقات في وصفة البديع الآتي:

فلا تتركني بالوعيد كأنني  إلى الناس مطلي به القار أجرب[1]

فهو قد مثل حاله البائسة بعد القطيعـــة مع "النعمان بن المنذر" من أثر الوشايـــة وابتعاده عن نديمه وسلطانه المقرب، يرى نفسه كجمل أجرب يتجنب ويبعد ويبقى منعزلا عن بقية الجمال لكي لا يعديها، وينقل إليها عدوى المرض، فهذا تمثيل غاية في التأثير لكل من يقرأه، فهو يطلعنا ولا شك على الحالة النفسية التي يعانيها النابغـــة جراء ابتعاده عن النعمان ونظرة الناس إليه فيها الكثير من الأذى و الألم النفسي الحاد .

وقد انتقى النابغة لدفاعه جزل اللفظ ومأنوسه، وسبكه جيد السبك وركز الكلام على الموضوع المقصود تركيزا محكما،كما يقول في بيت أخر من اعتذارياته المشهورة الواصف فيها حاله قائلا:

فبت كأن العائدات فرشن لي  هراسا به يعلـــى فراشي ويقشب[2].

فليل الشاعر مؤلم لأن الزائرات اللائي من المعتاد أن يجلبن للمريض زهورا، قد أحضرن له أشواكا وقد فرشت له، ويالها من أشواك تتجدد كلما كسرت إبرها من أثر التقلب من الأرق الذي يقاسيه النابغة فهذا تمثيل غاية في الجمال الفني المعبـــر عن الحالة النفسية المترديـــــة للشاعر،كما عبر عن ألمه النفسي كذلك بقوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة  من الرقش، في أنيابها السم ناقع[3].

كما يقول النابغـــة:

---

[1] رئيف خوري، التعريف في الأدب العربي،ص107.

[2]المرجع نفسه، ص108.

[3]حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي ،ص29 .

ولست بمستبق أخالا تلمـــه  على شعث أي الرجال المهذب[1].

انبرى النابغـــة يدافع عن وفائه للنعمـــــان إلى أن صيره وفاؤه حكيما، فهو يضمن بيته حكمة مفادها أن الإنسان لا يمكن أن يبقى إخوانا وأصدقاء له إذا لم يتجاوز ويسامح ويغفر الزلات، فلا أحد معصوم، فعبـــــارة النابغـــة في "أي الرجال المهذب"، حكمـــة أو مثل سائر يمكن أن نطلقه على حالات عدة في الحيـــــاة على سبيل الإستعارة التمثيلية و التي تـــدرج ضمن التمثيلات الموظفـــة وفق المقامات المناسبـــــة.

وهذا الجانب الأخلاقي الإنساني الذي أعطى النفحـــة الخالدة للشعر الجاهلي، وهو إذ يعجبنا ويهزنا ما فيه من تصوير لوحشة ذلك البدوي في محيطه الجافي ولصلابـــة نفسه وللمثل الأخلاقي الأعلى الذي غناه وتعلق به، وإنما يعجبنا ذلك ويهزنا لأنه الجانب الإنساني من الشعر الجاهلي، جانبه الذي جاء أرقى من بيئته فخلد بعد زوال تلك البيئة.

ومن أمثلة ذلك أيضا، أمية بن أبي الصلت[2] وهو يخاطب ولدا له جحد جميله وأغلظ له في الخطاب:

غدوتك مولودا وعلتك يافعا  تعـــــل بما أدني إليك وتنهـــــل

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت  لشكـــــواك إلا ساهـــرا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي  طرقـــــت به دوني وعيني تهمل

يخاف الردى نفسي عليك وإنها  لتعلم أن الموت حتـــــم مؤجل

فلما بلغت السن و الغايـــة التي  إليها مدى ما كنت فيك أؤمـــل

---

[1] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تحقيق فاتن محمد خليل اللبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 205.

[2] أمية بن أبي الصلت، شاعر جاهلي مشهور من قبيلة ثقيف من مدينة الطائف بالحجاز عاصر عهد النبوة، وفي شعره تأثر واضح بمعاني الأديـــــان الموحدة، /عن رئيف خوري التعريف في الأدب العربي ، بيروت، لبنان، ص 89.

جعلت جزائي منك جبها وغلطـــة  كأنك أنـــــت المنعم المتفضل

فليتـــــك إذ لم تـــرع حق أبوتي  فعلـــت كما الجار المجاور يفعل[1]

فهذه حال "أمية بن أبي الصلت" ومعاناته التي يمكن التمثيل بها لأي حالة مشابهة على سبيل التشبيه التمثيلي أو المثل السائر لأن تألم الشاعر لجحود ابنه فضله يثير عاطفتنا ويؤثر في وجداننا لأن معاني هذا الشعر إنسانية يجسها أي إنسان يجد نفسه إزاء ولد عاق جاحد لفضل والديه وحبهما، هذا من جهـــة البعد الإنساني في الشعر الجاهلي وتمثيلاته، ومن جانب آخر نجد الركون إلى الملذات و الشهوات و التعلق بالدنيا كما يقول طرفة بن العبـــد:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي  فدعني أبادرها بما ملكت يدي[2]

والمعنـــى: فإن كنت لا تستطيع ان تدفع موتي عني فدعني أبادر الموت بإنفاق المال و الأملاك، وبما أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك الملذات.

فهذه المفاهيم الجاهلية نبذها الإسلام لأن الحيـــــاة لها هدف وكل ما نقترفه فيها سنجازي عنه في الآخرة، فإنفاق المال وطلب الملذات دونما وازع او رادع مما يورد الإنسان المهالك في الدنيا ويعاقب بغضب من الله ويكون مآله جهنم و العياذ بالله، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[3].

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم في تمثيلاته وتشبيهاته وكل أحاديثه النبوية تحدث عن النفس وأشجانها ليس كما كان يفعل الجاهلي المتمسح بالأطلال و اليائس من الحياة و الطالب فقط لرضى الملوك و المتتبع لهوى النفس، وإنما كان عليه الصلاة و السلام يعد المؤمنين لمواجهـــة هموم الدنيا بالصبر و التوكل على الله، حيث يقول عليه الصلاة و السلام " وما من مسلم يصيبه

---

[1] المرجع نفسه، ص 89-90

[2] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 53.

[3]- سورة الزمر، الآية 08.

أذى –شوكـــة فما فوقها– إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها" وفي رواية أخرى " ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر"[1].

فالنبي الكريم المعلم المربي للنفوس القويـــة، لأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، قوي بإيمانه وقوي بصلابته في الحق وفي مواجهة مصاعب الحيـــاة ونوائبها، وله بذلك الجزاء الجزيل في الدنيا و الآخرة، وفي ذلك يقول عليه الصلاة و السلام " مثل المؤمن مثل الخامـــة من الزرع تفيؤها الرياح وتعدلها مرة حتى يأتيه أجله، ومثل الكافر مثل الأرزة المجذية على أصلها لا يقلها شئ حتى يكون انجعافها مرة واحدة"[2].

كما عني الشعر الجاهلي بوصف النفس وآلامها الإنسانية المشتركـــة بين البشر وملذاتها التي تهفو إليها النفوس الضعيفـــة، أسهب كذلك هذا الشعر في وصف المرأة و الاهتمام بأدق تفاصيل شخصيتها من حيث أنوثتها وطبائعها من رقة ونعـــــومة وعاطفة جياشة، وكان بعض الشعراء خاصة شعراء المعلقات يجعلون أسماء محبوباتهم في مطالع القصائد كزهير و النابغة وطرفة ولبيد و الأعشى.

ومن أشعار الجاهليين المتغنين بالمرأة قول طرفة بن العبـــــد في مطلع معلقتة:

لخولة أطلال ببرقـــــة ثهمـــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولـــــون لا تهلك أسى وتجلـــــد

كأن حدوج المالكية غدوة خـــلايا سفين بالنواصـــــف من دد[3]

---

[1]- صحيح البخاري ، كتاب المرضى، باب شدة المرض رقم الحديث 5647، تقديم عبد الباقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط 1، 1425هـ، 2004، ص 677.

[2]- أبو الشيخ الاصبهاني، كتاب الأمثال في الحديث النبوي، و الحديث برقم 315، رواه البخاري في كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض برقم 5643 ص 677.

[3]- محمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 41

فهـــو يقف عند أطلال بيت المحبـــوبة فيصفها وكله حنين وشوق ويدعو صاحبيه إلى مؤازرته في الوقوف والتصبر والتجلد ثم يصف مراكب النساء (الحد وج: جمع حدج وهو مركب النساء)، أو السفن العظام العابرة للأوديـــة، ودد ؛ اسم واد، "وقيل د د مثل يد وددن مثل يدن، وهنا بمعنى اللهو و اللعب، و المعنى :كأن مراكب العشيقة غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام، وقد شبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام"[1].

ويقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي كما يمشي الوجي الوجل

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابـــة لا ريث ولا عجل

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتل

إذا تقوم يضوع المسك أصورة و الزنبق الورد من أدرانها شمل[2]

فهذا الشاعر الأعشى يصف كذلك المرأة (هريرة) بأوصافها الحسية من أنها غراء بيضاء البشرة طويلة الشعر ( فرعاء)، نقيـــة الأسنان (مصقول عوارضها)، تمشي متمهلة كمن يغوص في الوحل فهي ذات مشية مدللة، كما أنها تتزيـــن بحلي جميلة وتتعطر بأجود أنواع العطور كالمسك وزيت الياسمين، ومع ذلك أضاف إلى هذه المرأة أوصافا معنوية أخلاقية كونها محبوبـــة عند جيرانها لأنها لا تسعى إلى معرفة أسرارهم ولا تتبع عوارتهم.

ويصف الشنفرى أم عمرو فيقول:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 42.

[2]- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ط2، 1968، ص 47-48.

ألا أم أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها لجارتها إذا الهديـــــة قلت[1]

قد وصف "طرفة" المرأة وربط وصفه بالأطلال و الإرتحال، ووصف الأعشى المرأة حسيا وأفاض في ذلك، وأضاف إليها صفة معنـــوية واحدة، بينما نجد الشنفرى في هذه الأبيات المختارة يصف المرأة المحمـــودة ذات العفة و الحياء، غير المتلتفة، الكريمـــة التي تهدي غبوقها (حليب الناقة) إلى جارتها خاصة في وقت الحاجـــة و الفقر أو حتى الجدب، ويضيف الشنفرى فيقول:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت[2]

وهنا الوصف حسي، فدقت أي خاصرتاها، واسبكرت أي امتد قوامها وطال، فهي ممشوقة القد، كاملة الأوصاف، ونلحظ هذا التوظيف اللغوي للأفعال المتتابعـــة مما يعطينا هذه الفنية و الحركية في وصف هذه المرأة الملأى بالحيـــــاة و الحيويـــــة.

أما إذا نظرنا إلى صورة المرأة في الحديث النبوي نجد أن النبي الكريم عليه الصلاة و السلام يصف طبيعتها الفطرية وما جبلها الله عليه من طباع فيوصي خيرا بالنساء لأنهن شقائق الرجال، ويقول عليه الصلاة و السلام :" المرأة كالضلع إذا أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج"[3]

فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه هنا المرأة بالضلع ليس انتقاصا من شأنها وإنما لرقتها وضعفها ومخالفة طباعها طباع الرجل، وحاجتها إلى الرفق و المداراة كونها قد خلقت تحمل طباعا بعيدة عن الصلابـــة و الخشونـــة وتحمل الأعباء الثقيلـــة لعاطفتها الحساســـة وجسمها الغض،

---

[1] محمد رضا مروة، الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990 م، ان، ط1، ص لبن154.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

[3] صحيح البخاري، كتاب النكاح، بابا المداراة مع النساء، رقم الحديث 5184، ص 627.

وهذا ما يوافق قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لحادي الإبل: "يا أنجشه، رفقا بالقوارير" أو في رواية أخرى :" يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير" [1]، و الإبل حين تسير سيرا شديدا من أثر الحداء يتأثر النسوة في الهوادج من جهـــة ومن جهـــة أخرى فإن الشعر الرقيق المتضمن في الغناء أو الحداء له وقع في قلوب النسوة، مما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدعوة إلى الرفق بهن من الجانبيين الجسمي و العاطفي.

وفي هذا الحديث النبوي يقول الشريف الرضي:"... شبه النساء في ضعف النحائر، ووهن الغرائـــز بالقوارير الرقيقـــة التي يوهنها الخفيف ويصدعها اللطيف، فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة وينقض معاقد العفـــة... " [2]، وإن النساء كهذه القوارير رقـــة وصفاء ومن ثم فإن صونها وحفظها لازم ومطلوب من كل ذي دين وخلق.

فالفرق إذن يتضح جليا بين التوظيف النبوي العفيف والطاهر الرابط بين الحياتين الفانية والباقيـــة، والتوظيف الجاهلي المتشبث فقط بالحسيـــة والمادية والركون إلى الدنيا بكل زخارفها وشهواتها.

كما أننا نتفق على الإرتباط الوثيق بين الجاهلي وبيئته فكذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانت العناصر التي وظفها في تمثيلاته مستقاة من تعاليم الرسالـــة الداعية إلى كل ما هو سام وخيـــــر ورفيع، فهذا مثلا النابغة يقول في كرم النعمـــــان:

فما الفرات إذا جاشت غواربـــه ترمي أواذيه العبرين بالزبد[3]

يمده كـــــــل مترع لجـــــب فيه ركام من الينبوت و الخضد[4]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا، الحديث برقم 6202، ص 729.

[2] الشريف الرضي، المجازات النبوية تعليق، كريم سيد محمد محمـــود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، 1428هـــ، ص 20

[3] جاشت: هاجت، غواربه: أمواجـــه، أواذيه: أمواجه، العبرين، الشاطئين، الزبد: رغوة الماء إذا اضطرب

[4] يمده: يزيده ماء، واد مترع: واد ملآن، وأراد به السيل، لجب: صاخب، لم صدى في جريه، الينبوت: نوع من شجر شائك، الخضد: الشجر المقلوع المنكسر

يظل من خوفه الملاح معتصمـــا  بالخيزرانـــة بعد الأين و النجد[1]

يوما بأجـــــود منه سيب نافلة  ولا يحول عطاء اليوم دون غد[2]

يصف النابغة سخاء ممدوحـــه النعمان، فاستعمل التشبيه و التمثيل وسيلة، فجعل النعمان يشبه الفرات حين يفيض، وهكذا أتيح للنابغة أن يعطينا صورة رائعة عن نهر الفرات وقد رفدته سيول الشتاء فهاجت أمواجه وتدافعت، فهذه حيوية في تصوير أمواج النهر كيف تضرب شاطئيه،و السيول كيف تجرف معها الشجر،و الملاح كيف يعتصم بدفـــة سفينته خوفا من النهر العارم، فهذه اللوحـــة التشبيهية أراد من خلالها الشاعر أن يصل إلى الإعلاء من شأن النعمان من أنه ذو صولة وعظمـــة حين يغضب وهو ذو سخاء وعطاء وفير حين يرضى ويسعد، فمثل النابغـــة للنعمان بهذه الصورة المتكاملة البديعة التركيب، و المعبرة عن خيال وملكة شعريـــة متألقة، وهذا هو مفهوم النابغـــة للكرم،وبهذا المزج "نرى كيف عبر التشبيه عن إلتقاء الحس بالمعنى"[3]، أما عنترة فيقـــــول:

أثنـــــي علـــي بما علمـــت فإنني  سمـــــح مخالقتي إذا لم أظلم

فإذا ظلمـــت فإن ظلمـــــي باسل  مـــــر مذاقته كطعم العلقم

وإذا شربـــــت فإننـــي مستهلك  مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحـــوت فما أقصر عن ندى  وكما علمت شمائلي وتكرمي [4]

---

[1] الخيزرانة: دفة السفينة، الأين، التعب، النجد: العرق المتصبب من شدة التعب.عن التعريف في الأدب العربي لرئيف خوري ص92.

[2] السيب: العطاء، النافلة: الهدية العظيمة، لا يحول: لا يمنع/ شرح الكلمات مأخوذ عن كتاب التعريف في الأدب العربي لرئيف خوري، ص 92.

[3] نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي فيضوء النقد الحديث،مكتبة الأقصى ،عمان الأردن، الطبعة الثانية 1982م ص188.

[4] أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ص 146، 147.

فهذا مفهوم عنترة للأخلاق ككل كالظلم وعدمه، ونظرته للكرم المقرون بكثرة شرب الخمر حتى غياب العقل كلية، وهذا من النخوة المتطرفة عند الإنسان الجاهلي، وإن كان كما قال: وإذا صحوت لا أقصر عن كرم أو واجب للسخاء، فهذا المفهوم يغربله الإسلام ويعطي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المنهج الصحيح، فالكرم يكون من المال الحلال، و الكرم لا يجب ان يقرن بالمحرمات كشرب الخمر أو لعب القمار مثلا، وإنما الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، و الكريم السخي يحبه الله تعالى لسخاء يده ونفسه، لذلك يقول عليه الصلاة و السلام:" اليد العليا خير من اليـــــد السفلى"[1]، وفي حديث آخر يصور الرسول صلى الله عليه وسلم صورة بديعة للمنفق و البخيل فيقول :" مثل البخيل و المنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقه مكانها فهو يوسعها ولا تتسع"[2].

فالغايات تختلف إذن بين وصف "النابغـــة" للكرم بهدف التقرب إلى الملك ونيل وده وعطائه المحدود في الدنيا وبين "عنترة" المفتخر أمام محبوبته بكثرة استهلاكه وجود يده لينال القرب منها، ويحصل الوداد بينهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى هذا التمثيل النبوي الذي يهدف إلى غايـــة عليا وهي تزكيـــة النفس و الربط بين خيري الدارين الدنيا و الآخرة، فالسخي قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنـــة بعيد عن النار، و البخيل بعيد من الله بعيد من الناس، قريب من النار،"وقيل عن هذا الحديث برواياته المتعددة هو تمثيل لنماء المال بالصدقـــة والإنفاق والبخل بضد ذلك..." [3].فما أبعد إذن المفهوم النبوي الرسالي للكرم عن المفهوم الجاهلي الدنيوي الفاني، وما أجمل التصوير التمثيلي لصورة المنفق التي فيها السعة و اليسر و ما أدق التمثيل للبخيل بذلك الوصف النبوي الذي يظهر ضيقه وتدنيه.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، الحديث رقم 1428، ص 164.

[2] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق و البخيل، الحديث رقم 1443، ص 165.

[3] عبد الباري طه سعيد، أثر التشبيه في تصوير المعنى، ص 139.

إذن فقد اختلفت أغراض التمثيل بين الشعر الجاهلي و الحديث النبوي الشريف، لأن تمثيلا ته عليه الصلاة و السلام جاءت محملـــة ببيان معالم الصراط المستقيم تحمل الحكمـــة والعلم و الدين وكل شرع الله الهادي سواء السبيل، أما الشعر الجاهلي وإن تضمن بعض المعاني الإنسانية فهو مجرد خيال وإبداع وإمتـــــاع للحس الشعري عند الشاعر وكذا المتلقي المتذوق للجمال الفني و المعنى الراقي،وشتان مابين الوسيلتين والهدفين .

**التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم:**

التمثيل في القرآن الكريم أسلوب بياني يجمع في طياته نماذج حية مستمدة من الواقع المشاهد لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجردة أو الأعمال المجربة أو الأمور التي تقع تحت الحس، والإدراك في الدنيا، والتي يترتب عليها أحكام شمولية، ويبنى عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة وقد قال تعالى : « **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـــذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً**» [1]

وقال عز وجل: «**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**» "[2]

ويرى بعض الباحثين أن الأمثال تنقسم من حيث هي إلى ثلاثة أقسام:

**الأول**: الأمثال المطروحة **أو** القياسية، وهي التي صرح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى : «**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً** » [3] و «**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ** » [4]

---

[1] سورة الإسراء الآية 89.

[2] سورة الزمر الآية 27.

[3] البقرة الآية 17.

[4] الرعد الآية 35.

و«مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ » [1]«وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ » [2]
و«كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ» [3]

**الثاني:** ما يسمى بالأمثال المرسلة، وهي جمل قد أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه وكثر التمثيل بها، ولما فيها من العظة والعبرة والإقناع، وقد اكتسبت صنعة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها في المسلمين و لم تكن أمثالا في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة مثل قوله تعـــالى: «لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ» [4] و«لَيْسَ لَهَـــا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَـــةٌ» [5] « الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ» [6] «وَضَرَبَ لَنَـــا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ » [7]

و« ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ » [8] و«أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » [9] «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» [10]«مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ »[11] «هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ » [12]«كَم فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً » [13] و«وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [14]

---

[1] النور الآية 35.
[2] النور الآية 39.
[3] النور الآية 40.
[4] آل عمران ، الآية 92.
[5] النجم، الآية 58.
[6] يوسف، الآية 51.
[7] يسن ، الآية 78.
[8] الحج، الآية 10
[9] هود ، الآية 81.
[10] فاطر، الآية 43.
[11] المائدة ، الآية 99.
[12] الرحمن، الآية 60.
[13] البقرة، الآية 249.
[14] سبأ ، الآية 13

وإذا كان الإيجاز ركنا من أركان الأسلوب التمثيلي بصفة عامة فإن المثل القرآني قد أوتي من هذا الإيجاز حظا فاق به كل كلام سواه سواء أكان مثلا أم غيره[1]

وقد تعرض أبو هلال العسكري (ت نحو 395هـ) للإيجاز في بعض هذه الأمثال في أثناء حديثه عن إيجاز القصر، أعني جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فقال في قوله تعالى: « **لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ** » [2] .

ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيـــا والآخرة وعن قوله تعالى: « **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** » كلمتان استوعبتا جميع الأشيـــاء على غاية الاستقصاء، وروي أن ابن عمر – رحمه الله– قرأها فقال: " من بقى له شيء فليطلبه" [3] وعن قوله تعالى « **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** » [4] جمع جميع مكارم الأخلاق بأسرها، لأن في العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الرحم، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات والتبرؤ من كل قبيح، لأنه لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو يلابس شيئا من المنكر، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنـــزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ الدين ويسقط القدرة" [5] (والوتغ: بالتحريك ..الهلاك والإثم وفساد الدين).

وروى **الزمخشري** (ت 538 هـــ) في تفسير هذه الآية قول جعفر الصادق : " أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها" [6]

وتمتاز أمثال القرآن السائرة الموجزة بأنها تبعث في النفوس فرحة ورغبة، أو تستثير فيها هيبة ورهبة، أو ترشدها إلى قبلة الخير أو تكشف لها عن حقيقة يجهل كنهها.

---

(1) عبد المجيد قطامش الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ، دار الفكر دمشق سورية ،الطبعة الأولى 1988، ص 131.

(2) الأنعام ، الاية 67.

(3) أبو هلال العسكري، الصناعتين ، ص176.

(4) الأعراف ، الآية 199.

(5) الصناعتين، ص 177.

(6) الزمخشري ، الكشاف ،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، الطبعة الأولى، ج2 ، ص 149.

والثالث: ما يسمى بالأمثال الكامنة، وهي أمثال لم تضرب لبيان حال خاصة أو لصفة معينة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمن من الأزمان، و لم يصرح فيها بالتمثيل من قريب ولا بعيد، ولكن يدل مضمونها على معنى يشبه مثلا من أمثال العرب المعروفة، أي أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا أسموها بالأمثال الكامنة[1]

كما يقصد به ذلك المثل الذي لم يصرح القرآن بأنه مثل و لم يجر في اللغة جريان المثل الموجز وإنما عد مثلا لاشتماله على معنى قريب الشبه بمثل عربي سائر، فهو مثل بمعناه لا بألفاظه ومن ثم سمي: مثلا كامنا،"وقال **الماوردي:** سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول : سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله : " خير الأمور أوساطها"؟قال : نعم، في أربعة مواضع، قوله تعالى: **« لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ »**[2]، و **«وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً »** [3]، **« وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ »** [4]، **« وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً »** [5] قلت : فهل تجد في كتاب الله " من جهل شيئا عاداه"قال: نعم، في موضعين، قوله تعالى : **« بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ »** [6] وقوله تعالى: **« وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ »** [7]،وقد أورد السيوطي نماذج لعدة تمثيلات قرآنية بديعة" [8]

---

[1] محمد بكر إسماعيل- الأمثال القرآنية- دراسة تحليلية – دار المنار- القاهرة، الطبعة الأولى 2000، ص 24.

[2] البقرة ، الآية 68.

[3] الفرقان ، الآية 67.

[4] الإسراء، الآية 29.

[5] الإسراء، الآية 110.

[6] يونس ، الاية 39.

[7] الأحقاق، الآية 11.

[8] ع جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن،ج2،ص368.

فقد أوردت في هذا الطرح التوضيحي أنواع المثل القرآني لتبيين تنوع التمثيل في القرآن الكريم وثراء التصوير فيه ولكن ما سأخصه بالتفصيل هو التمثيل المصرح أو الصريح والقياسي وما تعلق بالأخص بالتشبيه التمثيلي الذي قد خصه القرآن الكريم بكثير من الإضاءات المعبرة عن أحوال شتى.

والمثل القياسي في القرآن الكريم: هو ذلك السرد الوصفي أو القصصي، الذي يقصد به توضيح معنى ما عن طريق التشبيه والتمثيل، وهو ما يسميه علماء البلاغة التشبيه المركب أو " التمثيل" [1]

ومن أمثلة السرد القصصي الكثيـــرة والمتعددة في القرآن الكريم قوله تعالى « **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَـةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ** » [2]

ومن أمثلة السرد الوصفي قوله تعالى: « **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** » [3]

وهذا التشبيه التمثيلي العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني ولإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره، ما تقر به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم وفي هذا التشبيه المركب صياغة قريبة المأخذ بعيدة عن التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن، من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء التشبيه ومقابلته بجزء من المشبه به وعلى هذا عامة أمثال القرآن،" فقد شبه الله نوره في صدر المؤمن وقلبه وعقله بمشكاة تشبه في صفائها وتألقها الكوكب الدري، الذي يشبه الدرة في بريقه ولمعانه وهذا المصباح وقد من زيت شجرة زيتونة مباركة في

---

[1] عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية ، ص 135.

[2] يس، الآية13-14.

[3] النور، الآية 35.

مكان معتدل بوسط الأرض وزيتها يضيء في جميع الأحوال بنار وبغير نار، و إن نور الله أشرقت به الظلمات في السموات والأرض، النور الذي لا ندرك كنهه ولا مداه " يهدي الله لنوره من يشاء" ممن يفتحون قلوبهم للنور فهو شائع في السموات والأرض فائض في السموات والأرض، دائم فيهما، لا ينقطع ولا يحتبس ولا يخبو، فحيثما توجه إليه القلب رآه، وحيثما تطلع إليه الحائر هداه، وحيثما اتصل به المؤمن وجد الله[1].

و"إن المثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك، وهو العليم بطاقة البشر ...ذلك النور الطليق، الشائع في السموات والأرض...يتجلى ويتبلور في بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بالله،تتطلع إليه وتذكره وتخشاه وتتجرد له وتؤثره ...وهناك صلة تصويرية بين مشهد المشكاة هناك ومشهد بيوت الله هنا على طريقة التناسق القرآنية في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب هنا وهناك "[2] فالوجود كله وإن كان من نور الله بالإفاضة والخلق، فإن هناك نور الهداية الذي يضيء البصائر ويشرح الصدور وهذا النور يدعو الله إليه من شاء من خلقه ليكونوا في ضيافة هذا النور القدسي، وليكونوا ربانيين بما فيهم من النور الرباني الذي أمدهم الله به[3] إذ يقول تعالى: «**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**» [4]

وتعتمد الأمثال القياسية في القرآن الكريم على طبائع النفوس البشرية، وعلى النواميس الكونية والظواهر الطبيعية التي تحيط بالناس في مختلف العصور والبيئات، فقد استمدت صورها من الحياة الإنسانية ومن الحياة الحيوانية، ومن النبات، ومن ظواهر الكون ومظاهر الطبيعة ومن المصنوعات أيضا، ولا شك أن هذا المسلك من أبلغ مسالك التعبير اللغوي وأرفعها شأنا وأبعدها بيانا وتأثيرا، إذلا يتم المراد من التشبيه والتمثيل إلا إذا كان المشبه به ملموسا لدى السامع ومجربا عنده ومسلما به[5]

---

[1] محمد بكر إسماعيل،الأمثال القرآنية(دراسة تحليلية)،ص180.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن ،دار الشروق، القاهرة ،الطبعة العاشرة المجاد الرابع ج18 ص 2520.

[3]محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية،ص 183.

[4]سورة النور،الآية 40

[5] عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 139.

ومن الأمثلة التي يمكن إيرادها لإيضاح بلاغة التمثيل أو التشبيه التمثيلي القرآني آيات يصور فيها عز وعلا فناء هذا العالم ودمار تلك الحياة التي يظن أصحابها أنها باقية خالدة لا شيء بعدها، وذلك في قوله تعالى: « **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** » [1]

وقوله تعالى : « **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** » [2] وقوله تعالى: « **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً** » [3]

فهذه الآيات الثلاث ترمي إلى هدف واحد، وهو عدم الثقة في الحياة الدنيا إلى حد اعتبارها خالدة، وأنه لا حياة بعدها ولكن الأسلوب نجده قد اختلف بعضه عن بعض في درجات متفاوتة ولكنها تمثل جميعا قمة التعبير الأدبي عن هذا المعنى الخالد.

" ولجأ القرآن إلى التشبيه يصور به فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا أمامنا عامرا بألوان الجمال فيخيل إلينا استمراره وخلوده، فيجد القرآن في الزرع يرتوي من الماء، فيصبح هيجا نضرا يعجب رائيه، ولكنه لا يلبث أن يذبل ويصفر ويصبح هشيما تذروه الرياح، وفي ذلك تشبيه لهذه الحياة، ولقد أوجز القرآن مرة في هذا التشبيه، وأطنب أخرى (في الآيات السابقة الذكر) ليستقر معناه في النفس، ويحدث أثره في القلب[4]

---

[1] يونس، الآية 24.

[2] الكهف، الآية 45.

[3] الحديد، الآية 20.

[4] محمود السيد شيخون، نظرات في التمثيل البلاغي ،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1981، 21-22.

وإن الأمثال القياسية أو التمثيلات في القرآن الكريم صور رفيعة من صور التمثيل الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أشياء والتمثيل بدوره صورة من التشبيه تقع منه في الذروة والذؤابة، وليس من المستطاع تتبع بلاغة التمثيل في كل أمثال القرآن الكريم ولكننا نكتفي بعرض بعض النماذج.

ومن ذلك قوله تعالى: « **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** » [1]

يقول عبد القاهر الجرجاني عن هذه الآية الكريمة في معرض حديثه عن التمثيل : " وربما انتزع " الشبه العقلي" من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يجمع أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما، ومثال ذلك عز وجل: " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" الشبه منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمار العقول، ثم لا يحس بما فيها، ولا يشعر بمضمونها، و لا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلوم في شيء، فليس له مما يحمل سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة، ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها ببعض، وبيان ذلك أنه احتيج إلى أن يراعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، ولأن يكون المحمول شيئا مخصوصا، وهو الأسفار التي فيها أمارت تدل على العلوم، وأن يثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود [2]

ومن التمثيلات القرآنيـــة كذلك قولـــه تعالى: « **أَنزَلَ مِنَ السَّمَ ـــاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ ـــهُ**

---

[1] الجمعة ، الآية 05.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 80-81.

**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ »** [1]

ويفسر الزمخشري هذه الآية بقوله : " هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله بالماء الذي يترله من السماء، فتسيل به أودية الناس، فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع و بالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولما لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وان ذلك ماكث في الأرض، باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه، وتبقى آثاره في العيون والبئار، والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكتر، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة طويلة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب"[2]

ومن هذه الصور التي تضمنتها الآية ثلاثية تصويرية في صورة متكاملة تألف فيها وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، فالوحي النازل من السماء كالجوهر والقلوب التي تتلقاه بالتصديق كالقدور، والشك والشبهة والشهوة المترسبة في القلوب كالزبد، وهو الباطل بكل صوره.،وإن الحق يقتحم أقطار القلوب، فتقنع به وتستوعبه وتتسع له، فيزيل ما علق بها من آثار الباطل المتوارث أو المكتسب من البيئة، فيعود القلب إلى فطرته التي فطره الله عليها مطمئنا بالإيمان ليس للشهوات ولا للشبهات تأثير عليه [3]

وإن هذا التصوير الحسي البارز في التعبير القرآني، يرمي إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس وهو وسيلة لتقريب المعاني، وعقد علاقات متخيلة من محاور حسية أو معنوية، والتشبيه التمثيلي أحد تلك الوسائل التصويرية حيث تتبدى المعاني والحالات والأشياء صورا وهيئات ذات إطار حسي مجسم... وفي هذا الجو الحسي المفعم بالتصوير والتخيل وعقد المقارنات، تتخذ

---

[1] الرعد، الآية 17.

[2] الكشاف ج2 ، ص 407.

[3] محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية ، دراسة تحليلية ، ص 139.

الكلمات في التشكيل شكلا دلاليا عضويا متميزا بحيث تصبح الدلالات الحسية، والخيالية والمعنوية متعانقة تعانقا ملحا في مجال الصورة كدلالة عامة" [1]

والمثل بشكل عام عنصر من عناصر التأليف القرآني في لفظه ومعناه وبهذا يقع في أعلى مراتب الإعجاز البلاغي، أما التمثيل فهو فن من فنون البلاغة وهو التشبيه التمثيلي في الاصطلاح البلاغي وهذا يصدق على المثل القياسي ومن ثم فإن المثل يرتقي في السلم البلاغي كلما ازدادت طرافة الإنتقال إلى المشبه به، بانتزاع صورة بارعة تبرز عند عقد المشابهة بين المشبه والمشبه به، وكلما ابتعد هذا الانتقال بطرافته وندرته مع امتزاجه بالخيال كلما ازداد روعة وبهاء.

ونلحظ هذا الامتزاج بين الحس والعقل وبين الواقع والخيال وبين الحقيقة والتجريد في التمثيلات القرآنية التي تعطي القارئ رغبة في سبر أغوار المعاني وملامسة الحقائق وكذا معرفة الجديد عن الكون والحياة ومن ذلك قوله تعالى: « **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء** » [2]

ألا ترى جمال هذا التمثيل وبراعة الربط بين المشبه والمشبه به وتجسيم المعنى في المشبه على هيئة صورة منتزعة من عدة صور هناك شجرة لا كالشجر بل وصفها بأنها طيبة وهذا الوصف جامع للفضائل، وهذه الشجرة لها أصل ولكن هذا الأصل ثابت والثبات يدل على القوة والرسوخ فلا تتزعزع هذه الشجرة مهما عصفت العواصف، إنه أصل ثابت ثباتا ذاتيا، شجرة باسقة بفروعها ممتدة في السماء ولفظ "السماء" يوحي في هذا التشبيه التمثيلي بالعلو الارتفاع والعظمة فهي مورقة مثمرة زاهية، فيتجسم المعنى ويتضح بهذه الصورة البارعة الموحية بأسمى وأرقى المعاني.

وقد أشار الحكيم " الترمذي" إلى أن الكلمة الطيبة في الآية هي كلمة الشهادة، طابت واستنارت وتفرعت بالأعمال الصالحة وكلمة الشرك كشجرة خبيثة وهي الحنظلة، ليس لها قرار

---

[1] محمد قطب عبد العال ،من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2006، ص 117.

[2] سورة إبراهيم ، الآية 24.

ولا قائمة فهي ساقطة بالأرض [1]و كذلك قرب عز وجل ماهية الكلمة الطيبة إلى الأذهان من خلال تشبيهها بالشجرة ذات الصورة المادية في مخيلة المتلقي والملاحظ أن الصفات التي تعلقت بهذه الشجرة قد نهضت بوظيفتين:الأولى هي الإلحاح على البعد المادي في التصوير بما يقوي من حدود الصورة المرتسمة لها في الأذهان،و الأخرى:بيان ما تنطوي عليه الكلمة الطيبة من مزايا وآثار،إذ قد آلت الصفات المادية على حسيتهاو تتابعها إلى الشق المعنوي المجرد من السياق[2]

و التمثيلات القرآنية مستمدة في لغتها من الطبيعة، ومن هنا نستشف ارتباط الإنسان في أي جيل، بهذه الطبيعة التي تمثل المسرح الذي يمثل عليه الجنس الأدبي دوره في الحياة وكلما امتزجت عناصر هذا الوجود بين الإنسان والطبيعة ازدادت القرابة بينهما، وبرزت الألفة القائمة على معرفة الإنسان بأدق مظاهر الطبيعة ومن هنا يمكن القول :

– أن التمثيل في القرآن مستمر استمرار الطبيعة نفسها وعام يدركه الناس جميعا لأنه يخاطب الفطرة والعقل الصافيين صفاء ونقاء الروح المؤمنة، فالطبيعة إذن بما فيها المرئية والمعنوية هي ميدان التمثيلات القرآنية منها استمدت حيويتها وتجددها الدائمين من الإنسان والطبيعة.

–كما يتصل درس هذا الجانب البلاغي... بالنظر في خلود الدلالة القرآنية عبر الأزمان وعمومها لدى المتلقين و إن أول ما يسترعي النظر من خصائص التشبيه القرآني أنه يتمازج مع الطبيعة وذلك هو سر خلوده، فهو باق ما بقيت الطبيعة، كما أن يسر عمومه للناس جميعا يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم فلا تجد في القرآن الكريم تشبيها مصنوعا يدرك جمله فرد دون آخر ويتأثر به إنسان دون إنسان [3] هذا الانسجام روح المعنى القرآني مع التكوين العقلي والفني للإنسان القارئ المردك للجزيئات وكذا الكليات ومن ثم كان التشبيه التمثيلي كأحد هذه الإدراكات" يقوم على التصوير الكلي الذي يخاطب مخيلة المتلقي إذ

---

[1] الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة وضع جوانبه وعلق عليه: سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى 2003م ، ص 15.

[2] طارق سعد شلبي،بلاغة الصورة القرآنية الجماليات والتجليات، دار البراق، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص 34-35.

يؤول إلى صورة كلية ممتدة، ويؤدي تمثل المتلقي لها إلى إدراكه الغاية التي يعني السياق بإقرارها في ضمائر قراء القرآن وسامعيه[1]

والتمثيل في القرآن يهدف إلى كشف المعاني المختلفة، لذا ضرب الله سبحانه الأمثال بالعظيم والحقير تبعا لما تستدعيه الحال المعبر عنها، ومن ذلك قوله تعالى: **« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ »** [2]

فكيف يكون في حكم العقل أن يعبد من لا يخلق شيئا ولا يقدر على شيء، فالطالب عاجز والمطلوب أعجز منه، وقد قال الزمخشري في الكشاف في تفسير هذه الآية " إن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية، ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلجا، كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة"[3]

وكذلك في الآية الكريمة يوضح الله عز وجل الضعف الإنساني الذي تولد منه تجبرا متوهما عن ضعف العقل بأن تحداهم بأن يخلقوا ولو ذبابا وهو من أصغر وأحقر المخلوقات، فيقف العقل المتجبر معاندا،بينما يقف العقل المدرك المؤمن المتبصر موحدا ومقرا بعظمة الله وقدرته من جهة ومعترفا بضعف الإنسان عن الخلق وعن كل شيء إلا بحول الله وقوته .

وهنا يبرز تركيز التمثيل ودلالته على المعاني وتغلغله في أعماق النفس لإفراغ محتويات الباطل ونفض الغبار عن الحق المتلألئ المنير من كل صوب لإن" التمثيل القرآني يتميز عن غيره من

---

[1] المرجع نفسه، ص 39.

[2] الحج، الآية 73.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 111.

التمثيلات بالدقة في التشبيه، فالمعاني فيه شاخصة محسوسة وهو يأتي بالتشبيهات العجيبة التي تهتز لها النفوس طربا واستظرافا وارتياحا ومسرة، فيأتي بالجديد الغريب"[1].

وقد قال الزركشي في البرهان: " الأمثال مقادير الأفعال،و المتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط... وكل شيء له قالب، ومقدار الكلام ومقداره الأمثال"[2]

والتمثيلات القرآنية هي أرفع ما ضرب في المعاني الموضحة للحقائق الدنيوية وكذا الأخروية فتأتي الصور التمثيلية متماسكة في القرآن تماسكا شديدا يجعلها لو حاولنا فصل أحد الأجزاء لانفرط عقد الصورة وانتثرت معالم الجمال فيها، ومن هنا نرى القوة البيانية متمثلة في إعطاء الفكرة عن طريق الصورة التمثيلية مركبة الأجزاء، والعجيب في ذلك أن التمثيل نفسه لم يأت عبثا ولكننا نراه يجيء عقب فكرة يراد توضيحها، وتمكينها في ذهن السامع، هذا لما نعلمه من أن الحجة أو " الحجاج" لا تقام إلا بعد طرح الدعوى وبسط الفكرة.

ومن ميزات التمثيلات القرآنية كذلك انتقاء ألفاظ التمثيل واختيارها اختيارا مناسبا للمعنى معطيا كل ما يتطلبه المقام ومن هنا كان التمثيل في القرآن موحيا مشعا يأخذ بالألباب والقلوب لما في ألفاظه من دقة وفي عباراته من إيحاء ومن ذلك قوله تعالى: « **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً** » [3]

وقوله: اتخذوا: أي عبدوا من دون الله أولياء، أي بالربوبية لا ينفعهم في الآخرة، كما لا ينفع بيت العنكبوت العنكبوت في حر ولا قر، فكذا أضعف الصنم، ثم قال" وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت أي لا يستر، ولا ينفع، ولا يدفع حرا ولا بردا، كذا كل معبود دونه، أي إن

---

[1] فيصل صالح السامرائي، أمثال القرآن،جامعة الأزهر،1975م ،ص21-22.

[2] الزركشي،البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع القاهرة ،الطبعة الثالثة ج1،ص 487.

[3] العنكبوت ، الآية 41.

الكافر عار عن ستر الله يخرج إلى الله عاريا فلا يكسى، وتبدو فضائحه وقبائحه على رؤوس الأشهاد"[1]

فنلاحظ دقة استعمال الفعل " اتخذوا" لما له من دلالة كونهم يعارضون الفطرة الإلهية التي تنادي بأن للكون إلها واحدا يستحق القيادة بينما هم لم يأخذوا هذا المعنى العميق والميسر للجسم والعقل وإنما " اتخذوا" أرهقوا أنفسهم ليرضوا أوهامهم وكذا نلحظ دقة هذا التصوير الذي وظف العنكبوت للتعبير عن وهن الكافر وتفكيره وهشاشة بنائه الفكري المفضي إلى الخسران في الدنيا والآخرة وفي تشبيه آلهة القوم بنسيج العنكبوت إعجاز من إعجاز القرآن إذا أن العنكبوت إنما تتخذ بيتها من خيوط رفيعة، هي لعابها الذي إذا لامس الهواء تماسك في صورة خيوط دقيقة واهية، وهؤلاء المشركون إنما أقاموا معتقدهم الفاسد الذي يعتقدونه ويلتمسون الطمأنينة والأمن في ظله، إنما أقاموه من تلك الأبحرة العفنة التي تتصاعد من مشاعرهم، فتتشكل منها تلك الأوهام الخادعة ويقوم عليها البناء المتداعي" [2]

فقوة الله وحدها هي القوة ومن انضوى تحت لوائها فهو قوي بنور الله وتأييده ما عداها فهو واهن ضئيل هزيل لا يغني من الحق شيئا ونحن هنا نلحظ قوة المفردة القرآنية في التمثيل القرآني في تأدية المعنى وحسن التشبيه وهذا مما " يرتقي بالتمثيل إلى مستوى الذروة إلى جانب التصوير المتحرك الحي الناطق، ذي الأبعاد المكانية والزمانية المبرزة للمشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة"[3] مما يجعل من التشبيه التمثيلي عامة والتمثيل القرآني بخاصة من أبلغ وأرفع مستويات التعبير عن المعاني المجردة بالصور الحية الشاخصة.

ولقد فاز ونجا واهتدى ونال خيرا كثيرا وعلما وافرا وأجرا عظيما كل من تفكر في أمثال القرآن وعقل معناها وفهم محتواها وأدرك سرها وعلم مغزاها وعاش في رباها، وجني من ثمرها، فتذكر وتدبر وخشع ولان وانكسر، فقد جعلها المولى القدير مسرحا للتذكر ومرتعا للتفكر

---

[1] الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة ، ص 18-19.

[2] محمد بكر اسماعيل ، الأمثال القرآنية ، دراسة تحليلية ، ص 195.

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية أسسها وفنونها ج2 ، دار القلم دمشق ، ط1 1997م ، ص 172.

فقال:« **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** » [1] وقال: « **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** » [2]

وروى الإمام أحمد عن عمر بن العاص- رضي الله عنه- قال: عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل ويقول ابن كثير وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص حيث يقول تعالى : " وما يعقلها إلا العالمون" وعن عمرو بن مرة قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأنني سمعت الله تعالى يقول : " وما يعقلها إلا العالمون"[3]

ومن ثم فإن الأمثال القرآنية عامة وما احتوته من تمثيلات تشبيهية بالأخص احتوت على خير وفير وعلم غزير وبها قوي المعنى وثبت وظهر للعيان وبه امتازت الأضداد وتفرقت وتصنفت الأشياء وكم هو الفرق بين المعنى وهو عار متجرد من التمثيل، والمعنى وهو في لباس التمثيل وحلته حتى أن المعنى وهو في قالب التمثيل وثوبه ليبلغ منتهى القلوب ويدق بها أبوابا موصدة ويحي فيها أحاسيس ومشاعر ميتة، فتتعظ العقول وتسلم الجوارح وتطمئن النفوس وتهدأ، ويؤوب العاصي إلى بيت الهداية وحرز الوقاية، والطريق المستقيم والحق المستبين، ما لا يكون ذلك عند سوق المعنى بغير ملبوس المثل فلا يكون له من التأثير والتطبيب ما كان للأول [4] أو كما قال السيوطي إن " التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها"[5]

وبناءا على هذا المفهوم فإني أقول أن التشبيه التمثيلي من أشرف وأبدع التشبيهات وأبلغها لارتباطه بالتصوير والإيحاء الذي يحمله التركيب المميز له خاصة إذا جاء هذا التمثيل قرآنا فهو نور على نور ونحن مأمورون بأن نتدارس أمثال القرآن لصلتها بالأوامر والنواهي من جهة ولعلاقتها بالعربية وبيانها والتي من خلالها نتدبر كلام الله تعالى، وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال :قال

---

[1] الزمر، الآية 27.

[2] الحشر ، الآية 21.

[3] ابن كثير ، تفسيره ، اعتنى به وضبط نصوصه :محمد أنس الخن،تقديم:مصطفى سعيد الخن ،مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى1421ه2001م ،ص1013-1014.

[4] خالد ناصر المعيلي، أمثال القرآن الكريم (التأويل فيما ورد في التنزيل من تمثيل)، الكويت، الطبعة الأولى 1988، ص 07.

[5] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن حققه : عصام فارس الحرستاني وخرج أحاديثه: محمد أبو صعيليك، دار الجيل ، بيروت الطبعة الأولى 1998، ج2،ص 102.

رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال"[1]

ويستفاد من التمثيلات القرآنية أمور كثيرة،كالتذكير والوعظ والحث والزجر والإعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس،كما قد يكون غرضها الحجاج، ولا يخفى ما للحجة الباهرة المؤيدة بالبرهان والبيان،من التأثير في المتلقين وإقناعهم إذا ما كان لديهم الإستعداد للتدبر والإقراربالحقائق التي لا تنكرها العقول وإنما تستسلم لها كليا و بمجامع القلوب.

[1] المصدر نفسه، ص 364.

# الفصل الثاني:

## ـ الخصائص الفنية للتشبيه التمثيلي في الحديث النبوي :

- تمهيد

1 –الانتقاء اللفظي المناسب للمعاني .

2 –التشويق

3 – توظيف الطبيعة بنوعيها:

أ – الطبيعة الحية (النبات و الحيوان ).

ب –الطبيعة الجامدة.

4– الإيجاز.

5– الإيضاح.

6– التوكيد .

**تمهيد**

إن للتشبيه دوره المهم في إبراز المعاني والأفكار، ولقد أفاض البلاغيون في بيان ثمرته وآثاره، فهو يفيد الإيضاح والتقرير ومن خاصياته الإيجاز والمبالغة والتوكيد والتصوير وعمله في الأسلوب يكتسي ضرورة في التأليف بين المختلفين والتقريب بين المتباعدين وبث الوحدة المتكاملة في الصور المتفرقة وصب المعاني المجردة المتخيلة المتوهمة في قوالب الشخوص الحية النابضة المتحركة الملموسة، وإن طبيعة البيان العربي تغلب فيه التشبيهات على الاستعارات والكنايات حيث أنه قد عرف عنهم ذلك كما قال المبرد: "التشبيه جار في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد" [1]

وقد شاع التشبيه في الأحاديث النبوية الشريفة وبالأخص التشبيه التمثيلي الذي يرد في الأغلب لإثراء الفكرة وتوضيحها وإيصال المعنى إلى المتلقين بنقلها من التجريد إلى الملموس وذلك باستعمال التصوير التشبيهي كونه يقع في مقدمة الأساليب البليغة بل هو أظهرها وأكثرها استعمالا في كل عصر من العصور [2] والتشبيه النبوي أداة تعبيرية عند الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة للبيان والإيضاح والتربية والتهذيب والتبشير والترغيب والترهيب والتزيين والتقبيح... فهو في خدمة الرسالة المطهرة التي غيرت الإنسان بتغيير أعماقه وتبديل طبائعه بطباع الفطرة وأخلاق النبوة.

وعلى الرغم من اختلاف البلاغيين في نظرتهم إلى تشبيه التمثيل وفي تحديد مفهومه، كانوا يتفقون على أن التشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه عقليا أو هيئة منتزعة من عدة أمور، يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان بهما في حال الإفراد"[3]

---

[1] السيد الجميلي ، البلاغة القرآنية المختارة من الإتقان و معترك الأقران للسيوطي،دار المعرفة للنشر و التوزيع–القاهرة 1413 - 1993م ،ص58.

[2] بدوي طبانة، البيان العربي، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ط 4، ص 4.

[3] فالح حمد احمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ص 144

والبيان النبوي يضرب بسهم وافر في هذا الميدان، ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة ناجعة فعالة للوصول إلى هدفه، لا سيما أن الرسالة التي جاء بها البيان النبوي تجديد للقيم، وتعديل للمفاهيم، وتعريف بأنماط من المعاني التي تهز العقل والوجدان بتصوير مقنع يسكن أغوار النفس وغيابات الضمير الإنساني الباحث عن الحقيقة والجمال والمثل الأعلى وقد استطاع النبي عليه الصلاة والسلام، أن يجلو للأفهام والعقول حقائق دنيوية ترتبط بالآخرة ارتباط رسالته الخاتمة والخالدة من خلال توظيفه للتشبيهات التمثيلية والتي غاص من خلالها في نفوس بني آدم وأوضح بنياتها فحذرها من مغبة الخطأ حين تهوي في غياهب الرذيلة وشجعها وشد من أزرها حين تتشبث بحبل الله المتين وتعتصم بالصواب وتجنح للسلم والسلام حين الأمن والأمان،" وقد استعمل البيان الكريم مسلك التشبيه التمثيلي كوسيلة من وسائل الإيضاح التي يتذرع بها المعلم لتقرير درسه لما لا يدع للتلميذ مجالا للنسيان، ولهذا نراه ظاهرة أسلوبية واسعة الجوانب بعيدة الغور في تعميق المعاني، وتأثيرها في القلوب" [1]

ويمكن فيما يلي أن أقف عند جملة من خصائص التمثيل النبوي وأجلو قدرته عليه الصلاة والسلام في إيصال الفكرة فهو البليغ الفصيح المؤيد بوحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مركزة على الخصائص الفنية في بيانه الكريم،وهي كالآتي :

[1] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 155.

**1.الخاصية الأولى: الانتقاء اللفظي المناسب للمعاني:**

اهتم العرب بفنونهم القولية فأبدعوا في صوغ النصوص الشعرية وكذا النثرية فكانوا أمة أوتيت حظها من الأدب الرفيع الذي يصقل الذوق ويعلي الهمم ويقدم للإنسانية زادا من التراث الأدبي وقيل:" رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة،وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب وبهارها تخير الألفاظ،ومدار البلاغة على تحسين اللفظ وهذا دليل أن الخطب الرائعة والأشعار الرقيقة ما عملت لإفهام المعاني فقط،لأن الردئ من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام و إحكام صنعته ورونق ألفاظه و جودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع معانيه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه"[1]

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ماتقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا : لايبقى من درنه شيئا قال : "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا..." [2]

يريد عليه الصلاة والسلام أن يؤكد للأمة فضل الصلاة وفضل المواظبة عليها، بحيث أن حال المؤمن المصلي المنتظر للصلاة بعد الصلاة المستعد لها بحال المؤمن الذي يمر ببابه نهر فهو يغتسل فيه خمس مرات كل يوم، فكما أن تكرار الوضوء للصلاة يمحو الذنوب والخطايا فإن تكرار الإغتسال لا يبقى من الدرن شيئا ومن ثم يعرف المؤمن المواظب على إقامة صلواته الخمس في اليوم والليلة أنه يتطهر كل حين من الذنوب مقتربا من باب الله ونهر الطهارة المتجدد فيكون التصوير الذي قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا النهر موفقا لجريان الماء الموجب للتطهر والابتهاج والحيوية والتجدد المزيل لكل الشوائب من الجسم كما تزيل الصلوات كل الشوائب العالقة بالنفس وصورة الممثل به سابقة في التعبير الكريم لتثير انتباه السامعين وتحرك شوقهم لا سيما وقد اقترنت

---

[1] صحيح البخاري تقديم احمد محمد شاكر و ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي دار ابن الهيثم القاهرة الطبعة الاولى 1425ه-2004م و الحديث جاء في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة برقم528ص67.

[2] محمد بركات حمدي أبو علي، البلا غة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ،دار وائل للنشر عمان الأردن ،الطبعة الأولى 2003 ص91.

بذلك الإستفهام التقريري الذي يطلب منهم جوابه ليطيل الشوق ويزيد الإنتباه، كما "أن الصورة الممثل بها فرضية محبوبة يتشهاها كل فرد يشعر بالحياة ويحس بالجمال نهر ببابه يغتسل منه كل يوم خمس مرات، وحسبك ما توحي به كلمة "نهر" النكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة وما توحي به " الباء" بين النهر والباب من الإلتصاق حتى كأن الدار تجري من تحتها الأنهار، وما يخيل لنا الفعل المضارع " يغتسل" من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث... ثم انظر معي إلى هذه الجملة " يبقى ذلك من دونه شيئا" ويسر الإشارة بهذا اللفظ، الدال على التعظيم لما فيه من لام البعد وكاف الخطاب داعي تقديم البيان وهو الجار والمجرور (من دونه) على المبين تعجيلا بالمهم، ثم تنكير المبين وهو (شيئا) لإفادة التعليل فمعناه شيئا أي شيء مهما كان قليلا"[1]

ولا يخفى علينا كذلك ما ورد في آخر الحديث من إسناد فعل المحو إلى الله سبحانه وتعالى :" يمحو الله بها الخطايا" وهذا إيضاح من النبي الكريم لكون الصلاة صلة بين العبد وربه صلة يجب أن تتصل وتتجدد وتتجذر بتنقية النفس من الذنوب وكذا الجسم طهارة للبدن وطهارة للسريرة من الخطايا الواردة بصيغة الجمع لا المفرد، لندرك قيمة الصلوات الخمس عماد الدين والنور الموصول بطهارة متجددة تسلم الى جنة تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا.

وإذا ماحللت بلاغيا ما ورد في هذا الحديث من تمثيل أجد الصورة المعبر عنها وهي الواردة في نص الحديث والمتكونة من شقين (صورة المؤمن الذي ببابه نهر للاغتسال اليومي وصورة المقيم المؤدي للصلوات الخمس) وهنا الربط بين عمل يومي وسلوك قد لا يعني عند الكثيرين من لا عقيدة لهم شيئا سوى عمل روتيني معتاد بينما هو عند المسلم المرتبط بعقيدة سمحاء حين يربط الاغتسال المتكرر لآداء فريضة إلهية مقدسة يأتمر فيها بأوامر الله ويتقيد بها حبا وخشوعا فهو يعني الكثير فجاء هذا التمثيل فيه التوجيه والتقرير والتصوير، كما أن ألفاظه معبرة عن المعاني بدقة وإيحاء،ولا يخفى ما لهذا الأسلوب النبوي المتفرد من فعالية في إيصال الألفاظ المشبعة بالمعاني إلى ذهن المتلقي المتعطش للهدي النبوي بطريقة الحوار بطرح السؤال وانتظار الإجابة ثم إعطاء

[1] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 156-157.

الصواب في جملة مركزة تحدد الغرض دون إطناب أو إطالة وذلك حين يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم حال المغتسل الذي ببابه نهر بحال المتوضئ لأداء الصلوات الخمس، فيكفي هنا التصوير من إطلاق الأمر المحدد والإشارة أبلغ هنا من معلم يربي النفوس ويرتقي بالضمائر إنه المبعوث رحمة ونورا للعالمين محمد عليه الصلاة والسلام قال تعالى: « **وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيما** » [1]

إن الرسول الكريم علمه العليم وأنزل عليه كتاب ضم بين دفتيه كلامه عز وجل كتاب موشى بالحكمة ومشع بنور العقل والوحدانية الإيمانية المؤيدة بالمنطق وروح الحق ورقة الوجدان فتهيأت له عليه الصلاة والسلام ملكة لغوية في أوج درجات البيان والفصاحة فهذا عليه الصلاة والسلام يقول : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا سقوا ورعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم و علم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، و لم يقبل هدي الله الذي أرسلت به" [2]

(أجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا، قيعان : جمع قاع: المكان المستوي الواسع).

"قال القرطبي: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان رجال الناس قبل مبعثه فكما أن الغيث يحي البلد الميت فكذا علوم الدين تحي القلب الميت، ثم تشبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما

---

[1] النساء ، الآية 113.

[2] الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب فضل من علم وعلم رقمه: 79 ص 21و في كتاب الامثال في الحديث النبوي لابي الشيخ الأصبهاني ص378.

جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيره [1]

وإنما جمع في هذا التمثيل النبوي بين الطائفتين الأوليين لاشتراكهما في النفع وأفرد الطائفة الثالثة لعدم النفع بها.

هذا من حيث المضمون الإجمالي لنص الحديث، أما إذا ما أردنا تأمل ألفاظ الحديث ومدى مناسبتها للمعاني فإننا نجد ذلك الثراء الديني واللغوي والعلمي في هذا الحديث، فالثراء الديني يتمثل في قدرته عليه الصلاة والسلام في تصنيف المستوعب لدين الله والمهتدي به وغير المنتفع من نو الله الذي أرسل به رسله لإرشاد البشرية فتراوح الناس بين ضال ومهتدي فالضال عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بـــ " من لم يرفع بذلك رأسا" أي كان ضرره يتجاوزه إلى أهله وحتى أمته فهو خزي وعار بينما المهتدي بعلم وتعلم ويرفع ويرتفع أما الثراء اللغوي فيتمثل في طواعيه اللغة التي انتقاها صلى الله عليه وسلم فعبر عن المعاني المقصودة تعبيرا ينم عن دقته في اختيار الألفاظ فهو هنا في هذا التصنيف لأنواع الأرض وكذا التربة، فهناك التربة الخصبة، التربة الطيبة التي استقبلت الغيث النافع فأنبتت الكلأ والعشب الكثير لفائدة الإنسان والحيوان وخير الإنسانية واستمرارية الحياة وكذلك الأرض التي تمسك الماء فينفع هذا الماء الناس في الشرب والرعي والسقي فمثل هذا النفع يقع على من فقه دين الله وما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم وثم مثل لمن لم يهتد بهدي النبي عليه الصلاة والسلام بالأرض ذات القيعان وهي الأماكن المستوية الواسعة والتي لا ينفعها الغيث ومن ثم لا تنبت لا عشبا ولا كلأ فهي غير منتجة ولا خير فيها من حيث النفع،فنلحظ هنا إذن هذه الدقة في الوصف وحسن اختيار الألفاظ ذات الدلالات المحددة مما ينم عن سعة علمه عليه الصلاة والسلام وقد أثبت العلم الحديث في إطار علوم الأرض والجيولوجيا هذا التصنيف

[1] أبو الشيخ الأصبهاني ، كتاب الأمثال ، ص 379.

لأنواع التربة حسب خصوبتها وكونها نفاذية للماء أو غير نفوذة له ومن خلال ذلك الوصول لمعرفة جودتها وإنتاجيتها.

ومن دقته صلى الله عليه وسلم في حسن اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني قوله عليه الصلاة والسلام كما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون :هلا وضعت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [1]

وهذه رواية للحديث من روايات أربع ذكرها الإمام مسلم رحمه الله وذكر الإمام البخاري –رحمه الله– روايتين، والروايات متقاربة وكلها توضح مكانته صلى الله عليه وسلم من أنه خاتم النبيين الذي اكتمل به بناء صرح الأنبياء وهو من باب ضرب الأمثال لتوضيح المعاني وتقريبها للأفهام وكشف حقائق الأشياء وهو تشبيه تمثيلي لأنه تشبيه حالة بحالة وجاء فيه المشبه به نكرة وجاءت بعده الجملة صفة له فالرسول صلى الله عليه وسلم شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بدار أسست قواعدها ورفع بنيانها وبقى فيها موضع لبنة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة وخاتم النبيين والغرض من التشبيه بيان أن دين الأنبياء جميعا واحد وإن اختلفت الفروع فالأصل واحد وإن لكل نبي شريعة ومنهاجا يضاف إلى هذا بيان فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وأن الله ختم به المرسلين وأكمل شرائع الدين [2] نلاحظ هذه القدرة اللغوية المتفردة عند خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام فهو قد أورد تصويرا بديعا لحال الأنبياء والديانات من أنها تتكامل وتتراص كالبنيان المتين الذي بنى في أحسن صورة وأمتنها إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه قد يخل عدم وضعها في كمال قوة وجمال البناء، فكل عاقل يقول : لولا وضعت هذه اللبنة والرسول عليه الصلاة والسلام هو تلك اللبنة المكملة للبناء المعماري المتراص للشرائع الإلهية الهادية والضابطة لمسير الإنسانية فإنه بتوظيفه لهذا البناء اللغوي

---

[1] رواه البخاري ،كتاب المناقب، باب خاتم النبيين برقم 3535 ص418،و رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم: 4239،وفي مسند أحمد برقم:10645 ،وفي الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي ، ص 23.

[2] عبد الباري طه سعيد ، أثر التشبيه في تصوير المعنى (قراءة في صحيح مسلم) الطبعة الأولى ، 1992،ص253.

يعطي انطباعا فنيا يرسخ في الذهن ويسلب الوجدان ويثري الفهم لأحقية رسالة الإسلام ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام فهي اللبنة التي تحافظ على هدي البشر وكذا إنقاذهم من ظلمات الجهل الذي كانوا على شفا حفرة منه، فتوظيف هذه اللفظة(اللبنة) توظيف موفق إلى أبعد الحدود لأنها قوت المعنى وجعلته بناءا ذا أسس متينة وعلو شاهق تتراص لبناته ليكون خير البشرية ونجاتها.

وهذا المعنى الوارد في الحديث الموالي يوافق ويؤيد المعنى السابق وقد روي كذلك عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه" [1]

فهذا الحديث من باب ضرب الأمثال لتوضيح المعاني وتقريبها للأفهام وكشف حقائق الأشياء تبصرة وهدى وهو يدل على مدى شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته وحرصه على هدايتها[2] وصدق الله تعالى حيث يقول في محكم التنـــزيل: « **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** » [3] فالرسول صلى الله عليه وسلم يشبه حاله مع أمته وصفته العجيبة بحال رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وغيره من الدواب ينجذب نحوها ويقع فيها وهو يحاول أن يمنعها خوفا عليها ورحمة بها، وهو تشبيه تمثيلي لأنه شبه حالة بحالة، والغرض من التشبيه بيان حرصه على هدى أمته من الإنجذاب إلى المعاصي لما لها من بريق زائف كمثل النار التي ينجذب إليها الفراش فيلقى حتفه فيها وهذا ما يؤكد أن الجنة محفوفة بالمكاره وأن النار محفوفة بالشهوات وهذا التمثيل شاهد ملموس ممن عاش في البيئة العربية فهم يوقدون النار لأسباب كثيرة ويشاهدون اقتحام الجنادب والفراش والدواب فيها[4] هذا من جهة ومن جهة أخرى لدينا الجانب العملي الملموس كذلك والتمثيل في إتباع

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية بيروت 1401ه-1981م ج15ص49-50.

[2] عبد الباري طه سعيد، ص 251.

[3] التوبة، الآية 128.

[4] عبد الباري، طه سعيد ، ص 252.

الناس لأهوائهم وشهواتهم وأنفسهم الأمارة بالسوء مما يرديهم ويوصلهم إلى سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

وفي تعبيراته عليه الصلاة والسلام عن هذه المعاني السامية دقة في حين انتقاء اللفظ خاصة في قوله عليه الصلاة والسلام: فأنا " آخذ بحجزكم" توظيف صيغة اسم الفاعل" آخذ" وما فيها من دلالة على الفاعلية والإستمرارية الوعظية للنبي الكريم صلى الله عليه رسلم فهو الذي كان يتنزل عليه الوحي الإلهي لأن الله اصطفاه لإبلاغ الرسالة المنجية وهذا بالقرآن الكريم آخر الكتب لآخر الرسالات وبهدي سنته المطهرة وفيها أحاديثه الشريفة، فاسم الفاعل " آخذ" يعبر عنه فترة حياته عليه الصلاة والسلام و الفترة التي ستبقى فيها هذه الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولن أكون مبالغة إذا قلت بأنه عليه الصلاة والسلام يستمر في دفاعه على أمته إلى يوم الحساب فيكون شفيعنا ومنقذنا من الخلود في النار، فهنا رحمة وحرص على النجاة «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** »[1] وبالمقابل تعنت بشري على الضلال الذي يصوره الشيطان صوابا والنفس بريقا وخلودا وقد عبر عنه صلى الله عليه وسلم بـــ : " وأنتم تقحمون فيه" وما في دلالة هذا الفعل من زخم على أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء إلى جانب التوظيف اللفظي للفعل المضارع"تقحمون" المعبر عن التجدد والإستمرار مما يوضح استمرارية الصراع بين الخير والشر وبين الهدى والضلال كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التشبيه التمثيلي.

**التشويق** : وهو من خاصيات التمثيلات النبوية ذات الأبعاد الدينية والفكرية والإنسانية الراسخة رسوخ العقيدة الإسلامية وشموليتها، إذ يشوق الرسول صلى الله عليه وسلم مستمعيه بضرب الأمثال التي تمكن المعاني في النفوس عند من يعي كنهها ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى الشعري- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد فيه

[1] الأنبياء ،الاية:107

ريحا طيبة ونافح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة" [1] إن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ينبه المستمع أو – المتلقي على مر العصور– إلى الأثر الناجم عن الصحبة الحسنة والصحبة السيئة ففي الحال الأول مثل للجليس الصالح الصادق المؤتمن بحامل المسك ذي الريح الطيبة الذي تتطلع إليه النفوس وتهفو إليه الأفئدة ومنفعته المادية المحسوسة هي: إما الابتياع أو شم الريح الطيبة ويقابلها في الواقع الإقتداء والسمعة الحسنة التي تترتب عن صحبة الأخيار أما في الحال الثانية فقد مثل للجليس السوء بنافخ الكير الذي تلحقنا من جراء صحبته تبعات وهي إما حرق الثوب أو الريح الخبيثة.

ويقابلها في الواقع الآثار السيئة التي نلاحظها كنتائج للصحبة السيئة بالنظرة السلبية للشخص وعدم ائتمانه وجعله لاحقا أو تابعا لصحبته مهما كان سلوكه قريبا من الإعتدال " فتقر هذه المعاني في النفوس، ويشتد الحرص على اختيار الجليس الصالح، والبعد عن جليس السوء، حيث وقفت النفوس بعد أن هيئت ونبهت على صورة محسوسة مشاهدة لمنافع الجليس الصالح ومضار جليس السوء وهذا من شأنه أن يدعو لاختيار الأول والنفور من الثاني... وقد أبرز عليه الصلاة و السلام المعاني في صور مشاهدة محسوسة لتتجلى أمام العقول ويزداد الحرص على الإمتثال والإجابة" [2]

فأسلوب الحديث النبوي في عرض التمثيلات مشوق في مضمونه، وفي أدواته التعبيرية، فقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على هدي أمته بكل الوسائل المشروعة المشوقة بترغيبهم أو ترهيبهم فهو المربي الذي لا ينطق عن الهوى والمعلم الناصح والأستاذ الذي لا يتوانى عن توضيح الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي لذلك فإن المثل المتضمن تشبيها تمثيليا يعد عقدا نفيسا في رصيد البيان النبوي، فأنى قلب الإنسان فكره في معانيه وجد صورة قريبة من نفسه وكلمات مدركة في حسه.

---

[1] رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد ،باب المسك برقم5534 ص666.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود ، التشويق في الحديث النبوي طرقة وأغراضه، مطبعة الحسين الإسلامية ، الطبعة الأولى 1993، ص 124.

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام والمتميزة بخاصية " التشويق" في سرد الحدث المنبه والداعي إلى التدبر قوله عليه الصلاة والسلام، عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما، فقال : ياقوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" [1]

والصورة في هذا المثل من الصور المألوفة آنذاك صورة النذير العريان أو ربيئة القوم الذي يستطلع الأخبار، وكان من عادته أنه " إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا عنهم ليخبرهم بما دهمهم وقالوا : إنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو، وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانا " [2] فالنذير العريان يضرب مثلا لكل من جاء بأمر عظيم الخطر، وهو الذي ظهر صدقه[3]

والصورة ذات طرفين، تحكي حال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مع أمته من الإنذار والإشفاق، وحال قومه ما بين مطيع له، ومكذب بالحق الذي جاء به، سواء في الجيل الذي عاصره أو الأجيال اللاحقة له، وإن هدف الرسول عليه الصلاة والسلام من وراء هذا المثل النبوي أن يؤكد حرصه على نجاة قومه، وشفقته عليهم، ومبالغته في إنذارهم، فها هو يمثل حاله مع قومه وحال ما بعثه الله به من الهدى والعلم بحال ذلك الرجل المنذر الذي بدت عليه كل أمارات الصدق و بانت دلالة حاله وهيئته بتجرده من ثيابه واستثارتهم بشتى وسائل الإنذار، وإغرائهم إلى النجاة ودعوتهم للإسراع إلى إنقاذ نفوسهم من خطر داهم ولكن على الرغم من تأكد صدقه،

---

[1] صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم 7283 ص847و الحديث في أمثال الرامهرمزي رقم 10 ، ص 29 وفي صحيح مسلم في كتاب الفضائل باب : شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تخويفهم مما يضرهم .

[2] صحيح مسلم، بشرح النووي ج 15، ص 48.

[3] الرامهرمزي، أمثال الحديث ، ص 29.

صدقته طائفة فعملوا على النجاة بشتى الوسائل فنجوا وكذبته أخرى فهلكت وكانت نتيجتها البوار والخسران والهزيمة المنكرة وهذان هما طرفا التشبيه التمثيلي والوجه الجامع بينهما، صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدقه وخسر من كذبه وهكذا، حال الناس تجاه هذا الدين في كل عصر ما بين مصدق ومكذب.

وصياغة هذا التمثيل مليئة بالدلالات الثرية، ولا ريب أن المخاطب حين يسمع كلمة "مثل" يتشوق إلى أمر عجيب، له من الغرابة والأهمية ما يستحق أن يشوق به الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال إيراد التشبيه التمثيلي بهذا الأسلوب المشوق والملفت للإنتباه،وفي سياق قصصي يدعو السامع إلى الرغبة الملحة في بلوغ المقصد و فهم الغاية.

ذلك أن "المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير...ولم يضربوا مثلا، ولا أراه أهلا للتسيير(يصير مثلا سائرا) ولا جديرا بالقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه" [1] وهذا من شأنه أن يمكن المعنى في النفس، ويستزيد فيها الشوق والتطلع إلى مغزى الصورة التشبيهية في هذا المثل.

إلى جانب أن طريقة خطاب هذا المنذر لقومه مليئة بالمؤكدات، وذلك من خلال تعبيره عليه الصلاة والسلام " رأيت الجيش بعيني" والرؤية لا تكون إلا بالعين ولكن لهذا التعبير دلالته بقطع كل احتمال أو تجوز إذ أن الرؤية حقيقية وشخصية لا مجرد نقل عن رؤية آخرين.
هذا فضلا عن تأكيده صلى الله عليه وسلم في بداية الحديث " إن مثلى ...وإني أنا النذير العريان...".

ونلحظ شدة حرص هذا النذير على استنهاض قومه واستفاقتهم، فلم يكتف بدلالة هيئته على أمر الإنذار بل أكد ذلك في الجملة الثانية بقوله: " وإني أنا النذير العريان، وهي جملة مؤكدة هي الأخرى عن طريق " إني".

[1] الزمخشري، الكشاف،دار الفكر بيروت ، ج1 ، ص 195.

والقصر الوارد من خلال وجود ضمير الفصل بين الطرفين (وإني، أنا النذير) والقصر له قيمته في تأكيد المعاني ودفع الشك" [1] وصدق الله العظيم إذ وصف نبيه بقوله عز وعلا :

« ... **إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** » [2] .

والنصوص القرآنية وتاريخ الدعوة يبين أن هذه الصورة المجملة لإنذاره هي من بعض ما يتصف به النبي محمد عليه الصلاة والسلام وتتصف بد دعوته من الصدق والإخلاص والحرص والتأكد وقيام الحجة[3]

ونلحظ في نص هذا التشبيه التمثيلي أن المشبه به قد نال حظا وافرا من التفصيل وإبراز جوانب الصورة فيه دون المشبه، ولكن هذا التفصيل في طرف المشبه به يوصل إلى ما حذف من جانب المشبه على سبيل الإيجاز، وهذه الطريقة ذات أثر فعال في تنشيط الذهن وتقوية الربط بين الطرفين في ذهن السامع أو المتلقي مما يعطيه رغبة واشتياقا لمواصلة القراءة ومعرفة الصورة الكلية مع قرن ما يتحدث به من محسوسات للوصل إلى الأفكار المجردة المقصودة من خلال إبراز هذا التمثيل المشوق.

" ويرتبط هذا المثل الدال على صدق صاحبه بمناسبة وقال عبد الملك: هذا مثل قديم، وذلك أن رجلا لقي جيشا فجروده وعروه، فجاء إلى المدينة، فقال إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير لكم " ... وتروني عريانا جردني الجيش، فالنجاء، النجاء، ويقول ابن السكيت: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لأمته لأنه تجرد لإنذارهم" [4]

وهذا ما يدلنا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوظف في كلامه ما ارتبط بالبيئة العربية وطريقة حديثها وكان هذا الوصف المستخدم في نص الحديث مستمدا مما شاع من أمثال بين الناس حين التعبير عن حال مشابهة إذا كان توظيفه محققا للغرض، مشوقا للسامع مرغبا له في

---

[1] عز الدين السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، ص 179.

[2] سورة هود ، الآية 12.

[3] المرجع نفسه، ص 180.

[4] العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية بيروت ،ج 23 ، ص 75-76.

الخير، وواعظا له عن الشر وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يذيع من الأمثال ما يحمل روح الإسلام ومنهجه ولذلك ضربها للناس وأكثر منها في كلامه البليغ الموصل إلى الغاية المرجوة وهي النجاة ورضي الرحمن.

وأما الخاصية الثالثة التي تميز بها الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية وخاصة ما تعلق بالتمثيل فإن التمثيلات النبوية في أغلبها مستمدة من الطبيعة بصورتيها المادية والمعنوية .

**توظيف الطبيعة:**

الطبيعة ميدان خصب وثري للتمثيلات لأنها تتميز بالحيوية والتجدد الدائمين والتفاعل مع مختلف عناصرها وكذا مع الإنسان المرتبط بهذه الطبيعة بكل تفرعاتها وتداخلاتها فهو متفاعل مع الطبيعة الإنسانية كفطرة وكغزيرة من جهة ومع الطبيعة المحسوسة كمادة حية أو كمادة جامدة من جهة أخرى وقد بدت هذه الخاصية واضحة جلية في القرآن الكريم وقد نحا نص الحديث النبوي الشريف نحوه فمثلا القرآن عندما يوضح أعمال الكفار يقول تعالى: **« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً »** [1] .

فحين نقرأ هذه الآية بتدبر ووعي نجد أن الله عز وجل قد مثل أعمال الكفار " بسراب" لا قيمة له- وهو ظاهرة من ظواهر الطبيعة- حيث يغري الظامئ بمظهره الشبيه بالماء وكم هو آنذاك بحاجة إلى غرفة منه فيسرع نحوه متكلفا في ذلك جهدا حتى يصل إلى مرمى البصر لاهث الأنفاس خائر القوى،ثم لا نجد شيئا إلا ذلك الوهم الذي ارتسم له من بعيد فلنا أن نتصور كيف تكون نفسه (ذلك المتوهم) بعد أن أجهد نفسه و لم يبل ريقه بقطرة ماء وكذلك الكافر، الذي يوهم نفسه بجدوى كفره للحق والنور من أنه سيحصل على مبتغاه وإنما هو كالمتمسك بالسراب وهذا هو الوهم وليس إلا هو.وقد اعتمد المفهوم المتضمن في هذه الآية على الطبيعة وما فيها من مظاهر كالسراب والقيعة. وحالة الظمأ والعطش وهذا من الإفرازات الطبيعية المرتبطة بطبيعة الانسان.

---

[1] سورة النور- الآية 39.

وكما استمد القرآن الكريم تمثيلاته من الطبيعة الحية والجامدة وبالأخص من أنواع الزروع والحيوانات ومظاهر الطبيعة وما فيها من تنوع وتجدد فكذلك الحديث النبوي، وإن أكثر العناصر التي وظفها الرسول عليه الصلاة والسلام قد وردت كذلك في القرآن الكريم وهذا مما أعطاها قوة وأصالة وتأثيرا في المتلقي الواعي، وقد قسمت العناصر التي استمد منها الرسول الكريم تمثيلاته إلى:

أ. **المادة الحية**: وخصصت فيها عنصري:

**النبات والحيوان**:

**أولا**: **النبات**: وظف الحديث النبوي الشريف في كثير من تمثيلاته النباتات بشتى أنواعها حسب المواقف التي تستدعي نوعا دون آخر، فحديث يشبه المؤمن بخامة الزرع في رسوخ إيمانه، ويمثل له بالنخلة في عموم نفعه، وبالأترجة في طيب مظهره ومخبره،... كما أنه بالمقابل يمثل للكافر والمنافق ببعض الزروع الخبيثة كالحنظلة مثلا... وسأورد فيما يلي نماذج للتمثيلات النبوية المستمدة من النبات ثم المستمدة من الحيوان.

1. **النخلة**: يصف الرسول الكريم المؤمن الأصيل بالنخلة، كشجرة ثابتة في الأرض وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وقد جاء هذا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: " كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جمارا" [1] فقال: " من الشجر شجرة كالرجل المؤمن فأردت أن أقول هي: النخلة، فإذا أنا أحدثهم [2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي النخلة"[3]

وإن وجه الشبه بين المؤمن والنخلة يتمثل في الأصالة من حيث أن المؤمن أصيل الطبع، صادق الإحساس، نقي النفس ثابت على الحق، كما النخلة أصيلة بتغلغل جذورها وطيب ثمارها

---

[1] جمارا: هو الذي يأكل من قلب النخل يكون لينا .عن كتاب الأمثال للرامهرمزي ص 70.

الجمار: شحم النخل، واحدته : جمارة، وهي شحمته التي في قمة رأسه تقطع قمته ثم تكشط عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة (مادة جمر لسان العرب ج1- ص 676)

[2] أحدثهم: يقصد أصغر الجالسين من الصحابة سنا.

[3] أخرجه البخاري في كتاب العلم1 باب الحياء في العلم برقم131 ص28 و في كتاب الأمثال للرمهرمزي- ص 70.

وعموم نفعها بكل ما حوته من مكونات، والنخلة سيدة الشجر ضربها الله تعالى مثلا لقوله عز وجل : « **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء** » [1]، كما أن في النخلة حضن دافئ لجأت إليه –مريم عليها السلام –بوحي من الله وفي ذلك حكمة إلهية ودلالة على منافع هذا النوع من الشجر، وقد قال تعالى: « **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** » [2]

وقد جاء في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن الرطب فالتمر، وليس شيء من الشجر أكرم على الله تعالى من شجرة نزلت عندها مريم بنت عمران"[3]

وقد أحاط ابن حجر بفوائد النخلة وما فيها من ارتباط بمنافع المؤمن، حيث قال: " وبركة النخلة موجودة في كل أجزائها مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره وحتى بعد موته"[4]

فهذا التمثيل النبوي أعطى بعدا روحيا للإنسان المؤمن من حيث جدواه في دنياه وفي آخرته ويكون نفعه في دنياه بالقدوة الحسنة والكلمة الطيبة والعمل الصالح، وبعد مماته بالأعمال التي خلفها والعلم الذي ألفه إن كان عالما وفي آخرته بأن أعطي حق الشفاعة في بعض أقاربه إن كان ممن تفوق في رصيد الحسنات وكان من السابقين أو أصحاب اليمين.

---

[1] سورة إبراهيم– الآية: 24.

[2] سورة مريم– الآية :25.

[3] الرامهرمزي– كتاب الأمثال– ص 73.

[4] ابن حجر العسقلاني– فتح الباري ج1– ص 147.

**الشجرة**: من تمثيلاته عليه الصلاة والسلام أنه شبه المؤمن حين يصيبه البلاء فيلقى قدر الله بالصبر والاحتساب فتتساقط ذنوبه بالشجرة حين تتساقط أوراقها في فصل الخريف كمظهر من مظاهر الطبيعة وسنة من سننها حيث يقول عليه الصلاة والسلام: " ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها" [1] وفي رواية " المريض تحات خطاياه كما يتحات ورق الشجر "[2]

أو في رواية أخرى" كما تحت[3] الشجرة ورقها"

فكما أن تساقط أوراق الشجرة يعطيها منظرا كئيبا في فصل الخريف، فإن إصابة المؤمن بالبلاء يكسو محياه منظرا حزينا، ولكن حقيقة الأمر بالنسبة للشجرة أن هذا التساقط مرحلة آنية سرعان ما تنتهي مع فصل الربيع حيث التجدد والنمو والحياة الزاهية من جديد فتكتسي الشجرة أزهارا وأوراقا غضة طرية ثم ثمارا حلوة طيبة، وكذلك المؤمن بتساقط ذنوبه وسيئاته مع البلاء يصفو جوهره ويزداد قوة في الإيمان وقربا من الله ولا يشعر بهذا الإحساس إلا النفوس المؤمنة والأرواح الطاهرة لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" عجبت من أمر المؤمن، إن أمره كله له خير،... إذا أصابته نعماء شكر كان ذلك له خيرا، وإن أصابته ضراء فصبر كان ذلك له خيرا"[4]

هذا في المؤمن، أما الشعراء فقد وصفوا الطبيعة بما فيها من شجر وتعاقب للفصول حيث قال الشاعر:

نثر الخريف على الثرى أوراقه فتناثرت كتناثر العبـــــــرات

يتركن أغصانا ألفن عناقها ويقعن على الأرض مكتئبات

---

[1] صحيح البخاري ،كتاب المرضى ،باب شدة المرض برقم:5647ص677.

[2] مسند أحمد،والحديث برقم:16056،كتاب:أول مسند المدنيين أجمعين،الباب:حديث أسد بن كرز جد خالد القسري.

[3] حتت(ح ت ت) حت الورق عن الشجرة فانحت وتحات،...وتحاتت أسنانه تناثرت،... ومن المجاز: حت الله ماله، وتركوهم حتا بتا، وحتا فتا بمعنى أهلكوهم، وحت القوم عن الشيء ردهم عنه، وفرس حت: سريع كأنه يحت الجري حتا،.... عن أساس البلاغة للزمخشري ص 127.

[4] رواه مسلم،في كتاب الزهد والرقائق برقم5318 ،وفي مسند أحمد برقم:18171،كتاب:أول مسند الكوفيين.

ففي تساقط أوراق الأشجار جانب مرئي محسوس في أغلبه- وفي تساقط الذنوب جانب معنوي له توغلاته الروحية في عمق الوجدان وخفايا الفؤاد وهنا يبرز إبداع التمثيل النبوي بما يضفي على المادة من روح الحياة وجمال الروح المتطلعة دوما إلى المثل الأعلى، ولا يمكن للمؤمن لأن يرتقي إلى هذه الدرجات العليا إلا إذا ابتلاه الله فثبت و هنايتضح نبل جوهره وصفاء معدنه فتكون المكافأة الإلهية بتساقط الذنوب وعلو المترلة.

2. **الحنظلة**: ويمثل النبي الكريم للكافر الذي لا يقرأ القرآن بهذا النوع من النبات الذي لا جمال له ظاهريا، ولا نفع له باطنيا، فهي " ليس لها ريح وطعمها مر" فكذلك الكافر الفاجر لا يرجى نفعه في أعماله وأقواله الظاهرة من جنوح عن الحق والصواب إلى الباطل والفساد ومن خبث الباطن وسوء السريرة، وهذا لبعده عن الجادة وعدم قراءته للقرآن وما فيه من نور بعيد عنه فسربله الظلام من كل حدب وصوب فكان كالحنظلة والتي مثل لها الله تعالى بقوله: « **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** » [1]

وقد قال الحكيم الترمذي في هذا المعنى : " ومثل الكافر كشجرة خبيثة طعمها مر خبيث لا خير ولا أصل، اجتثت أي انتزعت من فوق الأرض مالها من قرار، أي من أصل، بأدنى ريح تقع على وجه الأرض، وتخرج من أصلها، كذا كلمة الكافر"[2]

وقد أورد الرسول الكريم هذا التمثيل النبوي ضمن تمثيلات أخرى قبله وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها"[3]

---

[1] سورة إبراهيم- الآية: 26.

[2] الحكيم الترمذي- الأمثال من الكتاب والسنة- ص 22.

[3] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل القرآن على سائر الكلام برقم 5020 ص610 واورده أبي الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي برقم 318 ص 271.

فالحنظلة إذن تمثل كل العيوب والسيئات التي يوصف بها النبات فلا طعمها حلو ولا رائحة لها البتة، وبالمقابلة بينها وبين الأترجة نجد المؤمن الحق القارئ للقرآن الصادق يشبه هذه الثمرة الطيبة الطعم والذكية الرائحة، وتدركها معظم الحواس التي حبانا الله بها فنراها بالبصر فترتاح العين بمنظرها الجميل الذي تأنس له حاسة الرؤية وكذا النفس، ويتذوقها اللسان فيستطعم طعمها اللذيذ والممد للجسم بعناصر الصحة والحيوية، ويشتم رائحتها الأنف بحاسة تميل إلى الريح الطيبة وتأنف من الرائحة الكريهة، وتتلمسها اليد بالتناول لأغراض شتى، فيا لها من فوائد عظيمة بينما بالمقابل هو الكافر لأنعم الله يشبه بالحنظلة القريبة من الأرض لدونيتها فلا جذور عميقة لها ولا طعم ولا رائحة لأن الكافر لا جدوى له لا لنفسه ولا لغيره.

3. **خامة الزرع**: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، حتى يأتيه أجله، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة"[1]

ويقول ابن حجر العسقلاني: " والخامة ... هي الطاقة الطرية اللينة أو الغضة... وقيل الخامة: الزرع أول ما ينبت على ساق واحدة..." [2]

فالمؤمن يتعرض في حياته إلى مواقف صعبة وابتلاءات كثيرة فيخشع وينحني لله راكعا وساجدا يطلب عافيته ويرجو صفحه وعونه وهو في هذا المثل خامة الزرع التي تميل بها الرياح يمنة ويسرة ولكنها تصمد في وجه عتو الرياح ثم تعتدل وتنمو حتى تعطي البذور الطيبة لآكليها من مخلوقات الله، فكذلك هو المؤمن المحتسب لله عمله، العامر قلبه إيمانا يفرج الله عليه بعد المحن والنكبات فبعد ما تعتور حياته الهموم والخطوب تصفو نفسه بعد انجلاء الكروب ويعود إلى الله أكثر قوة ونورا يتلمس بذوره في روحه المتسامية التي جنى رحيقها من دروس الحياة.

---

[1] أخرجه البخاري كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض برقم 5643 ص677 ومسلم بشرح النووي ج17ص15 والرامهرمزي ص 80.

[2] ابن حجر العسقلاني- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج10- ص 106.

كما جاء في المعنى نفسه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمن مثل السنبلة تقوم أحيانا وتميل أحيانا" [1]

وقد قال الطرماح: [2]

إنما نحن مثل خامة الزرع  متى يأن يأت محتصده [3]

فهذا هو المؤمن ليس هين رفيق رحيم يخلو قلبه وفعله من الغلظة والشدة، لذلك فقد شبه القرآن الكريم قوة الإيمان باستواء الزرع وانتعاشه حيث يقول عز وجل: « **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** » [4]

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الزرع والشطء أصحابه، وهو تمثيل قرآني يعبر فيه عن قلة مناصري الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة المحمدية في أول الأمر ثم كثروا وقويوا يوما بعد يوم بحيث أعجب الناس باستحكام تلك القوة وانتشارها في ربوع الأرض، كما نعجب بنمو النبات وتكاثره مما يبهج النفس بتلك الخضرة المريحة للنظر والمتحولة غذاء لمخلوقات الله.

فهذا عن المؤمن، أما الشق الثاني من التمثيل فهو تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم للكافر " بالأرزة" وهي الشجرة الصلبة التي تصمد في وجه الرياح التي تهب من كل جانب لأنها ثابتة غليظة، ولكن حين يشتد هبوب الريح الصرصر العاتية تنقصم أو تنجعف مرة واحدة، والإنجعاف، الإنقلاع، ومنه قيل: جعفت به الأرض: إذا صرعته فضربت به الأرض، والإنقصاف مثله..." [5]

وقد ذكر الرامهرمزي رأيه في هذا الحديث بقوله: " هذا فيما نرى أنه شبه المؤمن بالخامة التي تميلها الريح لأنه مرزأ في نفسه وأهله وولده وماله، والكافر كمثل الأرزة التي تميلها الريح أي

---

[1] الرمهرمزي- كتاب أمثال الحديث- ص 80.

[2] الطرماح بن حكيم: شاعر إسلامي من طيء، ويكنى أبا نقر، (الأغاني ج 10- ص 148) والشعر والشعراء ص 585 إلى 590 عن لرامهرمزي- ص 80.

[3] المرجع نفسه (البيت في لسان العرب مادة خوم ج2- ص 1294) .

[4] سورة الفتح- الآية: 29.

[5] الرامهرمزي- ص 81.

لا يرزأ شيئا وإن أرزى لم يؤجر عليه حتى يموت فشبه موته بانجعاف تلك حتى يلقى الله عز و جل بذنوبه "[1]

وبهذا الحديث النبوي الذي انطوى على جانب خير ونافع وهو خامة الزرع الممثل بها للمؤمن وجانب غليظ قاس وهو الأرزة الممثل بها للكافر، يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد استمد هذه المظاهر من الطبيعة النباتية ليوصل الفكرة إلى الأفهام ويبين ما يجب أن نكون عليه وما يجب أن نتركه بأسلوب تربوي شيق ومؤثر.

4. وأختم تمثيلات الرسول من النبات – رغم غزارتها بهذا الحديث النبوي الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: " يدخل أهل الجنة الجنة،(يدخل من يشاء برحمته)، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى : " أنظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيخرجون منها حمما قد امتحشوا(اسودوا) فيلقون في نهر الحياة، أو الحيا، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟"[2]

المشبه هنا: إنبات أجساد من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان بعد ان اسودت أجسامهم (أي احترقوا) من تأثير نار جهنم، ثم يلقون في نهر يسمى نهر الحياة أي النهر الذي يشبه المطر في استمرار الحياة على الأرض، فتخرج أجساد هؤلاء حسنة نظرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقرر المعنى في النفس بأسلوب الاستفهام لاستحضار الصورة بقوله : " ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟" هذا بالإضافة إلى ما في التشبيه من غرابة وما ينطوي عليه من روعة في الجمع بين المتباعدين وهما (أجساد محترقة تصير نبات أصفر ملتو) وفي بعض الروايات: " حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة" ثم تنبت تلك الأجساد كنبات طري، حسن المنظر منبسط، متمايل كالريحانة، إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء وأبت أن يخلد في النار " من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان".

---

[1] المرجع نفسه– ص 81.

[2] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان والحديث برقم: 184 ،ص101 ، ورواه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم: 4361،وفي عمدة القارئ للعيني ، كتاب الإيمان ص178.

ويرى العيني أن هذا التشبيه من قبيل التشبيه المتعدد" تشبيه متعدد من حيث الإسراع ومن حيث ضعف النبات، ومن حيث الطراوة والحسن"[1]

وإني أرى أنه تشبيه تمثيلي مركب، قد امتزجت الصورة وجزئياتها مع بعضها البعض لتدل على هيئة خاصة وهي الضعف مع الطراوة وحسن المنظر مع السرعة في الإنبات، كما أنه في حال خروجه من الأرض يتمايل متبحترا، وقد قال النووي:" لسرعة نباته يكون ضعيفا، ولضعفه يكون أصفر ملتويا، ثم بعد ذلك تشتد قوته"[2]

إن هذا الحديث النبوي المستمد من الطبيعة والمرتبط بالعالم الغيبي الذي أخبرنا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي « **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** »[3] وظف فيه عناصر من الطبيعة التي نراها بنباتها ومائها وما يعتريها من حالات كالإحتراق والإسوداد أو الإصفرار والإلتواء، وهذا كله كأدوات ووسائل لتوضيح المعنى وإيضاح الفكرة وتوصيل ما وعد به الله أهل الجنة وما توعد به أهل النار ثم العذاب الذي يلقاه المستهترون ثم يرحمون بما حوت قلوبهم ولو بمثقال حبة من خردل من إيمان، وحبذا لو أن هؤلاء نموا إيمانهم فلم يعذبوا كل ذلك العذاب ولكن الله هو الهادي إلى سواء السبيل.

فمما سبق أجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استعمل في تمثيلاته العناصر النباتية المتنوعة في معرض تشبيهه للمؤمن التقي النقي أو في سياق وصفه الكافر والمنافق وما يتصفان به من صفات ترتبط بالنبات بمختلف أنواعها ولكن قد اقتصرت في التحليل على بعض الأحاديث وسآتي إلى جردها وإحصائها في حينها إنشاء الله تعالى بوضع جداول لأغلب تمثيلات الرسول صلى الله عليه وسلم التي اتخذها كنماذج في بعض التمثيلات النبوية المعبرة عن ثراء لغته صلى الله عليه وسلم.

---

[1] العيني- عمده القارئ شرح صحيح البخاري ج1- ص 172.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي- ج3- ص 124.

[3] سورة النجم- الآيتان 3و4.

**الحيوان:** ومن المادة الحية الموزعة في أحضان الطبيعة الكونية " الحيوان" الذي كان أداة طبيعة استمد منها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثيلاته الموجهة لبني الإنسان وبالأخص للمؤمنين بهذا الدين الحنيف الإسلام، الذي حث معتنقيه على تأمل الكون وما فيه من مخلوقات ليزدادوا إيمانا بقدرة الله وعظمة خلقه ودلائل وحدانيته وتفرده بالخلق فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** » [1]

وقد سميت سور من القرآن بأسماء حيوانات: مثل البقرة، الأنعام، النحل، النمل،ومن المؤلفات القيمة في البحث العلمي ما كتبه الجاحظ في كتابه" الحيوان" وقد قال في مقدمة هذا المؤلف: " إن البحث في شأن الحيوان ضرب من ضروب التعبد، ولون من ألوان البحوث الدينية التي تنتهي بصاحبها إلى معرفة عظمة الله وعظم ما أبدع وبرأ"[2]

ومن أنواع الحيوان التي شبه بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأثرى بها تمثيلاته البليغة، قوله في:

1.**النحلة:** " مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا، ووضعت طيبا..." [3] فهذا مثل المؤمن في صحة عقيدته وعهده وسره وعلانيته وسائر أحواله... فالنحلة كريمة تتغذى بألطف غذاء وأشرف ما يتغذى به ذو حياة (رحيق الزهور) و تمج العسل وهو أطيب طعام وأعذبه، وإليه المثل في الحلاوة التي هي أعجب الطعوم مذاقا وأفضلها مأكولا ومشروبا، وأوقعها في النفوس مواقع الغاية ويقال إنها بإذن الله وقدرته تحمل العسل في أفواهها والشمع في أفخاذها وظهورها..." [4]

فكذلك حال المؤمن الطيب القلب والسريرة فهو يحمل في فمه الكلام الطيب والذكر الحسن، ولاتأتي جوارحه إلا كل طيب حسن، لذلك مثل له الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التمثيل الرافع لشأنه، كما أن العسل الذي تنتجه النحلة فيه الشفاء والعافية بإذن الله

---

[1] سورة الغاشية- الاية: 17.

[2] الجاحظ " الحيوان"- ج1- ص 23.

[3] الرامهرمزي- أمثال الحديث- ص 67.

[4] المرجع نفسه- ص 67-68.

فكذلك نفس المؤمن وكلامه الطيب وعمله الصالح فيه العافية والعاقبة الحسنة بالفوز في الدارين (الدنيا والآخرة) له ولمن عاشر من الناس المحظوظين بمؤانسته وطيب سلوكه، وقد قال تعالى في النحل: « **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ** » [1]

ومن قول الشاعر:

وإن حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل في أبكار عوذ مطافل[2]

وقد روى حديث آخر عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مثل المؤمن مثل النخلة أو النحلة إن شاورته نفعك وإن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك" [3]

فالنحل إذن آية من آيات الله في الكون، وقد خصت بسورة في القرآن الكريم كما استمد منها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام تمثيلا للمؤمن طيب الروح والجسم والعمل.

**2.الإبل:** قال صلى الله عليه وسلم :" مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها بعقلها مسكها عليه، وإن أطلق عقلها ذهبت"[4]

وقد مثل النبي الكريم للقرآن الذي يتعهده صاحبه بالتلاوة والحفظ والعمل بالإبل المعلقة: أي المشدودة بالعقال (القيد الذي تشد به ركبة البعير)، " ومنهم من يقول بضم العين ومنهم من يقول بفتحها، وأهل العربية يختارون الفتح وهو مصدر قولك: عقلت البعير أعقله عقلا إذا شددته بعقال، والعقل: الحبل الذي تربط به، ومن قال بالضم فإنما يحتاج معه إلى حركة القاف ليكون جمعا للعقال كما تقول: حمار وحمر وعقال وعقل وجراب وجرب..." [5]

---

[1] سورة النحل- الآيتان: 68-69.

[2] البيت لأبي ذؤيب الهذلي والعوذ: الإبل التي وضعت أولادها حديثا، والمطافل جمع مطفل وهي ذات الطفل من الإنسان والوحش معها طفلها وهي قريبة عهد النتاج (في لسان العرب مادة: طفل) نقلا عن الرامهرمزي أ مثال الحديث ص 69.

[3] الرامهرمزي أمثال الحديث ص 69.

[4] أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده برقم 5031 ص611 ور واه مسلم في صلاة المسافرين ج6 ص75، وفي ابن ماجة في كتاب الأدب برقم:3773و أورده أبي الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال برقم:323 ص 375.

[5] الرامهرمزي- كتاب أمثال الحديث ص 87.

وإن تعاهد القرآن بالقراءة المستديمة والتفهيم الدائم لمعانيه وأحكامه مما يتطلب من المؤمن بذلا للجهد لربط مشاعره ومجاهدة نفسه ليبقى موثوق الصلة بكتاب الله لأنه إذا غفل عنه نسيه، وفي هذا المعنى يقول عليه الصلاة والسلام: " بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آيةكيت وكيت بل نسي واستذكروا القرآن فأنه أشد تقصيا من صدور الرجال من النعم" [1] فكذلك الإبل فهي من أصعب الحيوانات نفورا وشرودا فضرب المثل في ذلك بقولهم: أشرد من بعير،...

وقد جاء حديث آخر بالمعنى نفسه وبرواية أخرى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تقصيا من الإبل في عقلها" [2] فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم (القرآن بالبعير الذي يخشى منه الشراد فتعهده بالعقال أمن نفوره أما إذا أهمل شرد وند وصار من الصعب إمساكه، وكذلك القرآن فمتى ما كان المسلم شديد العناية به لا يترك تعاهده بالتلاوة بل يجعله سمره في خلوته وجليسه في وحشته... دام حفظه وطال مقامه أما إذا أهمل شأنه وشغلته الصوارف عنه نسيه، وكلما طال العهد بتركه إزداد نسيانا، ووجد مشاقا جسيمة في استعادة حفظه وثقل عليه استدراكه بعد تفلته من قلبه) [3] وهذا ما يوافق قوله تعالى : «**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** » [4] " "وخص الإبل بالذكر لأنه أشد الحيوانات نفورا وفي تحصيلها بعد استكمال نفورها صعوبة" [5]

والحديث من باب ضرب الأمثال للتقريب إلى الأفهام وإنما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بالإبل دون غيرها من الخيل والحمير والبغال، وإن كانت إذا لم تربط ذهبت وشردت، لما بين القرآن والإبل من التناسب: ومن ذلك أن الإبل تنقاد مع الضعيف والقوي... مع شدة قوتها

---

[1] رواه مسلم برقم ،كتاب:صلاة المسافرين وقصرها،باب:الأمر بتعهد القرآن 1314، ورواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ،باب استذكار القرآن وتعاهده برقم5032ص611،

[2] رواه البخاري برقم 5033 ص611 .

[3] محمد عبد العزيز الخولي الأدب النبوي دار القلم- بيروت- لبنان الطبعة الأولى 1986- ص 314.

[4] سورة المزمل- الآية: 05.

[5] ينظر صحيح مسلم بشرح النووي- ج6- ص 78.

وعظم خلقها والقرآن مع علو قدره وجلالة أمره وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ميسر منقاد للضعيف والقوي [1] وقد قال تعالى: « **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**» [2]

كما مثل الرسول صلى الله عليه وسلم بـــ" الإبل" في قوله: " والذي نفسي بيده، لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض" [3]

لقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ذوده الكفار والمنافقين- مما لا علاقة لهم بالإسلام والإيمان الحق- عن حوضه الشريف في اليوم الآخر بحالة الراعي الذي يطرد الناقة الغريبة أو البعير الغريب عن الحوض الذي تشرب منه إبله تفضيلا لإبله وعدم أحقية الغريبة لذلك الماء.

فهذا التمثيل مأخوذ من بيئة صحراوية معيشة برمالها الممتدة وشمسها الحارقة وظمأها الشديد وبالمقابل حوض فيه ماء نقي للشرب وإشفاء غليل الظمأ والعطش لإبل طال وقت انتظارها للسقي وهذه الحالة قابلها الرسول الكريم بحاله مع أتباعه يوم القيامة حيث يقف صلى الله عليه وسلم أمام حوضه العذب فيترك أتباعه من أمته يشربون ويطفئون ظمأ هجير جهنم ونارها بينما يبعد ويدفع عن حوضه صلى الله عليه وسلم المنافقين والكفار والمبتدعين للفتن، فيكون هؤلاء المبعدون كمثل الإبل الغريبة التي يبعدها الراعي عن إبله التي يتعهدها بالرعاية حتى تروى من الماء المخصص لسقياها.

ورغم أن الإبل في الحال الأولى لن تتألم كثيرا لأنها ستترك لها فرصة لاحقا لتشرب وإن تأخر الوقت ولكن أنى للمنافقين والكفار أن يشربوا من حوضه عليه الصلاة والسلام وهيهات هيهات لهم أن ينالوا ذلك أبدا لأنهم لم يستجيبوا لداعي الله حين دعاهم إليه فسيظل الظمأ يلفحهم بنار من جهنم الحارقة لهم وللندم الذي يشعل ضمائرهم ولكن "لات ساعة الندم".

---

[1] عبد الباري طه سعيد- أثر التشبيه في تصوير المعنى- ص 108.

[2] سورة القمر الآية: 17.

[3] اخرجه البخاري في كتاب المساقاة باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائة برقم2367 ص269

3.**الشاة:** قال صلى الله عليه وسلم : " مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدري أهذه تتبع أم هذه؟" [1] .

وفي رواية أخرى: " مثل المنافق مثل الشاة بين الرعيتين ان جاءت إلى هذه الغنم نطحتها، وغن جاءت إلى هذه الغنم نطحتها" [2]

وقوله صلى الله عليه وسلم بين " الغنمين" يريد بين القطيعين من الغنم، ويقال: عارت الشاة إذا فارقت جماعة الغنم وعدلت إلى بعض النواحي، ومنه قيل للذي يعير نحو الباطل ويفارق أهل الاستقامة والحق العيار. [3]

وقد قال أوس بن حجر:

ليث عليه من البردي هبريه كالمرزباني عيار بأوصال [4]

ويقال قصيدة عائرة أي سائرة، وقال بعض الرواة ما قالت العرب بيتا أعير من قوله لشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما [5]

" فصاحب النفاق يعير إلى أهل الإيمان تارة وإلى المشركين أخرى متردد" [6] كما قال الله تعالى: «**مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـــؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـــؤُلاء**» [7]

---

[1] أبي الشيخ الأصبهاني- كتاب الأمثال في الحديث النبوي- ص 373، والحديث رقم 320 أخرجه مسلم والنسائي والرامهرمزي في الأمثال برقم 45- ص 83.

[2] المصدر نفسه- ص 373.

[3] الرامهرمزي أمثال الحديث ص 84.

[4] البيت في لسان العرب في مادة " عير"- ج 4- ص 3187، ومادة رزب- ج3 ص1635 وقال ابن بري: والهبرية: ما سقط عليه من أطراف البردي، والعيار: المتبحتر في مشيته والمرزباني: هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك .

[5] البيت للمرقش الأكبر واسمه: ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك والبيت وارد في المفضليات بشرح التبريزي (ج 2ص 904) وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة(ج1 ص215) نقلا عن امثال الحديث للرامهرمزي ص84.

[6] الرامهرمزي- أمثال الحديث- ص 84.

[7] سورة النساء- الآية: 143.

فهذا هو حال المنافق الذي لم يستقر على رأي فهو لا إلى أهل الإيمان ينتمي فترتاح نفسه ويهدأ باله ولا إلى أهل الكفر يظهر انتماؤه، فيبقى مذبذبا منبوذا لا يألفه أحد كمثل تلك الشاة الشاردة التي لا يقبلها كلا القطيعين من الغنم فإن ذهبت إلى الأول نطحت، وإن ركنت إلى القطيع الثاني طردت ونطحت كذلك، فتبقى حائرة تائهة كما المنافق المذموم والمذبذب حتى بينه وبين نفسه وضميره يحتدم عنده الصراع ولكن لا يستجيب لنداء الحق والفطرة ونور الإيمان فيبعد وينبذ في الدنيا والآخرة ويكون مآله الأبدي الدرك الأسفل من النار وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التمثيل بارعا بليغا مبدعا أخذ من الطبيعة الحية مثالا يقف عنده كل إنسان سواء أوتي حظا من الثقافة أو كانت معرفته بالحياة بسيطة ولو على مستوى " الرعي" فإنه يدرك حيرة الشاة الساقطة التائهة عن قطيعها ومعاناتها للالتحاق بأهلها وقطيعها لتؤنس نفسها، فكذلك على من عهدت نفسه النفاق وعدم الاستقرار على رأي أن يوطن سلوكه الصدق وينأى عن الكذب لتكون له أول مرحلة من مراحل التخلص من الحيرة وستتلوها خطوات خيرة أخرى فوجه الشبه في هذا التشبيه التمثيلي ربطت بين صورة نلاحظها في مواقف متعددة من حياة الناس وصورة نصادفها في الحياة الحيوانية التي لا تخلو من الدلالات فيقف عندها الشاعر أو الناثر ليأخذ مادته التشبيهية فيبدع في الربط بين المعاني وفي التقريب بين طرفي التشبيه لتعلق الأفكار وتتوارد المشاهد المؤثرة المقنعة وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم البليغ والطبيب الواصف لعلل النفوس وعلاجاتها ان نفع معها الا يمان و لم تجحد الحق وتغمطه بظلمة الجور والنفاق.

**4.الحمار**: شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الآمر بالمعروف وغير العامل به، والناهي عن المنكر وغير المنتهي عنه بوصف فيه تنفير وترهيب للمؤمن من أن يتصف بمثل هذين الوصفين فيكون كما قال صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقولون: بلى: قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه"[1]

[1] صحيح مسلم ، الحديث برقم:2989،ورد في كتاب الزهد والرقائق،ص1281.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا بما سيجري في عالم الغيب بعدما عمله الإنسان في عالم الشهادة فإن الآمر بالمعروف غير العامل به والناهي عن المنكر غير المنتهي عنه سيعافيه تعالى بأن يلقى في نار جهنم فتندلق أقتابه (أمعاؤه) ثم يدور بها قسريا ورغما عنه كما يدور الحمار بالرحى... إنها صورة رهيبة تقشعر لها الأبدان، وترتعد لها الفرائص، وبلغت حدها الأقصى من الفظاعة وإثارة التقزز، في اختيار الحمار، من دون سائر المخلوقات ليتناسب مع تحقير هذا الصنف، وافتضاح أمره، وإظهار خباياه الكريهة الفاسدة والمتمثلة في الأقتاب التي اندلقت ولا سبيل إلى إرجاعها كما لا سبيل إلى ستر ذلك الفساد الذي عاش حياته يستره، بإظهار عكس ما يبطن، وأمر الناس بالمعروف بينما يفعل المنكر وقد قال تعالى : **«أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ»**[1]

ويمثل بالحمار للبليد الغبي وما أشد غباء وبلادة هذا الذي يستخفي من الله، وهو **«يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ »** [2]

وهو الصنف الذي قال فيه عز وجل: **«يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ »** [3]

وتظهر بلاغة الصورة في " المناسبة بين الجريمة والعقاب وإنما يكون الجزاء من جنس العمل، ألم يكن الرجل يبطن الجرائم ويسير المنكرات، وهو مظهر الصلاح والتقوى؟ ! فاليوم يفتضح وينكشف الداخل المستور حتى يتعجب من الأمر لافتضاحه من لا حق له أن يتعجب، ويتساءل عن ذنبه من لا وجه أن يتساءل، إذ هم شركاؤه في الدار وقرناؤه في النار"[4] .

إذن هي " صورة من العـــذاب واضحـــة، زادت تقررا بهذا التمثيل" [5] الرهيب الناضح تنفيرا من أن نقترف ما نبـــه إليه الرسول صلى الله عليه وسلـــم أن الإنســـان يجب أن يكون

---

[1] سورة البقرة- الآية 44.

[2] سورة غافر- الآية: 19.

[3] سورة البقرة- الأية: 09.

[4] عز الدين السيد- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية- ص 170.

[5] المرجع نفسه- ص 169.

آمرا بالمعروف عاملا به وناهيا عن المنكر ومنته عنه لكن لا نكون كما وصف القرآن: **«كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »** [1]

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" يؤتى، ويلقى، أمور أخرى من البيان المحمدي تلمس واضحة في بناء الفعلين للمجهول، فذلك عنوان الإكراه والحمل على الفعل والإرغام عليه، تساق إليه النفس سوقا ولا تقدم عليه رغبة [2]، ولهذا نرى أسلوب القرآن على تلك الخاصية في قوله عز وجل: **«يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً »** [3]

وقولـــه عز وعلا: **«يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّ ـــارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ »** [4] وقوله تعالى: **«وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ »** [5]، أما بناء الفعلين الأخيرين في صورته للفاعل فلايشير إلى حصولهما منه[6] أما الفعل " تندلق" فدلالته تشير إلى الإنصباب والخروج بسرعة وأنه لا سبيل إلى ستر من فضحه الله لأنه كان يعتقد جاهلا أن الله لا يراه لقلة إيمانه وفساد تفكيره وتتضح بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التمثيل الذي يربطه بالإنسان الذي يفعل المنكر وهو يعرف إثمه وينأى عن الخير وهو يعلم نفعه، فما أبغضه من شعور وما أحقره من سلوك **!**، حتى أن القرآن الكريم حين وظف الحمار في الإشارة إلى الذين يحملون العلم ولا ينتفعون به ومثل لهم بقوله تعالى: **«مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ »** [7] وإن وظف الحمار في الحديث النبوي أو في الآية الكريمة في تقبيح الفعل المذكور وترهيب الناس من إتيانه إلا أن"الحمار" كلمة بريئة وحيوان لا يعقل ولا يلام

---

[1] سورة الصف- الآية: 03.

[2] عز الدين السيد- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية- ص 169.

[3] سورة الطور- الآية: 13

[4] سورة القمر- الأية: 48.

[5] سورة القلم- الآية: 42.

[6] المرجع نفسه- ص 169.

[7] سورة الجمعة- الآية: 05.

بقدر فظاعة إثم الإنسان الذي أوتي أمانة العقل ويصدق في هؤلاء قوله تعالى: « **أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**» [1]

5.**الثعلب**: وقال صلى الله عليه وسلم: " مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فيخرج وله حصاص [2] حتى إذا انبهر وأعيا قالت الأرض: ياثعلب أدنى ديني فيخرج وله حصاص حتى إذا عيي وانبهر انقطعت عنقه ومات"[3]

وقوله " تطلبه" بمعنى تأخذه، وإنما خصت الأرض بهذا المثل لأن أحدا لا مهرب له منها، وخص الثعلب بهذا التمثيل لروغانه واعتياصه على الصائد وشدة عدوه وقال الأصمعي: أغار إغارة الثعلب إذا أسرع ودفع"

وقال المرار[4]:

صفة الثعلب أدنى جريه وإذا يركض يعفور أشر

(اليعفور: الظبي، وأشر: نشيط)

وقال محمد بن حمران بن أبي حمران:

ما إن يغيب به الدهاس ولا تزل به الصفا

يعدو كعدو الثعلب المطور روحه العسا

وحدثنا أبو عبد الله اليزيدي [5] عن عمه عن ابن حبيب قال: يقال:" أروغ من ثعلب" وأنشد:

---

[1] سورة الأعراف- الآية :179 .

[2] حصص: (الحصة) بالكسر النصيب و (أحصه) أعطاه نصيبه، وتحاص القوم أي اقتسموا... والحصاص بالضم شدة العدو وفي حديث ابي هريرة: " إن الشيطان إذا سمع الأذان مر وله حصاص" عن مختار الصحا ح لأبي بكر الرازي ضبط وتخريج وتعليق: د. مصطفى ديب البغا دار الهدى الجزائر- ص 98.

[3] الرامهرمزي- كتاب الأمثال- ص 107.

[4] المرجع نفسه- ص 107.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن العباي بن محمد بن أبي اليزيدي النحوي- كان إماما في النحو والأدب، وتوفي سنة 310هـ كما جاء في وفيات الأعيان ج3- ص 461 عن الأمثال للرامهرمزي ص 107.

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له نابحة

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة[1]

فهـــذا التمثيل النبوي مأخوذ من الطبيعـــة وفي إيراد هذا الســـرد القصصي في حوار مجازي شيق بين الأرض والثعلب كوسيلـــة لإيضاح عـــدم إمكانيـــة الفرار من المـــوت لقوله تعـــالى:«**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** »[2] وقوله تعالى: « **أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** »[3] .

وإنه إذ يحاول الفرار أو إيهام نفسه بالقدرة على الهرب فمثله كمثل الثعلب الذي تطلب منه الأرض دينا فيشتد عدوه (حصاصه) حتى يدركه التعب والإجهاد فيستمع مجددا لطلب الأرض لدينها فيفر ويشتد عدوه مرة أخرى حتى تنقطع عنقه فيهلك ويكون وهو بفراره من الموت يلاقيه الموت من كل جانب، وإنما اختار الرسول صلى الله عليه وسلم رمزين لإيراد هذا التمثيل وإيصال الفكرة الرئيسية فيه وهي حتمية الموت وهما: الأرض: لأن لا أحد يمكنه أن يهرب من على الأرض إلا إليها منه قول تعالى : «**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**»[4] .

وإن لها على كل إنسان دين كما أن لكل إنسان حق فيها بالعودة إليها، والرمز الآخر هو: الثعلب: ويمثل به كثيرا في الشعر والنثر وكلام العرب من مثل وحكمة لما من علاقة واضحة بين الثعلب وصفة الروغان واستعمال الحيلة والخديعة وكذا شدة العدو، ففي حوار الثعلب مع الأرض يحاول مراوغتها والتفلت منها بشدة العدو كما يفعل في حال تعرضه لخطر مع الأرض يحاول مراوغتها والتفلت منها بشدة العدو كما يفعل في حال تعرضه لخطر الصيد مثلا، ولكنه في حال فراره من الموت ودين الأرض عليه يعجز ويفشل لأن الأرض تمتد أمامه ولا منحى فيها ولا من

---

[1] البيتان لطرفة بن العبد ديوان طرفة ص 43- قالهما وهو صبي- المرجع نفسه- ص 107.

[2] سورةالأنبياء- الآية: 35.

[3] سورة النساء- الآية: 78.

[4] سورة طه- الآية:55.

ذلك الدين الذي في عنقه لها إلى أن أداه وقبضت روحه باستعماله حيلته دائما ولكن هذه المرة كانت عليه لا له لأنه في مواجهة حق الموت، وهذا محور استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم للطبيعة باستحضار الألفاظ: الأرض والثعلب وكذا الموت: فالأرض مثال للطبيعة الجامدة إلا أن الرسول انطقها مستعملا المجاز فكانت محاورة، والثعلب مثال للطبيعة الحية، أما الموت فهو ضمن الطبيعة الكونية أن الله قد قال في محكم التنزيل: **«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»** [1] وقوله تعالى : **«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ »** [2].

5. **الحية:** قال صلى الله عليه وسلم : " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها"[3]

" وأرز الحية معناه: أنها تدخل جحرها من ذنبها فآخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد، وتأرز الحية إلى هذه الصفة إذا كانت خائفة، أما إذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتدخله، وهذا هو الإنجحار"[4] ثم" إنها تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها"[5] وقد وظف الرسول صلى الله عليه وسلم الحية وأرزها إلى جحرها الذي لا تضل عنه أبدا ليمثل لأهل المدينة ذوي الا يمان الذين ناصروا الدين الإسلامي ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر وانتشر من ربوعها إلى أصقاع العالم وأرجاء الدنيا، وإن أهل الإيمان سيرجعون عائدين إلى المدينة المنورة بإسلامها الثابت حين يخافون على دينهم من الفساد والفتن التي ستسود في آخر الزمان فلا يثبت على الدين إلا أولو الإيمان الذين حفظهم الله وهداهم.

---

[1] سورة الرحمن- الآيتان: 26-27.

[2] سورة الجمعة- الآية: 08.

[3] أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة باب الإيمان يأزر إلى المدينة برقم 1876 ص211 وفي أمثال الحديث للرامهرمزي- ص 128 ورد برواية أخرى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يوشك أن ينطوي الإسلام في كل بلد إلى المدينة كما تنطوي الحية إلى جحرها"

[4] لسان العرب- مادة أرز- ج5- ص 305-306.

[5] ابن حجر العسقلاني- فتح الباري- ج4- ص 93.

ويقول العيني : " إن المدينة لا يأتيها إلا مؤمن وإنما يسوقه إليها إيمانه ومحبته في النبي صلى الله عليه وسلم، فكأن الإيمان يرجع إليها كما خرج منها أولا، ومنها ينتشر كانتشار الحية من جحرها، ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها"[1]

وقد قال ابن حجر:" إن معنى يأزر بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء ينضم ويجتمع"[2] فهذا التمثيل النبوي يمثل للعودة الفزعة لأهل الإيمان إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أوبة فيها فوز ونجاة كما تأرز الحية وتنطوي راجعة خائفة من خطر ستشعره بغريزتها مثل ما يرجع المؤمنون بفطرة الإسلام إلى نقاء الإيمان وصفاء العقيدة.

**ب–الطبيعة الجامدة:**

كما أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يستمد توجيهاته التربوية وإرشاداته النيرة من الطبيعة الإنسانية المرتبطة بالفطرة التي فطر الله الناس عليها من غزيرة وعقل ووجدان وحواس وكل سلوك تلقائي برئ يتكرر أمامنا في مسرح الحياة أو يستمده من مصدر آخر في الطبيعة الحية أو الجامدة كالطين والوعاء والجراب والذهب والحديد، وغير ذلك مما يضفي على الفكرة وضوحا ويسرا في الوصول إلى معرفة الحق فترتاح النفس وتسكن القلوب إلى روحانية متألقة بنور الإيمان فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام يستمد من المادة الجامدة هذا التمثيل فيقول " إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة إنما مثل عمل أحدكم كمثل **الوعاء** إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله"[3]

إن التمثيل النبوي الذي وظفه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام استقاه من الطبيعة الجامدة ( الوعاء أو الإناء)، وخاصة إذا ما علمنا أن الآنية آنذاك إنما كانت تصنع من الطين فنجد هذا الربط الوثيق بين الإنسان والإناء من حيث أن الإنسان خلق من طين، فتكبر إبليس وعصى الله

---

[1] العيني– عمدة القارئ ج10– ص 240.

[2] ابن حجر– فتح الباري– ج4– ص 93.

[3] الرامهرمزي– كتاب أمثال الحديث، علق عليه أحمد عبد الفتاح تمام– مؤسسة الكتب الثقافية– بيروت لبنان– الطبعة الأولى 1988– ص 99.

وقدم حجته بذلك"**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**" [1] .

وقوله تعالى : «**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**... » [2] ويتفرع هذا الوصف للإناء إلى طيب وخبث بين الأعلى والأسفل، كما أن الإنسان يتنازعه الخير والشر أو الطيب والخبث وبقدر ما يكون الارتباط العلوي بطيب ما حوى الإناء طيبا وذا طعم حلو أو مستساغ من مشروب كذلك كان أسفله طيبا مستساغا، أما إذا ربطنا هذه العلوية عند الإنسان بعقله أو بروحه وقلبه وجدنا أن الإنسان العاقل والمرتقي بروحه والمتبصر بقلبه يكون طيب النفس طاهر الجسم سليم النية فيكون كله طيبا عاليه وسافله وإنما تلك العلوية في الإنسان هو ما بثه الله فينا من روحه العلية المتسامية عن كل دني، وأما هذا الجانب الترابي الذي خلقنا منه هو الجزء المرتبط بالأرض وبالدنيا وما يشوب هذا المفهوم من سفليه، ولكن بقدر ما يكون العقل طيبا والروح سامية يكون الجسم طيبا وساميا والعكس صحيح- حسب نص الحديث- فبقدر ما تكون النفس خبيثة والتفكير غير سوي كلما كان الجسم يركن إلى السوء والخبث، وقد صدق المعري حين قال:

ولا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمسا

وكما جاء في حديث آخر للرسول الكريم قوله: " ألا أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"،وقوله عليه الصلاة والسلام:" إنما مثل القلب كمثل **ريشة** معلقة...تقلبها الريح..."[3]

فهذا الطيب والخبث هما المتناقضان اللذان ربط بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي ولكن كانت صدارة كلامه عليه الصلاة والسلام عن أن الدنيا بلاء وفتنة أي أن الناجح والغانم فيها لمتقي للفتن من يستعمل عقله كأهم منحة إلهية فيكون ممن يتجنب الفتن ويفوز

---

[1] سورة الأعراف- الآية: 12.

[2] سورة الأنعام- الآية: 02.

[3] مسند الإمام أحمد ، الحديث برقم9661 مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى1421ه2001 م ص05.

في الإبتلاءات التي تعترضه في دنياه فيكون ممن طاب أعلاه وطاب أسفله في كل أعماله الدنيوية فيقابل ربه الكريم بقلب سليم لقوله تعالى : «**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** » [1]

فهذا التوظيف للمادة الجامدة لأجل إيصال الفكرة فيه رغبة ملحة في إيضاح الفكرة وتوصيلها إلى الأفهام باستعمال لفظة " الوعاء" بمعناه المادي والمعنوي الذي تضمنه الحديث في سياق تمثيلاته النبوية عليه الصلاة والسلام، ومن استعمالاته للمادة الجامدة في التعبير عن المعاني الحية المتجددة قوله صلى الله عليه وسلم: "... ومثل المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب أدخلت النار فنفخ عليها فخرجت جيدة"[2]

وقد مثل النبي الكريم للمؤمن خالص الإيمان الذي خلا قلبه من شوائب النفاق وعوالق الزيغ والضلال " بالقطعة من **الذهب** تسبك فيعود وزنها مثله قبل سبكها لصفائها وخلوص جوهرها، لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث ولا يقبل الصدأ ولا تنقصه النار ولا يغيره مرور الأوقات وكذلك المؤمن في حال مكرهه وعسره ويسره على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه الاحتبار ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق أحواله.

والذهب أسنى الجوهر وأشرفه، ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه، كأنه الإبريز الخالص وما هو إلا الذهب الأحمر[3]

وقال بعض الشعراء:

كالخالص الإبريز [4] لم تجله فجلاؤه فيه وإن صحب الأبد

لا يستحيل على الليالي لونه أنى وجوهره شهاب يتقد

وقال آخر:

---

[1] سورة الشعراء- الآية: 88، 89.

[2] الرامهرمزي- أمثال الحديث- ص 67 والحديث برقم 29.

[3] المصدر السابق- ص 67.

[4] الإبريز: الحلى الصافي من الذهب،المصدر نفسه.

لا يعلق العار جبيني إن رميت به نأيت عنه كما لا يصدأ الذهب

وعن أبي عمرو بن العلاء[1] قال: " من أحب أن ينظر إلى رجل صيغ من ذهب فلينظر إلى الخليل بن أحمد ثم أنشأ يقول:

قد صاغه الله من مسك ومن ذهب وصاغ راحته من عارض هطل[2]

فقد مثل بالذهب كمعدن نفيس يعبر به عن أصالة الإنسان وحسن خلقه وطيب معشره وأهله.

لذلك فقد جاء في حديث آخر للرسول صلى الله عليه وسلم قوله:" الناس معادن"[3]

ومن توظيفات المادة الجامدة في الجوانب الإيجابية من تمثيلاته عليه الصلاة والسلام قوله: " إن القرآن كجراب ملأته مسكا ثم ربطت على فيه فإن فتحته، فاح لك ريحه، وإن تركته كان مسكا مرفوعا، فكذلك مثل القرآن إن قرأته أو كان في صدرك"[4]

وقد أوردت في المادة الحية كيف شبه الرسول صلى الله عليه وسلم قارئ القرآن بتشبيهات عدة: من الأترجة إلى التمرة إلى الريحانة ثم الذي لا يقرأه بالحنظلة، وهذا الحديث يشبه القرآن كله بوعاء من جلد وهو " **الجراب**" مملوء مسكا والمسك عطر (يستخلص من دم إبط الغزال) طيب الرائحة وإذا ما فتحنا ربط الجراب فاحت رائحته الزكية التي تنعش النفوس فكذلك القرآن الذي يحي الضمائر الميتة ويبعث الأمل وحب الحياة والتقرب من الله فتزهو الأرواح بآياته البينات التي تنعشنا وتحيينا بنور هداها وعبق رشدها وإن تركنا المسك في " الجراب" دون فتحه كان مسكا مرفوعا ومدخرا لا يطاله الفساد، وكذلك القرآن المحفوظ في الصدور.

---

[1] أبو عمرو بن العلاء المازني البصري: أحد أصحاب القراءات السبع، كان من أعلم الناس بالقراءة العربية مع الصدق والأمانة وتوفي سنة 124 هـ، المرجع نفسه ص67.

[2] الرامهرمزي أمثال الحديث ص 67.

[3] مسند الإمام أحمد ،دار صادر بيروت ،المجلد الثاني،ص438.

[4] الرامهرمزي- كتاب أمثال الحديث- ص 86.

وقال صلى الله عليه وسلم: " إذا اشتكى المؤمن، أخلصه ذلك كما يخلص الكير خبث الحديد"[1]

ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن يوضح أن الإنسان المؤمن مبتلي ومصاب بمختلف الأمراض التي سيشكو منها في حياته وإنما هي ابتلاء من الله يخلصه من خلالها من الذنوب والآثام التي تكون قد علقت بدينه جراء تصرفاته التلقائية أحيانا أو جراء تقصير منه في شؤون الدين أو في معاملاته مع الناس، فبمرضه وشكواه أو حتى الشوكة يشاكها يحط له من سيئاته ويطهره من أدران النفس الخبيثة والأمارة بالسوء فتصفو نفسه وإذا ما كان صادقا في صبره واحتسابه لله وجعه أبدله الله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ونال الصحة والعافية في الدنيا والفوز بالجزاء والثواب في الآخرة وهذا الحال يشبهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالنار التي تخلص بها الحديد من الخبث العالق به ويكون هذا بالكير، فيستطيع صاحب حرفة " الحدادة" أن يتحصل على حديد صاف وصالح لمختلف الاستعمالات بتخليصه من العوالق التي كانت عالقة فيه بداية قبل أن يصفى بنار الكير المتوهجة كألم البلاء ا لموجع .

فالطبيعة إذن قسمان، أولهما:الطبيعة الحية وما تضم من إنسان وحيوان ونبات،وثانيهما الطبيعة الجامدة(غير الحية)كالجبال وأنواع المعادن وغيرها، و"تعد الطبيعة بكل ماتنطوي عليه من مظاهر ومحسوسات مصدرا رئيسا من مصادر تكوين الصورة الفنية،... والشاعر العربي-على اختلاف عصوره- يعد الطبيعة ملهمتة التي لا تكل ولا تمل ولا تبخل... فهو يجد عندها الغوث كلما اشتد به الأمر ونفر عنه الإلهام" [2] وقد وجد فيها الرسول الكريم المنبع الثري لتمثيلاته النبوية المستندة إلى الكون وما حواه مما يدعو إلى التدبر والتفكر.

[1] أخرجه البخاري- في كتاب الهبة باب هبة الرجل لامرأته نقلا عن أمثال الحديث للرامهرمزي برقم 95- ص 127.

**الإيجاز:**

الإيجاز عند العرب من أهم سمات البلاغة و عرفوا البلاغة بالإيجاز، والتشبيه من الفنون التي تفيد الإيجاز، لأنه لمحة دالة، ولذلك يعمد إليه الشعراء والكتاب في شتى الأغراض والموضوعات، فمثلا عندما يمدح الشعراء قوما بالشجاعة، يلجأون إلى التشبيه لأنه يؤدي المعنى بأوجز عبارة، يقول البحتري واصفا شجاعة بني تغلب:

يمشون تحت ظبا السيوف إلى الردى  مشى العطاش إلى برود المشرب [1]

شبه الشاعر سير القوم إلى الحرب، وتشوقهم لها، وحرصهم عليها وعدم فرارهم منها، مع ما فيها من الردى والهلاك، الألم يمشي العطاش الذين ألهبت أكبادهم شدة الظمأ وقد تملكهم الشوق للماء العذب البارد، فهم يسيرون متلهفين بسرعة إلى مورده، ليرشفوا من معينه فكأن التغلبيين الشجعان يرون في الحرب راحة ومتعة وحياة لهم، وهذه غاية الشجاعة، جسدها الشاعر بتشبيه موجز ومعبر.

وكل بيان الرسول صلى الله عليه وسلم يعد من باب الإيجاز وهو من أهم خصائص الحديث النبوي وتمثيلاته تحمل أدق خصوصيات المعنى المراد وايحاءاته وإشاراته القريبة والبعيدة، ويذكر ابن رشيق أن الرماني يعد التشبيه والإستعارة من باب الاختصار [2]

و"الإيجاز في البلاغة العربية أصل وروح وطبع والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء، ولأنه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفيفة يشتغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال، حتى تبرز وتتلون وتتسع، ثم يتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير والتأو يل" [3] من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها"[4] فالرسول صلى الله عليه وسلم انتقى بحكمته أكثر الكلمات دلالة على المعنى في

---

[1] ديوان البحتري ،شرح:يوسف الشيخ محمد،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1421ه2000م،ص192.

[2] ابن رشيق ، العمدة ج1، ص 287.

[3] بدوي طبانة ، البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1388ه-1968م ، ص407.

[4] أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ،باب المدينة تنفي الخبث برقم1883 ص212.

عبارتين موجزتين متقابلتين: وهما: نفي الخبث ونصع الطيب، فكما أن المدينة المنورة، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم تدفع الأشرار وتبعدهم فإنها كذلك تجذب الأخيار وتجعلهم أكثر إشراقا ونورا وخيرية في أفعالهم وأقوالهم، وإن إحدى الجملتين الواردتين في الحديث راجعة إلى المشبه به،و الأخرى الى المشبه لأن المشبه أدخل في المشبه به وهذا ضرب من ضروب التمثيل في بيانه عليه الصلاة والسلام، وهذا الإيجاز في طرح مكانة المدينة المنورة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكل معتنقي الديانة الإسلامية يوضح بموجز اللفظ أن المدينة وأهلها قد نصروه عليه الصلاة والسلام فاستحقت هذه المكانة إلى يوم الدين، ولا يمكن إلا أن تجمع الخير والأخيار وكل ما يتصل بالخيرية من صفات وأعمال كما أنها تنفي كل ما لديه صلة بالخبث والسوء وقد اختصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأوجز في ذكر الكلمتين وهما تحتملان الكثير من المعاني وهذا من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام.

ومن ايجازاته البديعة والمتضمنة تمثيلات قوله عليه الصلاة والسلام : " ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض"

ينبغي أن نقف عند هذا الحديث النبوي متدبرين مقدرته عليه الصلاة والسلام في ايصال المعنى بأوجز عبارة وهنا ننظر بإكبار بالغ المدى إلى فلسفة التعبير وحكمته فالجمرة نار والقلب وعاء الدم،يصل بدورته الحيوية إلى كل عضو في الجسم حتى الشعر والأظافر فإذا ما غلى الدم على نار الغضب فار في العروق وظهر على الأعضاء حتى تنتفخ الأوداج وتظهر في العين حمرته، وتشبيه الغضب بالجمرة تشبيه واقع من جهات عدة: فحرارة الجسم ترتفع عند الغضب نتيجة لصعود الإنفعال النفسي وزيادة النبضات حتى يجتمع الدم في مراكز الغضب، كما أن النار تحدث التورم في الجسم والحمرة والإلتهاب فيما تمسه، والغضب تنتفخ به الأوداج وتحمر العين وتلتهب الأعصاب، والأعظم لطفا في البيان النبوي أنه عليه الصلاة والسلام أحال المخاطب عن طريق الاستفهام إلى استكناه الحقيقة بفكره هو، ليؤكد عن روية، ويقرر عن رؤية، فإذا حصل له

التصديق بالمشاهدة، وقبح في عينه المنظر بالتجربة وآمن بالخطر الناشئ عن الغضب حاول الهرب إلى العلاج الناجع الذي وصفه عليه الصلاة والسلام بالإلتصاق بالأرض لنفثأ حر نار الغضب عن قلوبنا ونتحكم بعقولنا في جوارحنا، فنتفادى الوقوع في الآثام والإنزلاقات التي لن تجر لنا إلا الندامة والخيبة والحسرات، لذلك فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر المسلم بأن " لا يغضب"، وعد من خير الأعمال الدالة على رجاحة العقل ونبل الأخلاق والإتساء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار، فالغضب إذن من النار وكلما علت النار عن الأرض اشتد لهيبها ففي اللجوء إلى الأرض انكسار لحدة الغضب،فهذا التمثيل النبوي تضمن معاني نفسية واجتماعية وطبية وعلمية غير أن النبي الكريم أورد المعنى بلفظ موجز، تاركا المجال للراغب في فهمه استخلاص معانيه بحسن التدبر والوقوف عند أعمق دلالاته وان كان قد عبر عنها بأوجز عبارة، لأن الإيجاز كما يقول الرماني:" تهذيب الكلام بما يحسن به البيان،والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر، و تخليصها من الدرن،و الإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"[1]

ومن تمثيلاته البليغة وإشاراته الموجزة المعبرة قوله عليه الصلاة والسلام «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه " وأشار يحي بالسبابة" – في اليم، بم يرجع» [2] هذه حقيقة الدنيا، والنفس تحبها وتتعلق بها، ترغب فيها وتكره الموت، المؤمن فيها زارع والكافر مغرم بها و مولع، والعقل يعلم أنها إلى زوال، سحابة صيف عما قليل تنقشع، وقد اتخذ عليه الصلاة والسلام التشبيه التمثيلي أداة موجزة لإيضاح وتجلية المعنى المقصود وليؤدي إلى فهم المتلقي لحقيقة يود الكثيرون معرفة كنهها وهي علاقة الدنيا بالآخرة.

وهذه فكرة يطول الحديث فيها إذا ما نوقشت من وجهة دينية أو فلسفية أو عقلية أو ما إلى ذلك من جوانب غير أن النبي الكريم قرب المفهوم وأوجزه بعبارة وإشارة، فلو رأينا إنسانا يقف على ساحل محيط من المحيطات، فيضع إصبعه في ذلك الماء ثم يرفعه، فكم سيعلق بذلك

---

[1] عبد القادر حسين ،أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1975م ، ص243.

[2] صحيح مسلم- بشرح النووي- تحقيق:خليل مأمون شيحا دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الرابعة 1418ه 1997م ج17 ، ص189.

الأصبع من الماء؟! قطرة أو على الأكثر قطرتان، إن النسبة ضئيلة جدا،فما علق بالأصبع هو الدنيا والمحيط العظيم هو الآخرة فهل هناك وجه للمقارنة بين مقدار الماء المتعلق بالأصبع والماء الباقي وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم عظم الأخرة وصغر الدنيا وحقارتها باستعماله القسم بقوله: "والله" فهذا تمثيل بليغ موجز بعبارته كثير بمعانيه جلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الدنيا وحذر من الإغترار بها والركون إليها لأن الآخرة هي الباقية وقد قال تعالى **« وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى»** [1]

[1] -سورة الضحى ، الآية:4 .

[2] س عبد الرحمن حجازي، البلاغة والتأويل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2008،ص55-56.

**الإيضاح:**

إن خاصية الإيضاح مطلب في البيان وإلا كان الكلام غامضا مبهما لا يفهم المراد منه، لذلك يعمد إليه الأدباء لإيضاح المعاني وتقريبها إلى الأفهام يقول العلوي:" وهذه أيضا هي فائدة التشبيه الكبرى فإنه يخرج المبهم إلى الإيضاح والملتبس إلى البيان ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه، والبروز بعد استتاره..." [1]

أما إذا ما صادفنا في قراءتنا الأدبية تشبيها مبهما غامضا لا نكاد نفهم المراد منه فمرجعه إلى أمر من ثلاثة، إما أن يكون المتكلم لم يحسن نظم الكلام، أو أن العلاقة بين المشبه والمشبه به واهية ومتكلفة، أو أن المتكلم يتعمد ذلك، فيستخدم التشبيه كرمز يستتر به في التعبير عن أغراض لا يفصح عنها صراحة.

والإيضاح تتفاوت درجاته بين صور التشبيه، وهو أكثر تجليا في تشبيه المعقول بالمحسوس، وقد تغمض صورته في تشبيه المحسوس بالمعقول، وهو غموض فني يمتع العقل عندما ينكشف له، وليس تعمية ولا إلغازا وقد بين عبد القاهر الجرجاني أن الوضوح ميزة لابد من توفرها في الكلام ليكون المعنى أقرب إلى العقل والقلب حيث يقول :" فإنما أرادوا بقولهم- " ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك"- أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ، وتهذيبه وصيانته من كل ما أخل بالدلالة، وعاق دون الإبانة و لم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلا، مثل ما يتراجعه الصبيان ويتكلم به العامة في السوق هذا وليس إذا كان الكلام في غاية البيان، وعلى أبلغ مايكون من الوضوح..." [2]

وقد اجتهد الشعراء في إبراز خاصية الوضوح في أشعارهم فهذا المتنبي يقول:

إذا خلعت على عرض له حللا وجدتها منه في أبهى من الحلل

بذ ي الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل[3]

---

[1] يحي بن حمزة العلوي - الطراز- مطبعة المقتطف مصر،1914- ص 277.

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة- ص 132-133.

[3] ديوان المتنبي ،ص179.

إن قصائد الشاعر ما هي إلا حلل يخلعها على ممدوحه فإذا خلعها عليه زينت به أكثر مما زينته، ومن عجب أن يتضرر بتلك القصائد المحكمة الرائعة بعض الأغبياء الذين لا يفهمونها لما فيها من عمق لا تسبره عقولهم، وجمال لا تدركه بصائرهم وقد وضح الشاعر هذا الضرر، فشبه تضررهم بها عند إنشادها بتضرر الجعل برياح الورد، فليس ذلك ذنب الورد الشذي الجميل وإنما ذلك عائد إلى طبيعة الجعل الشاذة الذي تعود على شم الدنس فألفه واستساغه وكره ما لا يشاكله حتى صار يتأذى برائحة الورد عند شمه، ولا يخفى على العارف بالبلاغة وفنونها ما في هذا التشبيه التمثيلي من التعريض بحساد المتنبي وتحقير فعالهم ووجه الشبه هنا صورة منتزعة من متعدد وهو تأذي السيئ بالحسن، وذلك بسبب سوء السيئ ورداءة طبعه لا بسبب أمر يعود إلى الحسن.
كما قال أبو العلاء المعري[1] مبينا أثر المحن في صقل الكرام:

والرزء يبدي للكريم فضيلة كالمسك ترفع نشره الأفهار[2]

ومن شأن المحن أن تكشف معادن الناس، وتصنع الرجال وهذا أمر لامراء فيه، وقد جسد الشاعر حقيقة المحنة التي تكشف طيب معدن الإنسان الكريم بصورة حسية تقربها إلى الأذهان، وهي أن المسك حين يطحن ويسحق بواسطة الأفهار تنتشر رائحته ويشتم أريجه فيعرف الناس قيمته ولولا أنه سحق بالفهر (الحجر) لما عرف الناس طيبه ولما ذاع فضله فكذلك الرزء أو الحطب إذا ما واجهه العاقل بالجلد والتحمل والحمد، كان ذلك سببا لجلب الفضائل لصاحبه، وأول محامده أن يمدح الناس تماسكه وصبره في مواطن الفتنة والصعاب وأعلاها نيل رضى الله ومثوبته، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :" إذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك كما يخلص الكير خبث الحديد" [3]

---

[1] أبو العلاء المعري- اللزوميات- ج1- ص 314،

[2] الأفهار: جمع الفهر: من الحجارة،... ويقال تفهر في المال اتسع فيه ويقولون: ناقة فيهرة: شديدة ،عن معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1422ه-2001م ص 800.

[3] الرامهرمزي- كتاب أمثال الحديث ص127.

فهذا التمثيل النبوي أراد الرسول أن يوضح به فكرة أن كل ما يبتلى به المؤمن في دنياه من صعاب وخطوب وأرزاء تكون له نقاء وخلاصا وتصفية من الذنوب والآثام التي علقت بروحه الطاهرة فتتساقط وتتلاشى تلك الذنوب فيخلص المؤمن نقيا تقيا،كما يفعل بالحديد حين يلقى في الكير إذ تخلصه النار المضطرمة من الشوائب فلا يبقى إلا القوي الصالح ويذهب الهش والفاسد منه وما ذاك الحديد إلا المؤمن القوي بإيمانه وما تلك النار في الكير إلا نوائب الدهر في دنيا الناس وكما يتخلص الحديد مما علق به من شوائب مع اللهيب الناري يتخلص المؤمن من الذنوب مع الشكوى والألم الذي يعرض له في دنياه.

وقد قال الشاعر في هموم الحياة التي تعرض للناس:

إذا قل عقل المرء قلت همومه ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

والشاعر هنا يعبر عن معاناة رجال الفكر والمعرفة من بين الناس فالحياة بحر من الآلام والمتاعب والأحزان، ولا يدرك الناس من أحزانها وهمومها إلا على قدر عقولهم، وقد جسد الشاعر هذا المعنى بصورة حسية تبينه وتوضحه فشبه قليل العقل الذي قلت همومه وذوت أحلامه فلم يدرك من أشجان الحياة شيئا يذكر،فشبهه بالأعمى الذي فقد عينيه، فأنى يصيبه الرمد بعد ذلك؟!

ولكن المعنى الأكثر عمقا في هذا البيت الشعري هو أن العبرة هي : نور البصيرة وليس فقط البصر وإن كان كلاهما نعمة وحبذا لو اجتمعتا، وإلى ذلك أشار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أصابه العمى فقال:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نورا

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثورا

فالوضوح أو الإيضاح كخاصية بلاغية لا تعني إذن السطحية أو لغة العامة من الناس، ولكن تعني هذه السمة التي تزيد المعنى سموقا والفكرة عمقا و " لذلك أستخدم التشبيه لإثبات الحقائق أو لتوضيح المعنى"[1]

وإن إيصال الفكرة بتوظيف التشبيه يتفرع حسب حال الخطاب " فإذا كان المعنى واضحا وتريد أن تجعله أظهر وأوضح تأتي بتشبيه يوضح ما في ذات المشبه من الغرائز أو خارج ذاته من العوارض والأوصاف فنقول: هو " كالأسد في الشجاعة" " وهذا أبيض كالثلج" و " وجهه كالبدر" وغيرها وهذا النوع يستعمل في الأغراض المتداولة كما يستعمل في المقاصد العلمية، وإذا كان المعنى غامضا وخفيا وتريد أن تجعله ظاهرا وواضحا تأتي بتشبيه لتخرج الخفي والغامض في صورة الجلي الواضح كإخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه..." [2]

وهذا النوع الثاني هو التمثيل كنوع يتطلب جهدا لتأويل طرفيه والربط بينهما نظرا للعمق الفكري الذي يتضمنه هذا التشبيه الموجه إلى المتلقي الواعي إذ" إن كان المخاطب ذكيا متوقدا وتريد أن تسبر غور فهمه وذكائه أو تثير إعجابه وتحسينه، فتأتي له بتشبيه يحتاج إلى التأول الذي يتطلب تأمل المخاطب ودقته وهو ما يسمى بالتمثيل"[3]

ويقول الإمام الجرجاني في شرحه وتحليله لهذا النوع من التشبيه " ثم إن ما طريقة التأويل يتفاوت تفاوتا شديدا فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطي المقادة طوعا حتى أنه يكاد يداخل الضرب الأول وهو التشبيه الصريح مثل تشبيه الحجة بالشمس في إزالة الحجاب ومنها ما يحتاج فيه إلى شيء من التلطف وهو أدخل في حقيقة التأول وأقوى حالا في الحاجة إليه،

---

[1] علي ميرلوحي فلاورجاني، بلاغة التشبيه في القرآن الكريم ، مجلة التراث العربي- دمشق العدد 54 ،1994- ص 1.(الموقع الإلكتروني لإتحاد الكتاب العرب).

[2] المرجع السابق- ص 03.

[3] المرجع نفسه- ص 03.

كما في تشبيه ألفاظ الكلام بالعسل في الحلاوة، ومنه ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع كقول القائل: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها. [1]

[1] الجرجاني- أسرار البلاغة- ص 72-74.

**التوكيد:**

هو من خصائص التشبيه الأساسية إذ يعمد إليه المتحدث أو الكاتب لتأكيد الفكرة التي يريد أن يقنع بها المتلقي فيوظف تشبيها يبرع في اختيار طرفيه مستعملا وسائل توكيدية في الإطار البلاغي المتناول لإيصال المعنى وترسيخه في الذهن وفي هذا يقول ابن الأثير: " وأما فائدة التشبيه فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه"[1]

ومن إفادة التشبيه للتوكيد ما قاله بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن  برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة  فإن الخوافي قوة للقوادم [2]

الشورى فحواها الإستفادة من مشاركة الآخرين في نتاج عقولهم وثمرات أفكارهم، والإنسان يغيب عنه ما يحضر الآخرين فعند التشاور مع أهل الرأي والنصيحة والدراية في أمر من الأمور تجتمع أنوار العقول في كشف ظلمات ذلك الأمر المستعصي وهنا يؤكد الشاعر في هذا القالب الحكمي أنه لا حرج من الشورى ولا عيب مما قد يتوهمه البعض من أن الضعيف هو من يلجأ إليها، والشاعر يرفض هذا الطرح ويستعين بالتصوير الحسي لإيضاح فكرته وتوكيد توجهه و ذلك بتوظيف عالم الطيور الذي يشد الأنظار نحو الأفق، فالخوافي الصغيرة التي تكون في جناح الطائر تقوي القوادم الكبيرة وتساعدها على التحليق والطيران فهي لم تخلق عبثا وإنما لحكمة وفي هذه الصورة توكيد للمعنى الذي ذهب إليه الشاعر.

ومن أحاديث الرسول الكريم والمتضمنة تشبيهات تمثيلية ساقها الرسول صلى الله عليه وسلم لتوكيد فكرة وتثبيت معنى من المعاني النبيلة التي يقصد من خلالها في الأغلب إلى تربية النفوس وحثها على التمسك بالقيم الفاضلة فهو المعلم الرسول ورحمة الأمة وهاديها،وهذا التشبيه

---

[1] ابن الأثير- المثل السائر- ج2- ص 123.

[2] ديوان بشار بن برد-تقديم وتحقيق:صلاح الدين الهواري،دار و مكتبة الهلال بيروت،1998 ج4- ص 174.

المختار جاء في بيان موقف الناس من بركات الأرض وخيراتها التي أخرجها الله لهم من مال وغيره عن حكيم بن حزام قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم- فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: " إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى"[1]

وفي رواية: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب، فقال: " لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، فقال رجل: يا رسول الله: أ يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ساعة، ثم قال: كيف، قال: قلت يا رسول الله: أيأتي الخير بالشر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يأتي الخير إلا بالخير، أو خير هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم [2] إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت[3] أو بالت، ثم اجترت فعادت فأكلت، فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع"[4].

تضمن هذا الحديث النبوي عددا من التشبيهات وهي كالآتي:

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المال والرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو مرغوب فيه كذلك فكيف إذا اجتمعا كانت الرغبة فيهما أشد وأمتع، ولعل تعبيره صلى الله عليه وسلم عن المال يقصد به الدنيا بكاملها لأن المال أحد زينتي الحياة الدنيا قال تعالى: **«الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ... »** [5].

---

[1] صحيح مسلم- بشرح النووي- ج7 ص125.

[2] يقتل حبطا أو يلم: الحبط: التخمة، أو يلم: يقارب القتل.

[3] الثلط: هو الرجيع الرقيق.

[4] صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير،بابفضل النفقة في سبيل الله،الحديث برقم2842، ص336.

[5] سورة الكهف- الاية: 46.

وشبه الدنيا أو المال بالفاكهة الخضراء أو البقول الخضراء بجامع عدم البقاء لأن الخضروات لا تبقى على حالها كذلك المال لا يبقى مع صاحبه ولا يراد منها البقاء وهذا التشبيه للدنيا في سرعة زوالها في الحديث النبـــوي مجاراة لما ورد في القرآن الكريم قال تعالى: ... ﴿﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَ ـــاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**﴾﴾ [1].

ووجه الشبه حسب رأي الطاهر بن عاشور هو:"المصير من حال حسن الى حال سئ

وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة المشبهة معقولة اذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة وأيضا شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش وأهله ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه أشتاتا بهيئة إقبال الغيث فنبت الزرع بنضارته ووفرته ثم أحذه في الإنتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتا في الهواء" [2].

كما شبه عليه الصلاة والسلام الذي يأخذ مالا بغير حق بالبهيمة التي تأكل ولا تشبع فهو كلما نال مالا ازدادت رغبته في المزيد، وهذا تحذير من الطمع ودعوة إلى الزهد في الدنيا والرضى باليسير.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا أكله الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت أو بالت ثم اجترت فعادت فأكلت" وضرب عليه الصلاة والسلام في هذا المقطع من الحديث مثلين هما:

الأول: ضربه للمفرط في جمع الدنيا الطامع فيها من غير تثبت في مصدر المال فيجمعه من حلال أو حرام، ولا يؤدي حق الله فيه، وأشار عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى بقوله : " إن مما ينبت الربيع يقتل حبطا" لأن الربيع ينبت من أفضل النباتات فتستكثر منه الماشية وتأكل دون تنظيم فتتجاوز حد الإحتمال لما تأمله حتى تنتفخ بطونها فتنشق أمعاؤها فتهلك بسببه، مثلها كمثل الذي

---

[1] سورة الكهف – الآية 45.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ج13ص332.

يجمع المال من غير الحلال ويمنع حق الله فيه فيهلك في الدنيا والآخرة فأصبح ذلك المال الذي كان يرجو من جنيه السعادة وبالا وندما وخسرانا.

والثاني: ضربه صلى الله عليه وسلم لمن جمع مالا من حلال وأدى ما أوجبه الله عليه من زكاة وصدقات وأعمال: وهذا ما أشار إليه بقوله: " إلا أكله الخضر..." لأن الخضر اختاره عليه الصلاة والسلام لأنه ليس من النباتات الرطبة وإنما من الأعشاب التي تم يبسها والماشية لا تستكثر منه فلا تحبط، ومع ذلك فإن آكلة الخضر إذا شبعت استقبلت الشمس فثلطت ما يؤذيها... فهذا حالها كحال الذي يجمع المال من طرق الحلال ومع هذا يؤدي حق الله فيه فيبذل منه في وجوه الخير والإنفاق على ذوي الحقوق بالمعروف فيكون ناج بفضل الله الذي هداه إلى الصواب، وبإيراد هذا الحديث الذي قصد به الرسول صلى الله عليه وسلم توكيد فناء الدنيا وعدم بقائها بملذاتها وشهواتها وزهرتها ولذلك فإن السعيد من فهم المغزى وأدرك أن الخلاص بالاهتداء والتمسك بالكتاب والسنة وعدم الجري وراء الشهوات أما الضال فهو الذي لم يزده غناه إلا استهتارا وأنعم الله عليه ازداد بها طغيانا وجحودا فيكون مصيره الهلاك والبوار.

وقد وظف عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أدوات توكيدية عدة لترسيخ الفكرة التي طرحها النبي الكريم في هذا التمثيل النبوي البليغ ومن بينها:

في الرواية الأولى:

- تكرار عبارة " سألته فأعطاني" وهذه العبارة المكررة الغرض منها التوكيد ولفت انتباه السامع إلى كرم الرسول عليه الصلاة والسلام وسخائه بإعطاء الكلمة للسائل لمرات عدة ثم بعد ذلك خلص إلى توجيه الحديث المتضمن نصحا له، ولكل الناس ممن يرغبون فهم الدنيا وما فيها من مال يتخذ كوسيلة أم كغاية عند البعض.

- توظيف حرف التوكيد " إن" مع بداية الحديث لتأكيد المعنى الذي يليه.

- استعمال الطباق واسم التفضيل في آخر الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم " اليد العليا خير من اليد السفلى" وهي من جوامع الكلم التي أوتيها عليه الصلاة والسلام واستعمال الطباق له أثره

الكبير في تأكيد المعنى وتوضيحه وكذا استخدام صيغة التفضيل " خير " لتوكيد خيرية المعطي السخي الكريم بصدق.

وفي الرواية الثانية للحديث نجد توظيفات توكيدية أخرى وهي:

- استهلال الحديث بالقسم (والله) ولا يخفى ما لأسلوب القسم من تأثير في السامع خاصة إذا كان صادرا عن الرسول محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

- توظيف أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله : " لا والله ما أخشى عليكم- إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا..."

وهنا قصر الرسول صلى الله عليه وسلم خشيته من فتنة أمته على بركات الأرض وخيراتها... كون النفوس مجبولة على الرغبة في كل ما هو مستلذ مستطاب.

- الحوار المتبادل بين الرسول وأحد المستمعين إليه ثم سؤاله الرسول ورد الرسول عليه الصلاة والسلام بالصمت ثم سؤاله له ثانية فرد الرسول صلى الله عليه وسلم بالصمت لما فيه الحكمة،ولأن التروي والتؤدة في إقناع الراغب في المعرفة تتطلب حكمة وحنكة وذكاء، ثم قوله صلى الله عليه وسلم كيف قلت؟ وهذا فيه تأكيد على السؤال المطروح، وهي: هل يأتي الخير بالشر؟ ثم تأكيده لعكسها بقوله عليه الصلاة والسلام: لا يأتي الخير إلا بالخير، وفي رواية أخرى كرر هذه العبارة ثلاث مرات لتأكيد أن الخير لا يجلب إلا الخير والإحسان لا يستوجب إلا الإحسان ولكن الخطأ ليس في الفطرة أو الطبيعة أو الخير وإنما في طريقة التعامل مع ذلك الخير أو تلك النعمة.

وهو ما وضحه حين ضرب المثل في قالب التشبيه التمثيلي بعد ذلك واستفاض في شرح المعنى الذي تطرق اليه جراء السؤال المطروح لتوكيد ضرورة الحذر من الدنيا وزخارفها وإنها فتنة لا يسلم منها إلا من وفقه الله، وقد قال: أبو هلال العسكري في هذا التمثيل النبوي أنه:" من أحسن الكلام وأوجزه وأفصحه لفظا وألطفه معنى، وهو مثل ضربه لمن أعطي من الدنيا حظا،

فألهاه الإشتغال به، والاستكثار منه والحرص عليه عن صلاح دينه فيكون فيه هلاكه، كما أن الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حبطت بطونها فماتت أو كادت"[1]

وأراد صلى الله عليه وسلم أن الدنيا وإن كانت ذات زهرة وجمال فقد تؤول بصاحبها إذا سلك بها غير القصد السوي إلى سوء المغبة، كما أن آكلة الخضر من الماشية إذا لم تقصد في مراعيها آل بها إلى أن تستوبله حتى تحبط عنه بطونها فتهلك .

فالحديث صورة تمثيلية رائعة قربت المعنى إلى الأفهام وأكدت المفاهيم المرتبطة بحياة الإنسان وسبل نجاته، وأعطى هذا التمثيل صورة كذلك صادقة عن بيانه عليه الصلاة والسلام وفصاحته وقدرته الفائقة على الإقناع بتوظيف وسائل توكيدية متعددة ضمن التمثيل الكلي والمتضمن في الآن نفسه تشبيهات فرعية أو كنايات في مثل قوله: زهرة الدنيا وهي أدوات بلاغية غاية في الدقة والإحكام اللغوي الذي آتاه الله نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

[1] أبو هلال العسكري- جمهرة الأمثال- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعبد المجيد قطامش- المؤسسة العربية الحديثة- القاهرة- ط 1- 1964- ج1- ص 16.

# الفصل الثالث :

## علاقات التمثيل في الحديث النبوي الشريف

- تمهيد .
- التمثيل و علاقته بالتشبيه .
- التمثيل و علاقته بالإستعارة .
- التمثيل و علاقته بالكناية .
- التمثيل و علاقته بالمثل .
- التمثيل و علاقته بالتركيب النحوي .

**تمهيد:**

قال جلال الدين السيوطي " لا شك أن عاوم البلاغة الثلاثة من أعظم آلات الشرع بل ذكر أن كمال الإيمان متوقف عليها لتوقف إدراك إعجاز القرآن الذي هو معجزة النبي على معرفتها" [1]

وقال **السكاكي** في مفتاح العلوم: " الويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو بها جاهل" (ويقصد علوم البلاغة).

وقال **الزمخشري** في ديباجة كشافه " إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح علم التفسير الذي لا يتم تعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه " نظم القرآن" فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن ندا أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان انحى من سيبويه واللغوي وإن تملك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الدقائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني وعلم البيان[2]ولأهمية معرفة علم البلاغة وبالأخص علم البيان، فإني سأقوم بإيراد مقاربة تتضمن مقارنات وتحليلات بلاغية بين علوم البيان الثلاثة: التشبيه والاستعارة والكناية، و كذاعلاقة التمثيل بالمثل وبالتركيب النحوي مع الإرتباط التطبيقي بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

---

[1] أحمد مصطفى الطرودي التونسي، جامع العبارات في تحقيق الاستعارات دراسة وتحقيق د. محمد رمضان الحربي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى 1986م.

[2] المصدر نفسه

**التمثيل وعلاقته بالتشبيه:**

التشبيه من فنون البيان العربي وأكثرها ورودا في الإبداع الأدبي من شعر ونثر كونه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا، وهو يلح على أسباب الوضوح من حيث علاقة التشبيه بالحواس والعقل،" ثم إن شيوع التشبيه في كلام العرب يرجع إلى كونه المستوى الأول من مستويات التصوير الفني،ومنطق التدرج يقتضي أن يكون الأكثرشيوعا من حيث التطبيق والتنظير" [1] وقد عرف أبو هلال العسكري التشبيه بقوله: " التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن تشابهه من وجه واحد، مثل قولك، وجهك كالشمس، ومثل البدر،... وإنما شبهه بهما لمعنى يجمعهما وإياه وهو الحسن وعلى هذا قول الله عز وجل: «**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**» [2].

وإنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيء بالشيء من جميع جهاته لكان هو هو " [3]

وهذا الجمع بين الشيئين لا يتأتى إلا بوجه الشبه تلك العلاقة الخفية حينا والظاهرة أحيانا والتي تعطي للعبارة جاذبيتها وفاعليتها التوصيلية لذلك فقد ألح العرب على فكرة العلاقة الجدلية بين التشبيه والشعر وتصوروا أن التشبيه هو الذي يخلق الشعر ويصنعه [4] وقد كان الشاعر لا تقاس شاعريته إلا بقدر ما يتقن ويتفنن في الوصف موظفا بذلك التشبيه وقد قيل قديما: أقسام الشعر ثلاثة: "مثل سائر، وتشبيه نادر واستعارة قريبة" وألحظ هذا الذكر لمصطلحي التمثيل والتشبيه عند البلاغيين وقد حاول عبد القاهر التفريق بين هذين اللونين (التشبيه والتمثيل) مختصرا ذلك بالتأول وعدمه ومن ثم جعل التشبيه على ضربين أحدهما: أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من

---

[1] سعد أبو الرضا، في البنية و الدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، منشأة المعارف الإسكندرية ،ص175.

[2] سورة الرحمن الآية 24

[3] أبو هلال العسكري- الصناعتين ، ص 239.

[4] تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال ، ص 245.

جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول كالتشبيه من جهة الصورة أو الشكل واللون أو حتى ما يدخل تحت إدراك الحواس، وهذا النوع هو التشبيه الصريح أو العادي.

وثانيهما: هو أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول (والتأول يكون بإرجاع وجه الشبه على معنى يكون متحققا في الطرفين بوجه من التلطف والحيلة) كقولك: هذه حجة كالشمس، فالحجة كالشمس من جهة ظهورها،وهذا التشبيه لا يتم إلا بتأول... [1]

ثم إن طريقة التأول تتفاوت تفاوت شديدا، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطي المقادة طوعا، حتى إنه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه الى فضل رويه ولطف فكرة [2]

وهذا النوع الثاني الذي أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني التمثيل أو التشبيه التمثيلي، والفرق بين النوعين: أن التشبيه يطلق على الضربين جميعا، وأما التمثيل فهو الثاني، ولذلك فإن " التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا"[3]

ولكون التشبيه من أكثر الأنواع البلاغية أهمية، لدى الناقد العربي القديم " والحديث عنه يجر إلى التمثيل الذي هو فرع منه" [4]وجب حين ايراد العلاقة بينهما إلى إبراز الزوايا الإتفاقية أو الإختلافية بين هذين الضربين مع التطبيق على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. ومن تشبيهاته عليه الصلاة والسلام: عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" [5]

---

-[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 70.

-[2] المصدر نفسه، ص 73.

-[3] المصدر نفسه، ص 75.

-[4] أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجا وتطبيقا)، ص 258.

-[5] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، باب حلاوة الإيمان ج1 ص75

حديث نبوي شريف حوى مراتب الإيمان ودرجاته والتي لا يمكن أن تؤخذ إلا مجتمعة فإن حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم هي السلم الإيماني الأول والأخوة المبنية على إخلاص العبادة لله هو السلم الثاني وهي علاقة الإنسان بغيره من الناس، والسلم الإيماني الثالث ربطه صلى الله عليه وسلم بـــتصوير تشبيهي كان فيه المشبه هو: كراهة العود في الكفر والمشبه به: هو كراهة القذف في النار ووجه الشبه هو: الإحساس الفظيع بالألم وكراهة الجسم والقلب كلاهما لهذا الإحساس.

وقد اختار صلى الله عليه وسلم التعبير ب "يقدف" ليدل على مدى كراهة هذا الإنسان للعودة إلى الكفر ولنتأمل كذلك دقة اختياره صلى الله عليه وسلم:للفظة " في" التي تدل على الظرفية، وأن كراهية هذا الإنسان للكفر ككراهيتة لإحاطة النار به إحاطة الظرف بالمظروف[1] وابن حجر العسقلاني يقول : " فإن قيل: فلم عدى العود بفي و لم يعده بـــ " إلى"؟ فالجواب أنه ضمنه معنى الاستقرار وكأنه قال: يستقر فيه[2]، ومثله قوله تعالى: «**مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا** »[3]

وهذا البيان النبوي نقلنا من خفي" العود في الكفر" الى جلي " القذف في النار" وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في الأسرار من أن التمثيل يخرج النفوس من خفي إلى جلي" وهذا التشبيه يرمي الى إظهار كراهية العودة إلى الضلال والكفر ككراهية التردي في مهاوي النار الحارقة وكل عاقل متبصر سيدرك وجه الشبه بين الحالتين وهو الخسران المبين و أنه يجب أن يبحث عن سبيل النجاة و البعد عن الضياع والتيه، ومن ثم فتقوية الإيمان بهذا السلم الإيماني المبني على العقل والموصول بفطرة الله التي فطر الناس عليها نكون قد اعتصمنا بحبل الخلاص والإخلاص لله تعالى ومن خلال هذا التمثيل الذي يعد من جوامع الكلم عنده صلى الله عليه وسلم ندرك البلاغة التي أوتيها عليه الصلاة والسلام التي تمكنه من استمالة العقول والقلوب في آن، لأنه اعتمد

---

[1] عبد الباري طه السعيد، أثر التشبيه في تصوير المعنى ، ص 19.

[2] ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص78.

[3] سورة الأعراف الآية:89.

صلى الله عليه وسلم على العقل بالتدبر في الشيء الممقوت (كراهة العود في الكفر)وعلى الإحساس بما يشعره الجسم من ألم (بكراهة القذف في النار)

في التشبيه السابق تشبيه حالة بحالة ولكي أعقد تلك المقارنة بين التمثيل والتشبيه العادي يجب أن أورد حديثا أو أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تظهر الفرق بين التمثيلات والتشبيهات المفردة.

ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : " اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا"[1] إن نبي الله يوضح لنا أن الصلاة حياة للروح، حياة للجسم وكذلك حياة للبيت الذي يجمع أفراد الأسرة، لذلك فقد حث على المواظبة على أداء الصلاة كصلاة السنن والنوافل في البيت وأما أن تكون صلاة الإنسان كلها في المسجد وأن يمتنع عن أداء أي صلاة في بيته، فإنه بذلك يكون قد حول بيته إلى مقبرة، وفي تصوير النبي صلى الله عليه وسلم إيحاء وإيضاح لأهمية الحياة الروحية في البيت لكي لا يكون موحشا مقفرا كالقبر، وقد حذف في هذا التشبيه وجه الشبه وكذا أداة التشبيه واستعمل الفعل " جعل" والذي هو من أفعال التصيير والتحويل مما يزيد من تعزيز تحويل البيت الذي لا يصلى فيه إلى قبر وهذا ما يعطي صيغة منفرة لمثل هذا البيت في البيوت لتكون جنانا حية متجددة بروح التواصل مع الخالق وإذا ما تأملنا نص الحديث نراه تراوح بين أمر و نهي: اجعلوا (أمر) + (لا تتخذوها) نهي، وهذا ما يلزم الإنسان المسلم المحترم لعقيدته وسنة نبيه أن ينضبط بهذه التعليمة، وإن فيها كثيرا من اليسر الذي يوسم به الدين الحنيف ونلمس ذلك من خلال قوله صلى الله عليه وسلم" من" حرف الجر الذي أفاد التبعيض أي بعض الصلوات وبالأخص صلاة النافلة : " والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يصور لنا هذا الأمر لنتعرف على ما قرره بالتشبيه المؤكد المجمل البليغ من شأن بيوتنا [2] وحرصنا على أن نتمثل هذا النصح في حياتنا ضرورة ملحة.

---

[1] ورد في صحيح مسلم بشرح النووي ج 6 ص67 ، وفي صحيح سنن أبي داود للألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى1419 ، ه1998م ، ص288.

[2] فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص 100.

وإذا ما أردت من خلال إيراد هذين الحديثين أن أبرز العلاقة بين التشبيه والتمثيل أخلص إلى نقاط اتفاق ونقاط اختلاف، فالاتفاق بين صياغة الحديث الأول والثاني تتمثل في: أن كلاهما تشبيه يظهر فيه طرفاه المشبه والمشبه به، كلاهما تضمن وصف شيء بشيء آخر للمشاركة بينهما في التشبيه الحسي أو المعنوي هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الاختلاف بين الصياغتين يكمن في أن الحديث الأول فيه تصوير حالة بحالة أخرى فيها تركيب أي أن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، بينما في الحديث الثاني التشبيه فيه مرتكز على تصوير شيء بشيء آخر، بحيث أن وجه الشبه مفرد غير مركب.

ومن ثم فإن الفكرة التي أصل إليها مفادها أن التمثيل تشبيه بينما ليس كل تشبيه تمثيل لأن الأمر يتعلق وجه الشبه،كونه صورة منتزعة من متعدد .

إن بلاغة التشبيه ترجع إلى ضوابط كثيرة منها: حسن الملائمة بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) سواء أكان وجه الشبه مفردا أو مركبا، ولما يعطي للتشبيه تأثيرا في النفوس وتأدية للمراد التواصلي أن يكون مطابقا لمقتضى الحال والمقام، ومن ثم يكتسي البلاغة المنشودة، وقد كانت أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تتميز بهذه الخاصية فهو المعلم المربي الذي يورد تشبيهاته في المقام المناسب ووفق مقتضيات الحال ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلك : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر..." [1] إن النبي الكريم بهذه التمثيلات يقدم تصنيفات لأنواع من الناس حسب علاقتهم الأكيدة بكتاب الله المترل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن فيجعل القارئ المؤمن المتدبر للقرآن مثله كمثل الأترجة، بطعمها الطيب الحلو المفيد للجسم وريحها الطيب كذلك المريح للنفس،...فيكون هذا التركيب في التشبيه في وصف المؤمن القارئ للقرآن من قبيل التمثيل الموحي بالمعنى المعبر عن مكانة هذا

[1] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم7560ص878 .

الصنف العلوي من الناس بروحه وأعماله الصادقة وفيه هنا ترغيب أن يكون كل مسلم من الذين يدرجون ضمن هذا النوع الموصوف بالأترجة ذات الطعم والريح الطيبين، وإن كانت التشبيهات الأخرى المتوالية تأتي متدرجة حسب درجة الإيمان والمكانة فإن ذا العقل له أن يختار الأفضل من هذه المراتب.

إن هذا التشبيه التمثيلي في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وأن العباد متفاوتون في ذلك،فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي: " ووجه الشبه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال، فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها إلى علو شأن المؤمن وارتفاع عملة وضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه"[1]

وقول ابن الأثير عن التشبيه في هذا الحديث : " وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو متصف بصفتين هما الإيمان والقراءة بالأترجة وهي ذات وصفين، هما الريح والطعم، وكذلك يجري الحكم في المؤمن القارئ و المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ"[2]

ومن هنا تظهر الحكمة من تشبيهه صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة دون غيرها من الفواكه لأن فيها من المزايا ما في المؤمن من الصفات العالية فهي " أفضل ما يوجد من الثمار في سائر البلدان وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها، فمن ذلك كبر جرمها وحسن منظرها، وطيب مطعمها، ولين ملمسها تأخذ الأبصار صبغة ولونا، فاقع لونها تسر الناظرين، تتوق إليها النفس قبل التناول، واشتراك الحواس الأربع: البصر

---

[1] عبد الباري طه سعيد، أثر التشبيه في تصوير المعنى (قراءة في صحيح مسلم)، ص 111.

[2] ابن الأثير، المثل السائر ، ج2، ص 137-138.

والذوق والشم واللمس في الاحتفاظ بها، ثم إن أجزاءها تنقسم إلى طبائع: قشرها حار يابس، ولحمها حار رطب، وحماضها بارد يابس...، وفيها من المنافع ما هو مذكور في الكتب الطبية" [1]

كما مثل الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة التي لا ريح لها وطعمها طيب حلو"وهذا بعينه متحقق في المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو حلو الطعم لاستقرار الإيمان في قلبه، ولكن ينقصه الريح الطيب بعدم قراءته للقرآن ومن هنا تظهر الحكمة في تشبيهه بالتمرة فهي حلوة الطعم ولكن لا ريح لها.

كما مثل صلى الله عليه وسلم للمنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ووجه الشبه في هذا التمثيل أن المنافق الذي يقرأ القرآن مر الطعم لأن قلبه خرب لخلوه من الإيمان ولكنه يتظاهر أمام الناس بقراءته للقرآن فتبدو له صورة حسنة بسبب قراءته للقرآن (وحقيقته مرة خربة) لأنه يظهر عكس ما يبطن.

كما شبه صلى الله عليه وسلم المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة وعلل سبب الإختيار موضحا وجه الشبه بأن الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر، وهذا هو حال المنافق الذي لا يقرأ القرآن فباطنه خرب يحمل نفسا خبيثة خلقت من الفجور ونبتت في النفاق وظاهره (ريحه) كريه أو لا ريح له لأنه لا يشم منه خير.لأن أعماله سيئة فان صفاته دميمة.

وفي هذا التقسيم النبوي البليغ حسن ودقة لا يقرب منهما حسن أو دقة في كلام أي بليغ مفوه وفيه مطابقة كلية بين حالين للمؤمن وحالين للمنافق وهذان الأسلوبان " حسن التقسيم ودقته" "والمطابقة الكلية" لهما أثر عظيم في تحقيق التشبيه، ودوره في تصوير المعاني وتقريبها على الأفهام ومن أهم الوسائل التي وظفها صلى الله عليه وسلم الإعتماد على البيئة المشاهدة المحسوسة الأترجة والتمر وفوائدهما الكثيرة والريحانة ومحدودية فائدتها والحنظلة وعدم تميزها بفائدة سوى إنها أفادت في هذا التوضيح في الوصف التشبيهي لصنف من الناس من حيث أنها لفظة لها مدلولها.

---

[1] العيني ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج 16، ص 222.

وقد أبدع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيراد هذه السلسلة من التشبيهات التمثيلية ذات الوقع والتأثير لحسن التصوير والتوضيح " وقد أجمعت الآراء في البلاغة الكلاسيكية على الدور الحسي الذي يؤديه التشبيه فهو يجسد في صورة حسية الأفكار المجردة، فنتمثلها وكأنها موجودة أمامنا"[1]

ولا شك في أن اهتمام النقاد العرب " بالتمثيل" في كلامهم على التشبيه، كان بدافع التأكيد على الناحية الحسية في صورة المشبه به، وخاصة الصورة المرئية، حتى ان ابن الأثير عندما يتحدث عن أقسام التشبيه يذكر في القسم الثالث ما يلي: " وأما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى : " والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة" وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة [2] لتمثيلة المعاني الموصوفة بالصور المشاهدة" [3]

فعندما يتمكن التشبيه من إخراج المعاني الذهنية المجردة إلى صورة حسية مرئية يكون قد بلغ ذروته في البلاغة والإبلاغية التعبيرية وتتجسد هذه الغاية في الأثر الذي تتركه الصورة في نفس القارئ فتتولد لديه المشاعر والإحساسات المختلفة ويضيف ابن الأثير" وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير منه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير منها وهذا لا نزاع فيه" [4]

ومن ثم فإننا نخلص إلى استنتاج أن الصورة المثبتة في المشبه به هي التي تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله أمامنا وعلى أساس هذا التمثيل نحدد مشاعرنا ورغبتنا في الشيء أو رهبتنا منه، وكذلك ينطبق هذا المفهوم على نص الحديث المشروح عن المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ له، والمنافق القارئ وغير القارئ كذلك بحيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم رغبنا بتشبيهه في المؤمن القارئ للقرآن حين شبهه بصورة حسية نلمس فوائدها وهي الأترجة، ورهبنا

---

[1] صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع، ص 112.

[2] الأوجه الأربعة ذكرها أبوهلال العسكري في الصناعتين ،ص262-264.

[3] ابن الأثير، المثل السائر ج2، ص 130.

[4] المصدر نفسه، ص 124.

وقبح صورة المنافق غير القارئ للقرآن بوصفه بالحنظلة مما يترك لدينا الإرتياح حين نسمع الوصف والتمثيل الأول ويجعلنا نتقزز ونشمئز حين يصل مسامعنا الوصف والتمثيل الثاني وهو مما أوتيه صلى الله عليه وسلم من قدرة على التأثير والإقناع.

هذا إذا نظرنا إلى التشبيه من حيث النظرة البلاغية التي استند إليها علماء البلاغة وأهم ما ركزوا عليه الدلالة الحسية والدلالة المجردة، أما في المفهوم الحديث فإن النظرة ترتبط بكون التشبيه صورة شعرية" يقرب حقيقتين مختلفتين فلا ينظر إليه فقط من خلال طبيعة كل حقيقة إذا كانت مجردة أو حسية، وإنما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها، ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام، وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة بين طرفي التشبيه أن تولد من إيحاءات ومدلولات " [1]، ثم إن شيوع هدا اللون البياني في كلام العرب يرجع إلى كونه المستوى الأول من مستويات التصوير الفني.ومنطق التدرج يقتضي أن يكون الأكثر توظيفا من حيث التطبيق و التنظير.فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يورد في أحاديثه التمثيلات البليغة للتقريب والجمع بين المفاهيم وإعطاء مدلولات ومعاني هدفها ترسيخ الفكرة في الذهن وإيقاع التأثير في النفس لتترجم إلى سلوك ايجابي يبني العقل والنفس ويرقى بالإنسان والإنسانية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح وتعدلها مرة حتى يأتيه أجله، ومثل الكافر مثل الأرزة المجذية على أصلها لا يقلها* شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة "[2]

---

[1] صبحي البستاني، الصورة الشعرية ، ص 115.

[*] لا يقلها: لا يرفعها ولا يحركها، انجعافها: انقلاعها . نقلا عن كتاب الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ الأصبهاني ، ص 368.

(2)أخرجه مسلم في كتاب اصفات المنافقين وأحكامهم،برقم2810 ،ص1213.

(3)أبو الشيخ الإصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي،ص368.

وقد ذكر الأصبهاني، أن تشبيه المؤمن بالخامة التي تميلها الرياح لأنه مرزأ في نفسه وأهله وماله وولده وأما الكافر فمثل الأرزة التي تميلها الريح والكافر لا يرزأ شيئا حتى يموت فإن رزئ لا يؤجر عليه، فشبه موته بانجعاف تلك حتى يلقى الله بذنوب جمة[3]

هذا الحديث برواياته المتعددة من باب ضرب الأمثال لتوضيح المعاني وكشف الحقائق وتقريبها للأفهام وترسيخها في الأذهان وفيه مثلان:

**المثل الأول**: ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمن فمثله كمثل الزرع أو كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعد لها أخرى، فإنه شبه المؤمن في تصرف الأيام به وما يناله من بلائها بالخامة من الزرع، تقلبها الريح مرة كذا و مرةكذا.

**والمثل الثاني**: ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للمنافق أو الكافر مثله كمثل شجرة الأرز المجذية (الثابتة المنتصبة) فهي لا تزال ثابتة منتصبة حتى يكون انجعافها (انقلاعها) مرة واحدة فالمصائب والبلايا بعيدة عنه ليزداد إثما. إذا قدرها الله عليه تحطم وانهار مرة واحدة، والمعنى المراد أن المؤمن كثير الآلام مبتلى في بدنه أو أهله أو ماله وهو يقابل كل هذا بالصبر والرضا يدافع من إيمانه وأما الكافر أو المنافق فقليل المصائب وإن وقع به شيء منها لم يكفر شيء من سيئاته بل يأتي بها يوم القيامة كاملة' وصدق الله حيث يقول في محكم التنزيل : " **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول الذين أمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**"[1].

والرسول عليه الصلاة والسلام يشبه المؤمن بخامة الزرع وكأنه ناظر إلى ما فيه من نفع لحياة الإنسان أو أنه يرجى خيره دائما على كل حال.

وإذا حاولنا أن نبحث عن سر تمثيل المؤمن بالزرع وتمثيل المنافق أو الكافر بالشجرة الضخمة العظيمة، سنجد عدة وجوه جليلة وآثار عظيمة، ومجمل هذه الفوائد:

**الفائدة الأولى**: أن الزرع ضعيف مستضعف، والشجر قوي مستكبر متعاظم، فالشجر لا يتأثر من حر ولا برد... والزرع بخلاف ذلك، وهذا هو الفرق بين المؤمنين والكافرين وبين أهل الجنة وأهل النار، كما في جاء في صحيح البخاري عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه

وسلم، قال: " ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره وألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر" [2].

**الفائدة الثانية** :إن المؤمن يصبر على البلاء والفاجر الكافر لقوته وتعاظمه يتقاوى على الأقدار كشجرة الارز التي تستعصي على الرياح فيسلط الله عليها ريح عاصف لا تقوى عليها فتقتلع من جذورها وهكذا من يستكبرون بما أتاهم الله من قوة أو مال أو غير ذلك، يكون هذا مصيرهم كما حدث لقوم عاد : **«فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَايُنصَرُونَ»**[3]

وقد قال الشاعر:

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وهكذا نجد تلاقيا في المعاني وتطابقا فيما بينها في المعنى المراد بين القرآن والحديث النبوي مع تفرد كل منهما بسماته وبريقه المنير، فالقرآن له إعجازه وجلاله، والحديث له صدقه وجماله،و ذلك"لأن كل معنى جديد يفيد تشكيل جميع المعاني السابقة" [2] لأن القرآن والحديث كانا دائما ومازالا من مصادر المعاني ومنابع الرؤى المتجددة.

وإذا ما أردنا أن نقيم تقابلا بين طرفي التمثيل في الحديث النبوي نجد الآتي: إن الزرع ينتفع به بالحصاد، ويبقى منه بعد الحصاد ما يلتقطه المساكين وترعاه البهائم وهكذا مثل المؤمن يموت ويخلف ما ينتفع به من علم نافع وصدقة جارية أو ولد صالح يدعو له وأما الفاجر فإذا اقتلع من الأرض لم يبق فيه نفع، بل ربما خلف ضررا، فهو كالشجرة المنجعفة لا تصلح إلا لإيقاد النار هذا

---

[1] سورة البقرة ، الآية 214. ا

[2] رواه البخاري في كتاب تفسير القران باب "عتل بعد دلك زنيم" برقم4918.ص595.

[3] سورة فصلت الآيتان: 15-16.

[1] مصطفى ناصف ، نظرية المعنى في النقد العربي ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ص97.

من جهة، ومن جهة أخرى فإن الزرع مبارك بجملته كما ضرب الله مثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، وليس كذلك الشجر، لأن كل نبتة مما تغرس منه لا تزيد على إنبات شجرة واحدة،ثم إن الحب الذي ينبت من الزرع هو مؤونة الآدميين وغذاء أبدانهم وسبب حياة أجسادهم، فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الأجساد والإيمان حياة الأرواح، وأما ثمر بعض الأشجار كالصنوبر ونحوه، فليس له نفع وربما لا يتضرر بفقده، فلذلك مثل الفاجر والمنافق به لقلة نفع ثمره.

وهذا التشبيه التمثيلي في هذا الحديث النبوي الشريف تشبهت فيه حالة مركبة يمثلها ويدلل على ذلك كلمة "مثل" ومعناها الحال أو الصفة، فهي تستعمل سمة الهيئات المركبة، فضلا عن مراعاة مختلف الجوانب في كل من المؤمن وخامة الزرع، والكافر أو المنافق وشجرة الأرز، فالمؤمن قد لوحظ فيه كل الجوانب الحياتية من صحة ومرض، وفقر وغنى، وبركة ونماء الخير لديه وتآزره وتعاونه ونفعه للعالمين، وكذلك خامة الزرع ملحوظ فيها الجوانب المختلفة من حيث تآزرها وتحملها وبركتها ونفعها ونلحظ كذلك أن اختيار البيان النبوي لعنصر المشبه به (خامة الزرع) اختيار موفق، يلمس أوتار القلوب وينال أريحيتها، لما في هذا العنصر من الخير المستمر والنفع للبشرية، فضلا عن قربه من واقع الناس جميعا في كل عصر وكل مكان وكلما كان التشبيه ألصق بالواقع المحسوس كانت أسباب قبوله في النفوس أمكن، وثقتها به أحكم، وهذا من أعظم أسباب بلاغته صلى الله عليه وسلم.

لذلك فإن" آليات المشابهة ليست دليل نبوغ جمالي فحسب بل هي قبل ذلك مكون من مكونات معمار الذهن البشري، إنها آلية من الآليات التي ينظم بواسطتها الذهن العالم، ويتمثله ويخزنه ثم يستعيده عند الحاجة..." [1] وقد وظف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآلية (المشابهة) لتوصيل وتقريب المفاهيم إلى الناس الراغبين في معرفة فحوى الرسالة المحمدية وقد كيف تشبيهاته وفق ما يقتضيه الموضوع بين تشبيه عادي أو ما أطلق عليها " عبد الإله سليم" المشابهة

---

[1] عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء– المغرب الطبعة الأولى 2001، ص 07.

الأساس وهو ما كان وجه الشبه مفردا وهو كثير الورود في الأحاديث النبوية واستعمل كذلك للإيضاح واستيضاح الحكم والرقي بالفكر والوجدان " المشابهة الإبداعية" أو ما تطلق عليه التشبيه المركب أو التشبيه التمثيلي التصويري الذي يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد مما يعطينا، رغبة في البحث عن شروح وتأويلات تعيننا على فهم المعاني المتواردة والمتوالدة من الصياغة الجملية الواحدة، فيكون التشبيه التمثيلي هنا منتجا مثمرا ممتد الجذور " وعندما يصل التشبيه إلى هذا المستوى من اللطافة والغموض، تتحرر فيه الدلالة من إطارها الواضح والضيق لتتجه نحو الإيحاء الذي هو ميزة اللغة الشعرية،... وبعض الغموض الذي يكتنف العلاقة بين الحقيقتين يتطلب من القارئ جهدا وتفكيرا وروية ومثابرة، كي يتلمس نقاط الالتقاء والتشابه بين طرفي التشبيه" [1] حتى إذا ما وصل إلى بعضها" كان نيله أحلى وبالميزة أولى فكان موقعه في النفس أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف" [2]

وبهذا يكون التمثيل "طاقة موحية لا تقدم للقارئ المعنى جاهزا وإنما يفتح أمامه باب التأويل والإيحاء واسعا يدخل عالمه دون أن يتمكن من بلوغ منتهاه، وقد كانت التشبيهات التمثيلية في الحديث النبوي الشريف ذات أبعاد وتأويلات عميقة تجعل المتتبع لأقواله عليه الصلاة والسلام يتتبع دررا لا يكاد يفقه إحداها إلا وانكشفت له أخرى بل وأخريات ضمن السياق الحديثي المتجلي بأنواره ومعانيه الراشدة.

وتظل صحة التشبيه وصوابه مرتبطة بتناسبه المنطقي ومدى دقة المطابقة العقلية والمادية بين أطرافه"[3]

وكذلك الأمر في التمثيل وضرورة أن يكون التناسب المنطقي بين الصورة الأولى والثانية منطقي يحتكم إلى العقل بدقته وتعبيريته عن الواقع وما يجول في الذهن والخاطر، وإن التشبيه دليل على خصب الخيال وغزارة مادته، لأن منشأه الصور وكثرتها وتزاحمها وتفاعلها وتجمعها وتفرقها،

---

[1] صبحي البستاني، الصورة الشعرية ، ص 121.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص118.

[3] جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي،دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة،1974 ص 282.ا

فالأدب الذي يشمل على تشبيه التمثيل أدب خصب الخيال والتمثيل من بين صنوف التشبيه وهو الدافع إلى الإبداع والابتكار وقد وقف عبد القاهر عند وظائف التمثيل بوصفه أرقى من التشبيه الصريح وقد ذكر للتمثيل وظائف عدة أهمها تقوية المعنى وتوكيده في النفس، والطرافة، والغرابة عن طريق الجمع بين العناصر المختلفة الأجناس، واجتلابها من غير مظنتها، والميل إلى التجسم والتشخيص والرمز، وإحداث لذة عقلية لدى المتلقي، تولد في نفسه لذة عاطفية، نتيجة كون الصورة البلاغية تحرك النفوس، وتدعو القلوب إليها[1]

ولهذا كانت الأمثال التشبيهية من أشرف الكلام وأعظمه وخاصة العقل ولبه، ومما يجب على الراغب في الإستزادة من الأدب أو اللغة أو الدين، لأنها من أعظم مباحث علوم القرآن وهي ركن ركين في البيان النبوي، وهي أعلى المراقي في معرفة العلوم الدينية والدنياوية، "والأمثال هي وشي الكلام،وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم،ونطق بها في كل زمان...حتى قيل أسير من مثل "[2]

فالعلاقة بين التشبيه والتمثيل علاقة تداخلية يستقي أحدهما من الآخر العون في الإيضاح وإيصال المعنى للمتلقي في صورة فنية يجلوها العقل من جهة والحس والوجدان من جهة أخرى، وإذا ما أردنا أن نخلص إلى نتيجة فإن ما يمكن أن أورده هنا،وفي هذا المقام هو ما انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني في إيضاحه للفرق الدقيق بين التشبيه والتمثيل حيث أنه بين أنه " في تشبيه المفردات أو التشبيه (العادي) نستطيع أن نعكس التشبيه ( أي طرفاه) للمبالغة فنجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها (أو ما يصطلح عليه بالتشبيه المقلوب) كأن تشبه النجوم بالمصابيح والورود بالخدود والنرجس بالعيون والبروق بالسيوف، ويقول عبد القاهر إنك لا تستطيع أن تعكس التشبيه أو تقلبه إذا لم يقصد فيه إلى ضرب من المبالغة في إثبات صفة الشيء أما إذا قصد إلى الجمع

---

[1] أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر " منهجا وتطبيقا" ، ص 284.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد،شرح وضبط:أحمدأمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1403،1983م، ج3، ص63 .

بين شيئين في مطلق الصورة والشكل واللون فإنه حينئذ لا يحسن العكس ولا القلب، وإذا رجعنا إلى التمثيل وجدنا لنفس هذه العلة ندرة العكس فيه، بل إنه لا يستقيم معه إلا بتأول شديد" [1]

وإن كان هذا الاستنتاج الذي أورده يصدق على بعض التشبيهات العادية ولا يصدق على أخرى فمثلا في قوله صلى الله عليه وسلم: " مثل النخلة مثل المؤمن كل ما أتاك منها نفعك" [2] يمكن أن نقلب أو نعكس فيها المشبه والمشبه به فنقول " مثل المؤمن مثل النخلة" وقد ورد حديث للرسول صلى الله عليه وسلم يتضمن التشبيه نفسه ولكن مقلوبا (معكوسا) وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شيء نفعك" [3] و الحديث مروي بالصياغتين،ولكن هناك أحاديث تتضمن تشبيهات عادية غير أنها لا يمكن أن تقلب وتؤدي المعنى نفسه من حيث الاستقامة والتعبير عن الفكرة ذاتها مثل قوله صلى الله عليه وسلم " الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها" [4] حيث أن المعنى هنا يتعسر قلبه أو عكسه لارتباطه بالله عز وعلا وما يترتب عن ذلك من إخلال بالمعنى وخروج عن جادة العقل والشرع.

وأخلص إلى القول إلى أن التقسيم البلاغي للتشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيل وتشبيه غير تمثيل يوضح العلاقة بين هذين النوعين من حيث أن الأول الصورة فيه منتزعة من متعدد ومتراكبة بينما الثاني وجه الشبه فيه مفرد، والرسول صلى الله عليه وسلم وظف كليهما بحسب ما يقتضيه مقام الكلام وهو عليه الصلاة والسلام يترع في تشبيهاته التي يستخرجها من كتر الحقيقة المطمورة عند الكثيرين فإذا به يجمع لك بين حقائق الأشياء من أقرب معين وهو العقل ومن أفضل مورد وهو الوجدان النقي نقاء الفطرة، فقيمة التشبيه في المنطق النبوي والمسار الرسالي ترتبط بمدى نفعه التربوي المرتكز على العقل الصادح بنور الحق.

---

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ص 204.

[2] الحديث قال عنه ابن حجر في فتح الباري إسناده صحيح ، ج1ص185 ، عن كتاب الأمثال في الحديث النبوي للإمام الحافظ أبي الشيخ الأصبهاني، ص 405.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،ج1، ص 185.

[4] مسند الإمام أحمد ، ج2، دار صادر بيروت، ص 438 .

**– التمثيل وعلاقته بالإستعارة:**

الإستعارة في اللغة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر، والعارية منسوبة إلى العارة وهو اسم من الإعارة [1] ومما اشتق من المستعار أعور الفارس بدا منه موضع خلل، ومكان معور ذو عورة، والإسم تعتوره حركات الإعراب، وتعاورت الرياح رسم الدار،...واستعار سهما من كنانته، وأرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني، وسيف أعيرته المنية[2]، قال النابغة:

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع [3]

وفي الإصطلاح: الإستعارة مجاز علاقته المشابهة، أو هي: لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة هي خصوص المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة الموضوع له لقصد المبالغة، فهي أخص من المجاز وضابطها الشامل لجميع أقسامها، هو أن يقال، ذكر أحد طرفي التشبيه مرادا به الأخر مع سد طريق التشبيه بإدعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، والجاحظ هو أول من عرفها بقوله: الإستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" [4] وعرف الرماني الإستعارة بقوله :"الإستعارة تعليق العبارة على غير ماوضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة" [5]، فقد حددت هنا وظيفتها بالإبانة والتوضيح من خلال النقل والإدعاء.

وبين المعنى اللغوي والتعريف الاصطلاحي علاقة تواصلية ترتبط بحقيقة الإستعارة كمفهوم بلاغي، تحددت معالمه حين تحليل النصوص الأدبية المختلفة وقد أكد هذه العلاقة ابن الأثير بقوله: "الأصل في الإستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقة التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعبر أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم

---

[1] – ابن منظور لسان العرب "مادة عور" ص 927.

[2] – الزمخشري أساس البلاغة ص 316-317 .

[3] – حنا الفاخوري ، منتخبات الأدب العربي،ص30.

[4]– الجاحظ البيان والتبيين ج1 ص153.

[5]– الرماني،النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،دارالمعارف ،مصر،ط02-1968 ،ص85.

جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، المشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر" [1] وإذا ما ربطت بين التمثيل والإستعارة فإن هذا القول لابن الأثير الذي، يؤكد فيه الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي فإنه وظف التمثيل أو التشبيه التمثيلي في إيضاح معنى الإعارة بين الأشخاص الذين بينهم سابق معرفة واتصال لتتم عملية الإستعارة الحقيقة، وكذا بين الألفاظ التي يجب أن يكون بينها ارتباط معنوي لتتم الآلية الإستعارية بالنقل وحذف أحد طرفي التشبيه من التركيب الجملي المتضمن استعارة، وهذا ما يرشد إليه الحديث النبوي الشريف "مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين"[2]

بمعنى أنها تنتقل وتتحول ولا تستقر على أمر، وهذا المعنى أشارت إليه الآية الكريمة:

**«مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـــؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـــؤُلاء »** [3] ومن هنا كانت الإستعارة ناتجة عن هذا المعنى اللغوي ومنبثقة عنه، ومع كثرة التعريفات التي قيلت في الإستعارة إلا أنها تلتقي جميعا حول معنى واحد أن الإستعارة نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل، و"الإستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيرا، وأرقها تأثيرا، وأجملها تصويرا وأكملها تأدية للمعنى، ولا غرو فهي مأخوذة عن التشبيه ولكنه تشبيه مضمر في النفس وهذه هي البيئة الأولى للإستعارة" [4] وتنبني الهندسة الإستعارية على أساس الأرضية التشبيهية الموغلة في استنباط المعاني الخفية بين مختلف الأشياء المعقولة أو المحسوسة مما يكون لدى المتلقى صورة متماسكة تمس الوجدان وتقنع الفكر، لذلك فإنه من الفروق بين التمثيل والتشبيه التي يذكرها عبد القاهر الجرجاني أن التشبيه الظاهر تتأتى فيه الإستعارة ويصار منه إليها، حيث يطوي المشبه به وتجري أوصافه على المشبه، أو يطوى المشبه، ويطلق اسم المشبه به عليه، وذلك لوضوح وجه

---

[1]- ضياء الدين بن الأثير المثل السائر، ج2 ص 62-63.

[2]- صحيح مسلم يشرح النووي ج17 ص128.

[3]- سورة النساء الآية: 143.

[4]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها (علم البيان والبديع)، دار النفائس الأردن، الطبعة الثانية عشر 1429هـ - 2009م ص 188-187

الشبه وتحققه في كلا الطرفين، وهذا يتضح في التشبيه المفرد القريب المأخذ، أما التمثيل المركب الذي ينتزع فيه وجه الشبه من جملة من الكلام أو من عدة جمل فإن العلاقة تكون وطيدة فيه مع نوع من الإستعارات الشيقة المؤثرة وهي التمثيلية، "فاستعارة المركب كله للهيئة أو للحال التي شبهت به،... لم يمنعه عبد القاهر بل عقد له فصلا أبان فيه أن المركب قد يستعمل بأسره في الحال المطوية التي مثل به لها" [1] وقد جاء ذلك في معرض حديثه (عبد القاهر) عن علاقة التمثيل بالإستعارة فقال: "وأما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد الاستعارة فمثالة قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى" [2] .

فيؤخذ المثل على أنه المشبه به والحالة المشابهة له هي المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، ووجه الشبه بين التمثيل و الاستعارة التمثيلية هو هذا التركيب في التشبيه، ولكن يحتفظ كلا اللونين بخاصيتهما المميزة"إذ لو كان مرادنا بالإستعارة هو المراد بالتمثيل لوجب أن يصح إطلاقها في كل شيء يقال أنه تمثيل ومثل"[3] ثم أن الاستعارة من المجاز، أما التشبيه فيدخل في الحقيقة، كما أنها تقوم على معنى الإدعاء ويبدو كأنك تدعي معنى اللفظ المستعار للمستعار له والتمثيل لا يوجب مثل هذا ولكنه يدع اللفظ مستقرا على أصله[4].

وهكذا يحقق الأسلوب الإستعاري :المجازية،و الإعارة، والإدعاء، و المبالغة في التشبيه، إلى جانب الإيجاز،و الاختصار في التركيب، مع الإلتحام و التداخل الشبه الكلي بين الطرفين يصير أقوى مما كان عليه في حالة التمثيل، بحيث أن الدلالة تصبح محصلة التفاعل بين معاني طرفي الإستعارة، وهنا لا بد أن يتجاوز أثرها مستوى الجملة لتتآزر مع غيرها من الصورة (كالتشبيه و التمثيل و الكناية) على مستوى النص كله كشفا عن جوانب خفية من التجربة الإنسانية تفيد المبدع وتمتع المتلقي [5]

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود،دراسات بلاغية، ص 190.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجازص54 .

[3]- سعد سليمان حموده ،البلاغة العربية ،دار المعرفة الجامعية،مصر 2007 ص .193

[4]- المرجع نفسه ص 194.

[5]-سعد أبو رضا في البنية و الدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ).منشأة المعارف الإسكندرية.ص185.

ورغم أن الحديث في التراث عن الاستعارة قد أسهم فيه مع البلاغيين متكلمون و لغويون و نحويون و فلاسفة، وهؤلاء لهم توجهاتهم الخاصة بين مؤثر للوضوح و التمايز بين الأطراف، وحريص على ثبات الدلالة و منطقيتها، و التمسك بحدود التشابه لكن الاستعارة الجيدة هي التي "لا تعتد كثيرا بالتمايز و الوضوح المنطقيين، و لاتعتمد كثيرا على حدود التشابه الضيقة بقدر ما تعتمد على تفاعل الدلالات الذي هو انعكاس و تجسيد لتفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها [1]، وهذا ماجعل "مونرو بيردسلي" يصف الإستعارة على أنها قصيدة مصغرة، ومن هنا فالعلاقة بين المعنى الحرفي و المعنى المجازي أشبه بنسخة مختصرة في داخل جملة واحدة من الدلالات المعقدة المتداخلة التي تسم العمل الأدبي ككل و أعني بالعمل الأدبي هنا العمل الذي ينطوي على خطاب متميز" [2]، وهذا ما نجده ماثلا في التشبيه التمثيلي إذ تتمازج الدلالات و تتفاعل لتخرج عن مدلولها اللغوي المحدود إلى معاني أرحب وأوسع .

فالفرق الدلالي بين التمثيل و الإستعارة التمثيلية بالأخص أن يكون اللفظ المستعار أصل ومفهوم لغوي، قبل أن يستعار لغيره، وعند استعارته يكتسب مفهوما جديدا من خلال عملية الاستبدال التي تقوم بها الاستعارة أما التمثيل فالدلالة فيه منتزعه من مفاهيم عدة وليس من مفهوم واحد ومجموع تلك المفاهيم شكل التمثيل والمثل لذا لا يصح أن يطلق على مثل و تمثيل استعارة، لأن المدلول الذي تعطيه الإستعارة مدلول منجز بشكل علامي، في حين أن التمثيل يعطي مدلولا واحدا (علامة) مستخلصا من مجموعة دوال بين طرفي التشبيه...وانطلاقا من ذلك، ذكر الجرجاني فرقا بين الإستعارة والتمثيل [3]، تمثل في قوله: "وإذا كان الأمر كذلك بان أن الاستعارة يجب أن تفيد حكما زائدا على المراد بالتمثيل"[4] .

---

[1] المرجع نفسه ص186-187 .

[2] بول ريكور ، نظرية التأويل ( الخطاب و فائض المعنى) ترجمة: سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب ، ط2/2006 ص 84.

[3] – محمد سالم سعد الله، رؤية لنظم علاقات البيان عند الجرجاني– رابطة أدباء الشام./ www.google

[4] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 207.

والملاحظ في التفرقة بين هذه الفنون البيانية أن الجرجاني لم يفصل الفصل القاطع في إيضاح الفروق البينة والمحددة لكل فن عن الآخر، لذلك فإنه قد أشار في فصل التفرقه بين الإستعارة والتشبيه إلى أن هذا الموضع من الجملة مشكل ولا يمكن القطع فيه بحكم من التفصيل الجازم.

ولعل أهم ما يتضمنه مفهوم الإستعمال الإستعاري هو أن أطراف الصورة لا تستقل بنفسها، كما عهدناه في الصورة التشبيهية وإنما تتداخل وتصير كلها طرفا واحدا، على الرغم من أنها مؤسسة من طرفين قد يختلف مجالهما، وقد يكونان غير متجانسين في الأصل [1]، ففي الاستعارة إذن يكون التمازج في الصورة بينما يجب أن يظهر الطرفان بجلاء في التمثيل لتأدية الغرض المرجو .وكان عبد القاهر الجرجاني من أبرز من نبه إلى ذلك من علماء البلاغة بقوله " فالتشبيه ليس هو الإستعارة ولكن الإستعارة كانت من أجل التشبيه وهو كالغرض فيها،أو كالعلة والسبب في فعلها" [2]و"هذا لأن التشبيه له العلاقة الوطيدة بالإستعارة" [3] ومما يتوقف عنده البلاغيون باهتمام قدرة الإستعارة على إغناء اللغة ورفدها بالدلالات الجديدة، ذلك أنها تسحب اللفظ من استعماله اللغوي المألوف وتتجه به صوب ميدان جديد، في ظل أجواء جديدة وبذلك تتسع دائرة الألفاظ وتتنوع وتتلون، والحرية اللغوية أساسية أخرى في الإستعارة .

والإستعارة" في جوهرها تعتمد على التشبيه، غير أنها تمتاز عنه بالمبالغة والإغراق في التمثيل"[4].

ولكن الإستعارة كذلك تضم في داخلها الجملة كلها، و بهذا تكون خلقا تلقائيا وابتكارا دلاليا ومن ثم فهي تشبه حل اللغز أكثر مما تشبه اقترانا قائما على المشابهة. [5]،كما أن للإستعارة القوة و

---

(1) فالح حمد أحمد الحمداني،الصورة البيانية في الحديث النبوي،ص176.

(2) –عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ص207.

(3)- Marc bonhomme-les figures cles du discours-editions du seuil-paris-1998-p66 -

– والنص بالفرنسية: «La comparison qui a des liens etroits avec la metphore »

(4)- ابن رشيق ، العمدة، ج1، ص 270.

(5)– بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى) ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب– الطبعة الثانية 2006 ص93

"القدرة على إعادة وصف العالم،ذلك لأنها تمثل الصورة الكبرى للخيال الشعري"[1].

هذا عن التشبيه عامة وعلاقته بالإستعارة، ولكن ماذا عن علاقة التمثيل بالاستعارة؟ يمكن أن أؤسس في إيضاح هذه العلاقة بما سبق كون التمثيل أحد أنواع التشبيه وكذلك الاستعارة تنبني على التشبيه، من حيث الخاصيات المذكورة آنفا غير أني فيما يلي سأضيف علاقة وثيقة ووطيدة إذ أن التمثيل تشبيه مركب ووجه الشبه فيه متعدد والاستعارة كذلك إلا أنها تجنح أكثر إلى الإغراق في المبالغة والتصوير وهنا نقطة الالتقاء،كما أن التمثيل والإستعارة كلاهما مبني على التشبيه.

وقد نبه "الرماني" إلى أن هناك نوعين من التشبيه: تشبيه حقيقة وتشبيه بلاغة، أما تشبيه الحقيقة فمثل: " هذا الدينار كهذا الدينار فخذ أيهما شئت"، وأما تشبيه البلاغة فمثل: " أعمال الكفار كسراب" [2] المثال مأخوذ عن الآية القرآنية «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً** » [3] ومن هذه الفكرة التي أشار إليها الرماني أصل إلى منحنى تصاعدي في دراسة التشبيه من حيث أن هناك: تشبيه عادي يقوم أكثر ما يقوم على الحقيقة وتشبيه فني يربط بين الحقائق الواقعية للوصول إلى الأفكار والمجردات وهو التشبيه التمثيلي وكذلك الحال بالنسبة للإستعارة، فنجد الاستعارة ككل وبكل أنواعها تتفاوت إلا أنها أفضل وأبلغ أنواع الإستعارات هي الاستعارة التمثيلية لذلك فإني سأركز في إيراد النماذج النبوية على الربط بين مفهوم التمثيل والاستعارة ودرجة الرقي التمثيلي أو تمثل المعنى المطلوب من العبارة في الصياغة النبوية.

وقد أجمع البلاغيون على أن للاستعارة ثلاثة أركان هي: المستعار منه وهو المشبه به، والمستعار له: وهو المشبه والمستعار وهو اللفظ المنقول الذي تحدث به عملية الاستعارة.

---

(1)- Marc Bonhomme-les figures cles du discours –p63

-النص بالفرنسية « Par son pouvoir de redecrire le monde ,la metaphore est la grande figure de l, imaginaire poetique »

(2) عبد الإله سليم،بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 33.

(3) سورة النور، الآية 39.

وأجد أنه من المناسب أن أتناول نموذجا من الحديث النبوي الشريف حيث يشتمل على الأصول الثلاثة للاستعارة قال معاذ رضي الله عنه، قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه يسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان،وتحج البيت، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا" تتجافي جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ تعلمون، ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام،وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت : بلى يا رسول الله، قال" كف عليك هذا، وأشار إلى لسانه قلت: يا نبي الله، وإنا مؤاخذون بما نتكلم به، قال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم"[1]

فقوله " يدخلني" أسند إلى العمل وهو في الحقيقة لله تعالى وكذا إسناده المركب إلى الحصائد (دخول النار) والسكاكي ذهب إلى انه من الاستعارة المكنية، شبه العمل لكونه سببا للمطلوب للفاعل الحقيقي تشبيها بليغا وأدخله في جنسه وأطلق اسم العمل على اسم الفاعل الحقيقي لا على مسماه وجعل نسبه الإدخال قرينة

" وقوله أبواب الخير" من المصرحة التخيلية حيث شبه الخير بدار فيها من كل ما يتمناه النفس، ثم بالغ حيث أدخل الخير في جنس الدار فتوهم له ما يلازم الدار وهو الباب ثم شبه المخترع بالباب الحقيقي،ثم أطلق اسم المحقق على المتوهم وجعل إضافة الباب إليه قرينة كذلك [2] وقوله " تطفئ الخطيئة" من التبعية لأن الأصل منه أن يقال الصدقة إذهاب للخطيئة، كما أطفأ الماء النار ثم استعير الإطفاء بالذهاب ثم سرى معنى الإطفاء إلى تطفئ، وقوله حصائد ألسنتكم" محتمل أن يكون استعارة مصرحة حقيقية لكون ما يسمع به الإنسان هو المشبه المتروك وهو محقق، وان

---

[1] - جامع الأصول للسيوطي. رواه الترمذي( نقلا عن الصورة البيانية في الحديث النبوي لفالح أحمد حمد الحمداني ص193).

[2] - المرجع نفسه، ص 194.

تكون تخيلية، وذلك بأن يشبه اللسان بالمنجل ثم يبالغ فيه فيتوهم اللسان ما يلازم المنجل، ويحتمل أن تكون عبارة تطفئ الخطيئة، من الإستعارة التمثيلية بأن شبه صلى الله عليه وسلم حالة الصدقة وكونها تذهب الخطيئة ونحوها بحالة الماء كونه يطفئ النار الشاعلة ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هناك [1]

وأهم ما ألاحظه في هذا الحديث النبوي الشريف خاصية الربط بين المحسوسات والمعقولات فنجد استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي في قوله : "حصائد ألسنتكم" واستعارة محسوس لمعقول في قوله: " أبواب الخير" ففي المثال الأول: المستعار منه: هو الهشيم أو ما يقطع من الحشيش أو السنابل وغيرها والمستعار: هو ما يستمع من الكلام المندرج تحت الغيبة والنميمة والمراء والجدال واللغو الذي لا خير فيه سوى أنه يلقي بصاحبه في النار والعياذ بالله ووجه الشبه أو الجامع هو: الشيء المبتور لعدم النفع

وفي المثال الثاني فإن المستعار منه هو الدار والمستعار له هو الخير والجامع: كون الشيء مرغوبا فيه.

وبتعمقنا في نص هذا الحديث النبوي الشريف ندرك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل ووظف الاستعارة لإيصال الفكرة إلى معاذ بن جبل- رضي الله عنه- ومنه إلى كل الأمة الإسلامية بل وإلى الإنسانية جمعاء، فإلى جانب ما أوضحته من استعارات سابقة فإن هناك استعارات أخرى متمثلة في: برأس الأمر، وعموده وذروة سنامه" وهنا كذلك نلمس ذلك الربط بين المعنوي والمحسوس، فكلمة رأس أو عمود أو ذروة هي مسميات لأشياء محسوسة ولكن حين نربطها في العبارة بكلمة الأمرننتقل من الحقيقة إلى المجاز وتزداد الفكرة في العبارة وضوحا وبلاغة حين يفك الرسول صلى الله عليه وسلم اللغز ويجيب عن السؤال فيقول: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد"

[1] - المرجع نفسه، ص 194.

فمن هذا الحديث يمكن أن أقف عند نتيجة أتمثلها في قدرة النبي صلى الله عليه وسلم في إيصال المفهوم بالربط بين المحسوس والمعنوي وخاصة بتوظيف الحوار البناء والمجدي والموصل إلى معرفة الحقائق، فهذا بيان نبوي يجمع بين الفنية والدقة والوضوح والبلاغة في استعمال الإستعارة الرفيعة المعنى والبليغة اللفظ. ومن أحاديثه المتضمنة استعارات قوله صلى الله عليه وسلم " لا تستضيئوا بنار المشركين" فاستعار الرسول صلى الله عليه وسلم النار للرأي والمشورة أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم [1].

فرأي المشركين أمر معنوي يدرك بالعقل، وتمثيله بالنار هو إظهار له في صورة محسوسة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر منها، لأنها في الظاهر تنير ولكنها في الحقيقة تحرق، وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل ضوء المشركين لأنه يريد أن يعبر عن الضوء الزائد الاحراق وهو النار وبذلك يبدو فيها رأي المشركين نارا تحرق كل من يلامسها أو يأخذ بها، " السر في قوة تأثير هذه الصورة وجمالها راجع إلى مفعول الاستعارة، هذا المفعول الذي انتقل بالفكرة من عالم المعاني إلى عالم المدركات مبالغة" [2]

وإن هذا الحديث النبوي الشريف رغم أنه لم يتضمن لفظ الرأي أو المشورة إلا أن لفظه " تستضيئوا" توضح لنا المقصود من خلال كثرة الاستعمال من جهة وبلاغة المخاطبين من جهة أخرى بحيث أنه لو ألقيت هذه العبارة " لا تستضيئوا بنار المشركين" على من لا علاقة لهم بالعربية وترجمها مترجم لا يربط بين اللفظ والمعنى لفهم المتلقي العادي أن الرسول هنا يقصد المعنى الحقيقي للعبارة فقط وهو أن لا تستعين بالمشركين في الإستضاءة كالإنارة بشموع أو كهرباء أو طاقة أو غيرها، ولكن نلحظ هذه السعةاللغوية والبلاغة العفوية التي أوتيها الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يتحدث بلسان عربي مبين معينه في ذلك القرآن الكريم المترل بالحرف العربي غير ذي عوج لعلنا نعقل ونرجع إلى الجادة بتأملنا وتدبرنا لهذا الكتاب المعجز ولسنة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم خير مبلغ وأنفع بليغ كما أن هده الا ستعارة توحي بعدة امور من خلال استخدام النار

---

[1] ابن الأثير، المثل السائر، ج 2 ،ص78.

[2] عبد العزيز عتيق ، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت ،1405ه 1985،ص 198.

فالنار تؤدي الى الهلاك والفناء ومن يعتمد على المشركين، ويركن اليهم فسيكون مصيره الى الهلاك والبوار في الدنيا والاخرة ومن هنا جاء الوقع البياني في هذا الحديث.

ومن التمثيلات النبوية الموحية بالمعنى والمربية للنفوس من جهة والمرتبطة بالحس البياني والقريحة البلاغية قوله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[1]

والرسول- صلى الله عليه وسلم- يحذر من الحسد هذا المرض النفسي ذي العواقب الوخيمة لأنه يخرج صاحبه من الإيمان بقدر الله إلى المعاصي وإلى ارتكاب الآثام فليس أفسد طبعا ولا أدنى نفسا ولا أشقى حظا ممن تؤلمه النعمة يمنحها الله من يشاء لحكمته فيعترض على الله وينتقص حكمته بالنظر الحاقد على هذه النعمة وتمني زوالها وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يقرر هذا المعنى (بغض الحسد وعاقبة الحاسد) فأتى تمثيله" في تخييل حسن حكيم، حيث شبه الهيئة الحاصلة بين الحسد والحسنات وحبوط الحسنات الصالحة الجميلة بقبحه ودمامته وحدة شره بالهيئة الحاصلة بين النار والحطب يلقى إليها فتحيله رمادا" [2]

وقد قالوا: لله در الحسد ما أعد له، بدأ بصاحبه فقتله وبلية الحاسد أنه خاصم القضاء واتهم الباري في العدل وأساء الأدب مع الشرع وخالف صاحب المنهج[3]

هذا من جهة معنى الحديث أما عن بنيته البلاغية فهو قد تضمن تشبيها تمثيليا ربط فيه " بين المحسوس والمعقول حيث شبه إذهاب الحاسد للحسنات بأكل النار للحطب بجامع الإفناء في كل منهما، واشتق من الكل بمعنى الإفناء يأكل بمعنى يفنى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وفيه أيضا استعارة مكنية في تأكل النار، لأن النار لا تأكل وإنما شبهت بحيوان يأكل، فحذف ورمز إليها بشيء من لوازمه وهو الأكل" [4]

---

[1] سنن أبي داود ج4 ص 380و في المجازات النبوية للشريف الرضي ص126 .

[2] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 164.

[3] عائض بن عبد الله القرني،ثلاثون سببا للسعادة، دار ابن حزم، ص 45.

[4] فالح حمد أحمد الحمداني، ص 197.

وقد قال الشريف الرضي بأن في هذا الحديث "إستعارة والمراد أن الحسد يخرج بصاحبه إلى الإقدام على المعاصي إد يصير الحسد الذي هو السبب في استحقاق العقاب وإحباط الثواب كأنه يأكل تلك الحسنات لأنه يذهبها ويفنيها و إنما شبهه عليه الصلاة و السلا م في أكله الحسنات بالنار التي تأكل الحطب لأن الحسد يجري في قلب الإنسان مجرى النار لاهتياجه و اتقاده وإرماضه وإحراقه[1] .

فهذا التمثيل الذي تضمنه هذا الحديث النبوي الشريف قدم إلينا تقريرا وتأكيدا لضرر الحسد على الحسنات التي يحصلها المؤمن فهو كالنار الملتهبة لأحمال الحطب المقدمة إليها في يسر بعد استجلابه في عسر، فبعد أن يتعب الإنسان المسلم في أن يدخر بعض الحسنات لتفيده يوم لاينفع مال ولا بنون يأتي بخلق الحسد فيجعلها رمادا لأنه يحرقها باعتراضه على نعمة الله وقد استعاذ القرآن الكريم من شر الحاسد ونهانا الله عن أن نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وهذا التمثيل التشبيهي البليغ والتربوي وظف فيه –صلى الله عليه وسلم –الاستعارة في قوله: " يأكل الحسنات" فالحسد شيء معنوي فكيف له أن يأكل و إنما الأكل للإنسان أو الحيوان والذي يتجدد منه بالضرورة لحفظ وجوده لهذا كان استعمال الفعل المضارع " يأكل" ومن هنا جاء الربط بين المعقول والمحسوس فهذا الخطر الداهم المخيف نتوقاه كل التوقي بحفظ مواد الاشتعال كل الحفظ خوف الكارثة فهذا الخطر النفسي ذي التبعات في الدنيا والآخرة يعني أطنانا من الحسنات ويتركها هباء وقد حاول صلى الله عليه وسلم أن يقرب هذه الحقيقة إلى الأفهام، فأ خرجها من عالمها المعنوي الذي يدرك بالعقل إلى عا لم الحس مما يألفه الإنسان ويعيشه وذلك لإقناعه بهذه الحقيقة لتجنبها[2].

فنجد هذا التداخل والتجانس بين التمثيل والاستعارة في هذا الحديث والتداخل يكمن في التعبير عن المعنى المرغوب للترهيب من الفكرة المطروحة غير أنه نلمس جانبا هاما في هذا الحديث وهو المزاوجة بين هذين الفنين الاستعارة والتمثيل لإيصال المعنى المنشود غير أن الملفت أن

---

[1] الشريف الرضي المجازات النبوية ص126 -127

[2] فالح حمد أحمد الحمداني الصورة البيانية في الحديث النبوي ص 194.

الاستعارة كانت جزءا إلا أن التمثيل جمع الكل ليعطي المعنى متكاملا يصل العقل والوجدان بالواقع المعيش فيربي النفوس ويرتقي بها مع فن الإحساس بعظمة الله وعدله مما يستوجب عدم حسد عباده على ما آتاهم فهو المعطي الكريم القابض الحكيم.

وقال صلى الله عليه وسلم: " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"[1]

فوصف الدين بالمتانة هاهنا مجاز والمراد أنه صعب الظهر شديد الأسر وهذا من أحسن التمثيلات وأوقع التشبيهات[2] أوصانا عليه الصلاة والسلام بأن نترفق بأنفسنا في عبادة الله فإنها كالمحيط الممتد كلما أوغل السابح فيه لا يرى للبر ظلا، فتأخذ قلوبنا بالوساوس وتمتلكنا الهواجس وتضطرب النهاية ونحسب أننا من الغارقين " ولذلك فقد جسم النبي عليه السلام الدين بإسناد المتانة إليه والمتانة هي الصلابة، ومن معاني " المتن" ما صلب من الأرض وارتفع والمتن الضرب في الأرض وكأنه–صلى الله عليه وسلم– يشبه الدين في شدته وكثرة مصاعبة واتساع مداه بالطريق الطويل الصعب على السالك الذي مهما جهده يقطعه فينبغي ألا ينقطع فيه إعياء وكدا ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يوغل فيه المؤمن رفيقا، يحدد قواه من مرحلة إلى أخرى" [3] ولكي يجعل الرسول هذا المعنى مؤكدا وميسورا ومقنعا بتوظيف التمثيل بحال الإنسان في السفر الطويل، ينقطع به عن الركب، وينفرد عن الصحب، إيثارا للسبق في الوصول، فيجهد مطيته إجهادا يقتلها أو يكاد، فإذا به منفرد غريب، لم يستبق ظهرا يمنحه رفقه، فأصبحت عبارة " المشبه به" الواقعة في الحديث تعليلا– مثلا رائعا يضرب في كل حال تشبه مورده في أمور الدين والدنيا، فينصح المستعجل والشاق على نفسه والمحتمل غيره مثل ذلك بهذا الجزء من الحديث إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى "حيث لا منبت في الطريق سقط من الإعياء، ولا مطية أمام العين قد عطبت

---

[1] مسند أحمد في كتاب:باقي مسند المكثرين، برقم:12579، وفي المجازات النبوية للشريف الرضي ص149.

[2] المصدر نفسه ص 150.

[3] عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 191.

وإنما هو التقرير بذلك التصوير الذي كان أسلوبه الاستعارة التمثيلية [1] وهذا النوع من التصوير البياني تشبه فيه حالة بحالة بجامع العلاقة بين الحالتين أو هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة .

نحو قول الشاعر:

ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد[2]

وقد استعمل الشاعر هذا المعنى الوارد في البيت حيث عبر عن الوارث الذي يبذر ما ورثه عن والديه فشبه حال هذا الوارث بحال من يستولي على بلاد بلا تعب بجامع التفريط فيما لا يتعب في تحصيله[3]

لذلك فإن كان التعبير البياني في الاستعارة بجملة كاملة فهي استعارة تمثيلية لأن هذه الجملة تمثل لوحة كاملة تضم مشهدا حيا تتدفق الحياة والحركة في جنباته موحية إلى ما قصد البليغ على الإيحاء به... ويكثر هذا النوع من الاستعارات في الأمثال السائرة كقولهم:" إنك لا تجني من الشوك العنب" ويقال هذا المثل لمن ينتظر خيرا من عمل الشر فهذا المنتظر للخير من عمل الشر هو جانب المشبه، والذي يريد أن يجني العنب من الشوك وهو جانب المشبه به."[4]

والإستعارة التمثيلية حافلة بالمعاني الفنية والتركيب اللفظي البديع والحكمة الإنسانية الموغلة في القيم الأخلاقية والمرتبطة بحس المبدع المحنك العارف لخبايا الحياة ومكنونات الصدور.

---

[1] المرجع نفسه ص 191.

[2] البيت من الوافر وغير منسوب في المعجم المفصل لشواهد اللغة العربية لإميل يعقوب، ص 35.

[3] محمد التونجي، المعجم المفصل في علوم اللغة، مراجعة إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص 35.

[4] محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنونها، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق، 1980، ص 118.

فما أجده متداخلا بين التمثيل والاستعارة وجامعا بينهما جمعا يذوب فيه أحدهما في فنيات وخاصيات الآخر هو قالب " المثل" فالمثل كما عرفه المبرد : " مأخوذ من المثال وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول والأصل منه التشبيه"[1]

وقال فيه النظام: يجمع في المثل أربع لا تجمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة [2] وقال ابن المقفع: " إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث"[3]

والمثل في الحديث النبوي الشريف يشغل حيزا كبيرا من كلامه- صلى الله عليه وسلم - وألفت حوله المصنفات الكثيرة ومدح حافظه ومدرك كنهه وقيست درجة تفقهه في الدين.

وإن الموظف للتمثيل في كلامه يقنع العقل بواسطة الدليل ويلقي إلى الوجدان بظلال الروح المتألقة مع صور التمثيل المحركة للقلب نحو الميل أو النفور ومن ثم يهيئه للقبول لذلك فإن الكلام البليغ هو ما استفاد منه العقل والوجدان معا فكما يتقبله العقل يتفاعل معه الوجدان أيضا والمتكفل بهذين الوجهين والمتفرد بهذا الدور هو التمثيل إذ و يتضمن قياسا وينعكس به في مرآة الممثل المندمج في الممثل به، فكأنه دعوى مدلل، كما تقول في رئيس يكابد البلايا لراحة رعيته: " الجبل العالي يتحمل المشاق(الثلج والبرد)وتخضر من تحت الأودية" [4]

" ثم إن أساس التمثيل هو التشبيه، ومن شأن التشبيه تحريك حس النفرة أو الرغبة أو الميلان أو الكراهية أو الحيرة أو الهيبة فقد يكون للتعظيم أو التحقير أو الترغيب أو التنفير أو التشويه أو التزيين أو التلطيف إلى آخره.. فبصورة الأسلوب يوقظ الوجدان وينبه الحس بميل أو نفرة"[5]

---

[1]- عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 185.

[2]- المرجع نفسه، ص 186.

[3] - نهاية الأرب ،ج2ص03 ،نقلا عن :عز الدين علي السيد ،الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 186.

[4] - بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة 2004، شركة شوزلر للنشر، مصر ، ص 117.

[5]- المرجع نفسه ، ص 117.

وكما أن أساس التمثيل التشبيه فإن أساس الإستعارة هو التشبيه، وكلاهما يرتبط بالتمثيل فالدعامة الأساسية التي ينبني عليها البيان العربي هي التشبيه وما له من قوة تأثير تجعل المعاني أكثر وضوحا والصور أبلغ إيحاء، لذلك فإن المثل قد جمع كذلك بين هذه الخواص من قدرة على المشابهة ودقة في اللفظ وإيحاء في المعنى، ويؤخذ المثل على أنه من نعوت البلاغة وفرائد الفصاحة في اللسان العربي " ثم إن فائدة أسلوب التمثيل ... أن المتكلم بواسطة الإستعارة التمثيلية يظهر الجذور العميقة ويوصل المعاني المتفرقة، وإذا وضع بيد السامع طرفا أمكن له أن يجر الباقي إلى نفسه، ونستقل إليه بواسطة الإتصال..." [1]،كما أورد الرماني تفريقا بين التشبيه والإستعارة فقال:"والفرق بين الإستعارة والتشبيه أن ماكان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله لم يغير عنه في الإستعمال،وليس كذلك الإستعارة لأن مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة" [2] والتمثيل والإستعارة كلاهما يرتبط بالتشبيه مع فارق في نوع التوظيف.

ولأعبر عن مدى البلاغة والفصاحة التي ميزت البيان النبوي أضيف نماذج من الإستعارات التمثيلية والتي وردت على شكل أمثال نبوية تزخر بهذا التلألؤ المعرفي والإيغال الوجداني والرقي الروحي والحس التربوي الرسالي، مما يستدل به على العمق الأسلوبي للبلاغة النبوية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:

-" المؤمن مرآة أخيه".

-"اليمين الفاجرة تدع الدار بلا قع".

-"خير المال عين ساهرة لعين نائمة".

-"الحياء نظام الإيمان".

-"الناس معادن".

-"الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة".

---

[1] المرجع نفسه، ص 120.

[2] الرماني ،النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،تحقيق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،دار المعارف ،مصر،1968،ص86.

-"يا خيل الله اركبي".

-"اشتدي أزمة تنفرجي".

-"رفقا بالقوارير".

-"حبك الشيء يعمي ويصم".

-"الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية".

-"أعمالكم أعمالكم، وكما تكونوا يولى عليكم".

-"إياكم وخضراء الدمن".

-"الدال على الخير كفاعله".

-"مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا ولا تطعم إلا طيبا".

-"الأعمال بخواتمها".

-"الحرب خدعة".

-"وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم".

وهذه بعض الأمثال النبوية والتي هي من جوامع الكلم التي أوتيها عليه الصلاة والسلام وهي "من كمال تلك النفس العظيمة وغلبة فكره صلى الله عليه وسلم على لسانه قل كلامه وخرج قصدا في ألفاظه، محيطا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة،والكلمات المعدودة بكل معانيها،... لهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب وكثرت جوامع حكمه... وذلك في اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، مع إبانة المعنى واستغراق أجزائه.." [1]

والإستعارة التمثيلية تصلح أن تكون مثلا كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني " مثل قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه، أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"[2]

---

[1] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 300.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 55.

والتعريف الذي خص به عبد القاهر هذا نوع من الإستعارة، نجده عند المتأخرين من البلاغيين وعند المحدثين، قال القزويني: " وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تمييز إحدى الصورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به، مبالغة في التشبيه..." [1]

ويشير بعض البلاغيين إلى أن الإستعارة التمثيلية " قد تقع صورتها في تركيب استعمل، في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، ويكون وجه الشبه في هذه الصورة هيئة منتزعة من عدة أمور، وتسمى تلك الصورة وما على شاكلتها استعارة تمثيلية، فقولك لمن يحاول أمرا لا قبل له به" أنك تبتغي الصيد في عرين الأسد" فالتشبيه فيه لم يقع بين مفردين لأنك شبهت هيئة من يحاول أمرا لا قبل له به بهيئة من يبتغي الصيد في بيت الأسد، ثم حذفت المشبه وأبقيت المشبه به على صورة الاستعارة التمثيلية"[2]

فالاستعارة التمثيلية ما كان المستعار فيها تركيبا، أو هي تركيب في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة ما تعد من إرادة المعنى الأصلي، وتكاد الأمثال كلها أن تكون استعارات تمثيلية، لذلك لابد لمن يدرسها في الحديث النبوي الشريف أن يرجع إلى كتب الأمثال التي حوت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من أمثال ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذهب في الناس مثلا نقلوه من القصة والأصل الذي قيل فيه وأورده مع كل جديد يشبهه فضربوه مثلا له يقرره ويضفي عليه الحس والإقناع ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " الآن حمي الوطيس"[3] عند اشتداد المعركة بين المقاتلين يوم حنين " وحفر وطيسا": حفرة يختبز فيها ويشتوي ومن المجاز : حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب وتواطست الأمواج: تلاطمت[4]

وقال الرضي: هو يعني حميت الحرب وعظم الخطب مجاز لأن الوطيس في كلامهم حفرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء ولا وطيس هناك على الحقيقة، وإنما المراد ما ذكرنا من حر القراع

---

[1] القزويني، الإيضاح ، ج2، ص 304.

[2] محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني، ص 240.

[3] الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص28.

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، ص 827.

وشدة المصارع والتفاف الأبطال واختلاط الرجال، وتشبيه الحرب بالنار يكون من وجهين: أحدهما: الحر مواقع السيوف وكرب ملابس الدروع وحمي المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات، والوجه الآخر أن يكون إنما شبهت بالنار لأنها تأكل رجالها وتفني أبطالها، كما تأكل النار شعلها وتحرق حطبهاوقال الله سبحانه مخرجا للكلام على مطارح لسانهم ومعارف أوضاعهم: **« كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ »** [1]،ومن هنا قالت العرب أوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان[2] فهذا التمثيل النبوي الذي عبر به صلى الله عليه وسلم عن ما رآه في معركة حنين من احتدام القتال واشتداد الأزمة والعراك أصبح مضرب مثل رائع لكل حالة مشابهة يشتد فيها الصراع بين المتخاصمين في حرب أو جدال أو رهان أو غيرها من صور الصراع المادي أو المعنوي، فحذف في هذه الصورة المشبه وصرح فيه بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية فما استنتجه أنه قد بدا هذا الترابط والتداخل بين التمثيل والإستعارة إلى الحد الذي يجعلنا قد نبدأ من أحدهما لنصل إلى الآخر فهما يمثلان المنطلق والمنتهى في آن واحد كونهما يتجاذبان بين مادية وحسية التشبيه وعقلية الإستعارة " وتظل صحة التشبيه وصوابه مرتبطة بتناسبه المنطقي ومدى دقة المطابقة العقلية والمادية بين أطرافه"[3]

وكذلك الأمر في التمثيل إذ أننا " يمكن أن نضع درجات للإثبات في أسفلها التشبيه، وفي أعلاها الإستعارة تبعا لشدة الإثبات وقدرة الشاعر على تحقيقه، ويظل التشبيه شأنه شأن الاستعارة عملية قياس منطقي تستهدف إثبات المعنى"[4] .

من هنا كانت الاستعارة إدعاء، ولكنها تتجاوز المماثلة والمشابهة التي يصنعها التمثيل بعد أن يحل طرف الإستعارة محل أخيه ويدعي أن هذا قد أصبح ذلك،ومن ثم يقوم مقامه و"لا يخفى على ذي بصيرة أن نموذج العلاقة المجازية هو العلاقة الإستعارية وبيان ذلك أن التعالق بين

---

[1] سورة المائدة الاية64

[2] الشريف الرضي المجازات النبوية ص28-29

[3] -جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 220.

[4] -المرجع نفسه، ص 275.

[2]-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب الطبعة الثانية 2006م ص232.

المعنى الواقعي والمعنى القيمي لا يبرز في علاقة بروزه في علاقة المشابهة...لأنهاعلاقة جامعة لوجوه يجتمع بها الطرفان المتشابهان ولوجوه يفترقان بها... كما لا يخفى على ذي بصيرة أن نموذج الحجاج هو قياس التمثيل...فيكون مايتميزبه نموذج الحجاج هو عينه ما يتميز به نموذج المجاز، أي أن قياس التمثيل والإستعارة متلازمان" [1]

ولذلك فإن هذين اللونين البيانيين (التمثيل والاستعارة) يتضافران لتصوير المعنى وتجسيمه وتقديمه لإقناع المتلقي وإمتاعه بالإبداع المتجلي في قالبهما من خير الخلق والأنام محمد عليه الصلاة والسلام فإنه ولا شك ستجعل الكلام أكثر نفعا وأكبر فائدة وأعظم أثرا في النفوس المتشبعة بنور الإيمان والمتطلعة لجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم الجاحظ:" لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم"[2]

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 17.

**التمثيل وعلاقته بالكناية:**

الكناية في اللغة: مصدر كنى يكني، فيكون يائي اللام، أو كنى يكنو فيكون واوي اللام[1] والمعنى العام لهذا المصطلح البلاغي: " هو أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[2]

وقد عرف القدماء من الشعراء الكناية صورة في خيالهم، لتوضيح الفكرة وتزيين الأسلوب و لم يعرفوها لونا بلاغيا محددا واضح المعاني بين السمات.

ويعرف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقولة: "والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، ومثال ذلك قولهم: "طويل النجاد" يريدون طويل القامة وهي "نؤوم الضحى" والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود وأن يكون إذا كان[3] .

ألاحظ في قول الجرجاني أن الكناية كلون بياني يجب أن تتضمن عنصرين هما المكنى به و المكنى عنه أي أن هناك معنى خفيا وأخر جليا، وهذا ما توسم به الكناية من أنها للتلميح لا للتصريح وفي ذلك يقول ابن لأثير: "اعلم بأن الكناية مشتقة من الستر، يقال: كنيت الشيء إذا سترته، ... فحد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي

---

[1] ابن منظور، لسان العرب: كنى ج20/ ص 98 والقاموس المحيط ج4/ ص 386.

[2] الرازي، مختار الصحاح ، مادة كنى ، ص 591.

[3]- الجرجاني، دلائل الأعجاز ص52.

الحقيقةوالمجاز، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال كنيت بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أوردته في غيره " [1].

وأسلوب الكناية من الأساليب البيانية التي يتسابق فيها البلغاء، وتتفاوت فيها منازلهم لأنه يحتاج إلى اللمحة الذكية والغوص إلى المعنى، والمجيء باللفظ الذي يمكن أن يدل عليه دون تكلف أو تصنع، وابن الأثير يشترط الوصف الجامع بين الحقيقة و المجاز في الكناية،وهو يقصد بهذا ما يجعل المتلقي يستشف الدلالة الرامزة من خلال الآداء اللغوي في التعبير الكنائي وذلك لكي لا يحمل التعبير على غير ما يحتمل من المعاني غير ذات الصلة بالمعنى المقصود في التعبير الكنائي [2].

وقد قسم البلاغيون الكناية إلى ثلاثة أقسام من خلال النظر إلى المكني عنه الذي إما أن يكون صفة أو موصوفا أو أن نسبة إلى شيء ما له علاقة بالموصوف من أمثلة ذلك قول الشاعر:

ومايك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل [3]

والشطر الثاني من البيت كناية عن صفة الكرم، فإن صفة السخاء والعطاء لصيقة بالممدوح حتى أن كلبة قد اعتاد رؤية الزائرين فلا ينبح، كما أن الفصيل (ابن الناقة) صار هزيلا، ونحيفا ضعيفا لأنه لا يشبع من لبن أمه لأنه يقدم للضيوف وهذا كناية عن الكرم كذلك وفي قول الشاعر: الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان [4]

فإن "مجامع الأضغان" كناية عن القلب، لأنه حيث يكون الحب والكره والضغينة فهي كناية عن موصوف، و**الكناية عن نسبة**، تكون بإثبات الشيء أو نفيه ففي قولنا المؤمنون أعزاء هي إثبات العزة للمؤمنين وفي قولنا المؤمن ليس جبانا النسبة تنفي الجبن عن المؤمن.

---

(4)- ابن الاثير المثل السائر ج3 ص52-53.

(1)-رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ص18.

(2)- البيت لابن هرمة، عن الصناعيتين ص 242.

(3)- البيت للشاعر عمروين معد يكرب ديوانه ص 174، والبيت من قصيدة قالها بعد فتح نهاوند على يد النعمان بن مقرون / عن البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس ص293.

وقال أبو نواس:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير[1]

ففي الشطر الثاني من البيت كناية عن نسبة لأنه يريد أن يثبت الجود للمدوح لكنه كنى عن ذلك فجعل الجود ملازما له يسير حيث يسير.

وقد أوردت كتب البلاغة أمثلة، كمثل ما حدث لعدي بن حاتم الذي لم يتبين مدلول الآية الكريمة: «....**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**»[2] إذ عمد إلى عقالين، أحدهما أسود، والآخر أبيض قال جعلتها تحت وسادتي، قال فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما صنعت، فقال إن كان وسادك لعريضا، فالوساد العريض كناية عن صفة الغباء وقلة الفهم[3] لم يتأول عدى بن حاتم الآية على أنها مجاز، الشيء الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يرميه بالبلادة الغباء وكأنه بوصفه أنه عريض الوسادة يستلزم عرض القفا والذي يستوجب بدوره صفة البلادة والعكس بالنسبة لصغر الرأس إذ يقول طرفه بن العبد :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد[4]

و اعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا، فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى" أما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب"[5]

---

[4]- السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص279.

[1]- سورة البقرة الآية 187.

[2]- بشير كحيل، الكناية في البلاغة العربية ص 09.

[4]-الزوزني ،شرح المعلقات السبع ص205، وعن المرجع نفسه ص10.

[5]- البلاغة فنونها و افنانها فضل حسن عباس ص299.

وإذا ما ربطنا بين الكناية والتمثيل نجد نقطة الإلتقاء في كون الكناية تأتي كذلك مركبة كما أن التمثيل تشبيه مركب، إلا أن الأسلوب الكنائي يكون أوجز لفظا وأميل إلى المعاني الخفية المكسوفة من المعاني المكشوفة الصريحة .

ومن كنايات الرسول صلى الله عليه وسلم : " رويدك سوقك بالقوارير" [1] وهذه كناية لطيفة، أطلقت في مقام معين ثم أصبح هذا القول من جوامع الكلم التي تطلق في مقامات أخرى على وجه المشابهة والكناية عن الفعل المنسوب إلى مضمونها.ويذكر صاحب "المجازات النبوية"أن الرسول صلى الله عليه وسلم شبه النساء في ضعف النحائر ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف ويصدعها اللطيف فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة، وينقض معاقد العفة [2].

ومن لطيف الكنايات أن امرأة جاءت عائشة – رضي الله عنها- فقالت لها : " أقيد جملي؟" فقالت عائشة – رضي الله عنها- لا: أرادت المرأة أن تضع لزوجها شيئا يمنعه عن غيرها، أي تربطه أن يأتي غيرها، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجمل، وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها[3].

فأثر بلاغة الكناية على الصورة يبدو واضحا من خلال الصلة بالقيمة التعبيرية غير المباشرة لها وفيما تهدف إليه من معنى يرتكز على الإيحاء أو الرمز أو الإشارة وما في ذلك من تجسيم المعنى وإظهاره في صورة محسوسة تنبض بالجمال والتعبير الفني المؤثر.

---

[1] أخرجه البخاري برقم6210 كتاب الادب باب المعاريض مندوحة عن الكدب ص730.

[2] الشريف الرضي المجازات النبوية ص20.

[3] ابن الأثير المثل السائر.ج3 ص65.

يقول عبد القاهر الجرجاني: " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح" [1].

ولذلك فقد أدى الحديث النبوي دوره في التعبير عن المعنى بتوظيف الكناية ذات الألفاظ الموجزة و المعاني الدالة، إلى جانب كونها لونا بيانيا يعمد فيه المتحدث إلى التلميح دون التصريح بعقد علاقة حسية أو معنوية بين حالة و أخرى و كذا التمثيل الذي يجمع فيه المتكلم بين حالتين لإيصال المعنى المرغوب، وفي الحديث ربط الرسول صلى الله عليه و سلم بين النساء و القوارير لأوجه الشبه بينهما من حيث الجمال المظهري الشفاف و الضعف الكامن في القارورة خاصة إذا كانت من زجاج أو فخار فهي سريعة الإنكسار كما أن المرأة لعاطفتها سريعة التأثر الوجداني بالأحاسيس الرهيفة من جهة، أو بالمشاعر المشينة من جهة أخرى، لذلك فإنه في رواية أخرى للحديث يقول صلى الله عليه وسلم : " رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير " قال قتادة:يعني ضعفة النساء[2].

ويفضل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقتل في سبيل الله على ترك الدين الإسلامي والتخلي عنه، لذلك فقد قال عليه الصلاة والسلام : " والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه"[3] .

وفي هذا الحديث كناية عن السلطة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كنى عن السلطة بالقدرة على التحكم بالشمس والقمر وتغيير وضعيتهما ولأنها صفة من صفات الله تعالى، لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يتحكم بهما، ولأنهما من خلقه، ويبدو من ذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التعبير عن المعاني بالصور الحسية مبالغة في التأثير وزيادة في الإقناع فكأنه صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة استحالة هذا الأمر عليهم، وعلى الرغم من معرفته بهذه الاستحالة، فإنه يأتي ترك هذا الأمر ويرفض الجاه والسلطان الذي عرضه عليه سادة قريش على لسان عمه "

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 48.

[2] صحيح البخاري ،الحديث برقم 6211 ص 730

[3] الرامهرمزي، الأمثال في الحديث النبوي، ص 220.

أبو طالب"، وهنا ترتفع الرسالة المحمدية حد الشمس والقمر، وهنا كذلك ندرك العلاقة البيانية بين التمثيل والكناية، فقد مثل صلى الله عليه وسلم للشيء النفيس والعرض الرفيع المقدم إليه بالشمس ثم بالقمر والصورة التمثيلية والمتمثلة في شخص يحمل الشمس في يمينه والقمر في يساره صورة متخيلة بل ومستحيلة إلا من باب التصوير لذلك اعتبر الأمر والكلام الذي رد به صلى الله عليه وسلم من قبيل " الكناية" من حيث الرفض للعرض المقدم من جهة وكناية عن التمسك بالرسالة وتبلغيها إلى آخر يوم في حياته صلى الله عليه وسلم وهذا التقابل في الكناية باستعمال التشبيه والصورة التمثيلية الحسية للوصول إلى معنى مجرد رفيع رفعة خلقه صلى الله عليه وسلم فهو ذو خلق عظيم كما وصفه القرآن، مما يعطي لهذا التعبير الكنائي نفحة من نفحات الروح المترنمة مع أفق الخلود وقوة من إيمان تتجذر في أرض الرسالة المحمدية. ومن كناياته الموجزة والمعبرة عن المعنى الذي هو جزء من تعاليم الدين الحنيف قوله صلى الله عليه و سلم : " أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا" [1].

والحديث أنهن لما سمعن منه صلى الله عليه وسلم هذا القول، جعلن يتذارعن ينظرن أيهن أطول يدا الى أن توفيت "زينب بنت جحش" أول من توفي منهن، وكانت كثيرة المعروف فعلمن حينئد أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر، وكنايته صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع لأن الأغلب أن يكون ما يعطيه الإنسان غيره من الرفد بيده فسمي النيل باسم اليد [2] وقال النووي، قال أهل اللغة: يقال فلان طويل اليد، طويل الباع،أي أنه كان سمحا جوادا وضده قصير الباع واليد [3] ولقد دل الحديث على أن الصدقة مزية بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم صاحبتها بها، وهذه الميزة هي أن تكون أسرع زوجاته لحاقا به في الموت، أي أول من تموت فيهن بعد وفاته [4] وهذا الحديث من الأحاديث التي اهتم بها المتقدمون من حيث

---

[1] صحيح البخاري، برقم1420، ص163، وفي المجازات النبوية ص40

[2] الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص 40

[3] صحيح مسلم بشرح النووي، ج8، ص 16.

[4] محمد بن لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص 339.

بلاغته، فقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أنه تلميح يريد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم السخاء والجود وبسط اليد بالبذل[1]

ويقول ابن الأثير: فلما مات صلى الله عليه وسلم جعلن يطاولن أيديهن حتى ينظرن أيهن أطول يدا، ثم كانت " زينب بنت جحش" أسرعهن لحوقا به، وكانت كثيرة الصدقة، فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وإنما أراد الصدقة[2]

وتفضيل اليد المانحة، إنما هو تفضيل المانح على الممنوح وللمعطي على المستعطي وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " اليد العليا خير من اليد السفلى،واليد العليا هي المنفقة" [3] وقد ذهب "الشريف الرضي" إلى الإشارة إلى ما في قوله صلى الله عليه وسلم من كناية فقال : " وإنما كنى صلى الله عليه وسلم عن هاتين الحالتين باليدين لأنهما الأغلب أن يكون بهما الإعطاء والبذل وبهما القبض والأخذ"[4]

فالكناية في الحديث من حيث التعبير عن البذل والعطاء فاليد المانحة هي عالية حقيقة حين الإعطاء واليد الآخذة أو الممنوحة هي سفلى أو دنيا حقيقة من حيث الأخذ والتحصيل وكذلك الأولى علوية بالأجر علوية بالترفع عن السؤال وعليا بالتالي مجازا كذلك، والشيء نفسه بالنسبة لليد السفلى هي أسفل بانتظار المنح فقط وهي أسفل حقيقة وكذا مجازا لأن الكناية اصطلاحا هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي بمعنى أنها تنطوي على ازدواجية التعبير من حيث دلا لتها على الحقيقة والمجاز وإذا ما ربطنا هذا الحديث وما تضمنه من كناية اوتمثيل وجدنا أن كل الحديث تضمن كنايتان هما اليد العليا واليد السفلى غير أن جملة الحديث تؤخذ كتمثيل عن حالين في مواقف حياتية متعددة يتجسد فيها الكرم بأسمى معانيه أو السؤال وانتظار العطايا في أوسع وأشمل نماذجه التي نصادفها مرارا في الحياة فإن التشبيه التمثيلي ولا شك قد يدخل في معاني الكناية

---

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 308.

[2] ابن الأثير ، المثل السائر ، ج1، ص 67.

[3] صحيح مسلم، ج7 ، ص 127 ،في كتاب الزكاة برقم 1715، و في سنن أبو داود ، في كتاب الزكاة ،باب الإستعفاف ،برقم:1405،ج2، ص 165.

[4] الشريف الرضي، المجازات النبوية23.

من حيث البذل المادي أو المعنوي أو كذلك السؤال المادي أو المعنوي.فالكناية إذن هنا اقتصرت على جوانب جزئية، بينما كل الحديث صورة تشبيهية تمثيلية، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبرياء"[1].

يرشدنا هذا الحديث النبوي إلى ضرورة التزود بالإيمان فإن خير الزاد التقوى والإيمان وسيلة النجاة وقد كنى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفعه ولو على قلته في قلب المرء المسلم ولو كان قدر حبة من خردل" على ضآلتها وقلة مؤونتها إلا أنها قلة منجية إذا صفت وكانت صادقة، والشيء نفسه بالنسبة لمن يحرم الجنة فهو من يحمل في صدره ولو مثقال حبة من خردل من كبرياء وكبر، فالتكبر هو المقصود في المعنى إذ أن من الصفات الواجب الإتصاف بها كمؤمنين وحملة للعلم والقرآن التواضع، ومن تواضع لله رفعه، بينما الكبرياء والكبر يفسدان الطبع والإيمان وهذا من أسباب خروج إبليس من الجنة حين رأى نفسه أحسن من آدم عليه السلام وعصى أمر الله تعالى فوجبت عليه لعنة الله وحرمت الجنة عليه وعلى أتباعه إلى يوم الدين لأن المنطلق هو الكبر الذي يقذف صاحبه في نار جهنم، والمتصف بالكبر ينازع الله تعالى في صفة من صفاته فهو وحده الأكبر الكبير المتكبر، وما الإنسان إلا الضعيف وما قوته إلا بإيمانه وأن أكرمنا عند الله أتقانا، فهذا الحديث النبوي تضمن ترغيبا ثم ترهيبا ترغيبا في الإيمان فإن قلته منجية وكثرته تبوئ المنازل العليا والدرجات السامية في الدنيا والآخرة، وترهيبا من الكبرياء (الكبر) لأن صاحبه هالك في الدنيا والآخرة، والوسيلة البيانية التي وظفها صلى الله عليه وسلم هي الكناية عن القلة بحبة الخردل.

إن العلاقة التشبيهية ربطت بين المعنيين فحبة الخردل قليلة الفائدة حتى من الناحية الغذائية وقد ثبت علميا أنها قليلة العناصر المعدنية والفيتامينات، وهذا من الإعجاز الطبي في الحديث النبوي، غير أن ما يعنينا هنا هو الجانب البياني وإن كانت العلاقة واردة، فالتعبير عن القلة " بحبة من خردل" في الحالتين يعطي المتلقي شعورا بضرورة تقوية إيمانه ليكون أكثر وأقوى،

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإيمان ،برقم 131ج2، ص 89،و رواه ىالترمذي ،في كتاب البر والصلة برقم: 1921 و رواه أبو داود برقم:3568،كتاب اللباس،باب ما جاء في الكبر، ج4، ص 84.

ويعطيه من جهة أخرى مجاهدة لنفسه لردها عن الكبر والكبرياء كلما رأت أنها الأفضل والأحسن فغاية الجهل أن يعتقد الإنسان نفسه أنه الأعلم ولذلك وصل فرعون غاية جبروته واعتداده بنفسه إلى حد أن قال: " أنا ربكم الأعلى"، ندرك قوة الأداة التشبيهية والكنائية في الآن ذاته التي وظفها الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم ليربي النفوس بإعطائها أمثلة حية شاخصة نأخذها من حياتنا اليومية فتكون المعاني أكثر رسوخا ذلك أنه صلى الله عليه وسلم " اعتمد في أسلوبه التعليمي والتربوي توضيح المعاني العقلية المجردة بصور حسية ملموسة" [1].

وما في ذلك من إيحاء بالمعنى وترسيخ للفكرة ومن المؤكد أن العلماء قديما وحديثا يكادون يتفقون على قيمة الإيحاء في الخطاب الأدبي وعلى تأثيره الفعال وقد أجمع النقاد وعلماء البلاغة على أن الإيحاء أقوى أثرا في النفس من التصريح، وأن المعنى الذي ينتهي إلى المتلقي بعد مجاهدة النفس وكد الخاطر وإعمال الفكر والشعور وتقلبهما على وجوههما المختلفة تكون أمكن من النفس وأعظم أثرا فيها،

وأقوى ارتباطا بها..." [2].

ولشد ما يعجب المرء بدلالات الإيحاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من وقاه الله شر ما بين فكيه ورجليه دخل الجنة"

بحيث لم يصرح باللغو، وفعل الزنى، وكنى عن ذلك بما يدل على أن ترك الآفتين عاقبته الجنة بأسلوب يغلب عليه الإيحاء[3]، وقد يكون من المبالغة أن نجد بعض النقاد المعاصرين ينظرون إلى صور المجاز المرسل والكناية نظرة مخالفة لما وطنا أنفسنا عليه، بدعوى أنهما " أقل قدرة من التشبيه والإستعارة في تقديم الصور الحسية المتفاعلة، ثم يردون هذا إلى أن العلاقات في كل من

---

[1] فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص 283.

[2] بشير كحيل، الكناية في البلاغة العربية ، ص 278.

[3] المرجع نفسه ، ص 278.

المجاز المرسل والكناية عقلية، أو أن الكناية في درجة دنيا من الإيحاء فهي قريبة من الإشارة في النقد الأوروبي" [1].

إن الألوان البلاغية وبالأخص البيانية في اللغة العربية كل واحد منها له تأثيره وخاصياته، فالتشبيه وظيفته الوصف والتوضيح والاستعارة وظيفتها الإبداع والتخيل والكناية وظيفتها التصريح والإيحاء، وأحيانا تتداخل هذه الوظائف فيما بينهما، أو قد تجتمع في فن واحد من هذه الفنون إذا ما كان السياق يحتمل هذه المعاني كلها وقد يحتملها أكثر الأسلوب القرآني وكذا أسلوب الحديث النبوي الشريف الذي نجد فيه الوضوح والإبداع والإيحاء، فقد يحتاج الشاعر أو الناثر إلى التشبيه في موضع ويتناول الاستعارة في سياق محدد لفكرة ما، ويوظف الكناية في مقام يتطلبها وفي كل منها تكون الحاجة لإبراز المعنى مطلبا.

ومن كناياته المرتبطة بالتمثيل قوله صلى الله عليه وسلم " إياكم وخضراء الدمن" [2]

وقد كنى بقوله: خضراء الدمن" عن المرأة الحسناء في المنبت السوء، وهي صورة مبتكرة ابتدعتها قريحة الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون أوفى في النهي عن نكاح المرأة، خاصة إذا كانت معيبة في نفسها أو مطعونا في نسبها، لأن الأعراق تنتزع إلى ولدها وتضرب في نسلها [3]

ولأنه كما قيل أنه أراد فساد النسب، وإنما جعلها خضراء الدمن تشبيها بالشجرة الناضرة في دمنة البعير وأصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها، "ووجه المجاز من هذا القولأنه عليه الصلاة والسلام شبه المرأة بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها، وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها"[4]

الرسول عليه الصلاة والسلام إنما نهى في الحقيقة عن تعارض النفاق وتغاير الأخلاق وأن يتلقى الرجل أخاه بالظاهر الجميل وينطوي على الباطن الدميم وأن يخدعه بحلاوة اللسان ومن خلفها مرارة الجنان والى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله:

---

[1] المرجع نفسه، ص 279 .

[2] الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص41.

[3] فالح أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي، ص 298.

[2] المصدر نفسه، ص 42

[3]الشريف الرضي ، المجازات النبوية ص42

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا[3]

وفي هذا الحديث النبوي إشارة تتضمن تحذيرا من الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يتجنب الرجل المسلم حين اختياره المرأة للزواج ذات الحسن والجمال دونما إلتفات إلى الدين والنسب والأسرة المحافظة على التعاليم والتقاليد، أو حتى إلى درجة الطعن في النسب، فمن ثم أن يدع الإنسان ما يريبه إلى ما لا يريبه ويختار ذات الدين والانتماء الشريف، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرح كل هذا وإنما كان موجزا ملمحا وموحيا بتوظيف الكناية اللطيفة المعبرة عن المعنى ذات التمثيل التشبيهي الذي يمكن إيراده في مواقف عدة، فالصلة بين المرأة الحسناء والانتماء المطعون فيه مثل الشجرة الخضراء المورقة في وسط ركام من دمن الإبل وقاذورات الحيوانات، فلا شك أن النسل يخشى عليه من أن ينتمي إلى صفة موروثة غير سوية كما أن ثمار تلك الشجرة يخشى من مدى صحتها وسلامة من يتناولها لأنها ولا شك ستمص ما يلوث نقاء طبيعتها لأن السبب قد ظهر ومن ثم فإن التجنب هو الأولى والأحق.

لذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يوظف في تمثيلاته " الشجرة" حيث يصف المؤمن ولكن يختار في تشبيهاته أكثر أنواع الأشجار صلابة وامتدادا في العروق والجذور والأغصان وعظيم المنافع، فيقول صلى الله عليه وسلم :

" إن المؤمن مثل النخلة إن شاورته نفعك، وإن صاحبته نفعك، وإن شاركته نفعك وإن جالسته نفعك، وكل شيء من المؤمن منافع وكل شيء من النخلة منافع" [1] .

فهذا التمثيل النبوي يدعو المؤمن الحق إلى أن يحسن اختيار جليسه وزوجه وكل من يتعامل معهم من حيث ارتباطهم بالله وإيمانهم لأن الإيمان يدعو الإنسان المسلم إلى الاقتراب من النفع والابتعاد عن الضرر، وقد أوردت هذا الحديث ربطا له بالكناية التي جاءت قبله لإيضاح تقارب وتآلف المشابهات النبوية وتكاثفها لتبليغ المعاني على مر الأيام وتوالي العصور لأن الخلود سمة من سمات الرسالة المحمدية وبيانها نور من أنوار الله على خلقه.

---

[1] كتاب الأمثال في الحديث النبوي للشيخ الأصبهاني ، ص 405.

وأخلص إلى إبراز علاقة الكناية بالتمثيل كفنين بيانيين من جهة ومن حيث علاقتهما بالحديث النبوي من جهة أخرى ومدى بلاغة الكناية النبوية وتأديتها الدور البلاغي وكذا التمثيل النبوي وجديته المستمرة في تربية الإنسان عقلا ووجدانا، " ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسات، ولا شك أن هذه خاصية الفنون، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا..." [1]

وإن قيمة الكناية التصويرية تظهر أكثر ما تظهر في الإيحاء الذي تتركه في نفس المتلقي وأما قيمتها التعبيرية فتكمن في التوالد أو التناسل اللغوي الذي تنتجه الكناية فتضيف الجديد من التراكيب والتعبيرات إلى اللغة فتنمو وتتجدد وتزدهر.

أما التمثيل فإنه كذلك من أهم الأنواع البلاغية التي تؤدي وظيفة فنية في تصوير المعنى والوصول إلى مستوى الإدراك الجمالي للمحسوسات والتقرب من الهدف المنشود وهو ترسيخ المعنى المجرد العلوي، فإنه لا يصح الوقوف عند مجرد التشابه الحسي دون ربط هذا التشابه بالشعور والوجدان، وقد أقر البلاغيون والنقاد في مختلف تحليلاتهم للنصوص الأدبية " أن الأدب الذي يشمل على تشبيه التمثيل أدب خصب الخيال، والتمثيل من بين صنوف التشبيه الدافع إلى الإبداع والإبتكار"[2].

وأهم نقطة إلتقاء بين هذين اللونين هو الربط بين الحسية والمعنوية، وكذا إثراء الفكرة وتهذيب الذوق وتربية النفوس على التعمق في فهم مضمون الخطاب وعدم الوقوف فقط عند حدود الألفاظ وترتيبها، وهذه الخاصية ظهرت بجلاء في الكنايات النبوية وكذا التمثيلات المحمدية ذات الهدي والسمو البياني والروحي.

كما أن في الكناية وكما يدل اسمها يستتر المعنى داخل صدفة فلا نصل إليه إلا بعد شقها، وكل تستر هو ميزة فنية طالما أن كل تصريح أو وضوح هو ميزة علمية، وبهذا المعنى يقول

---

[1] الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 281.

[2] أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عبد القاهر الجرجاني ، ص 283.

مللرميه Mallarmé: " أن نسمي الشيء باسمه، يعني ذلك حذف ثلاثة أرباع نشوة القصيدة، هذه النشوة التي تقوم على غبطة الإكتشاف شيئا فشيئا، والإيحاء وهذا هو الحلم كله"[1]

أما علاقة الكناية بالإستعارة فابن الأثير يعد الكناية جزء من الإستعارةفيقول:"وأمـــا الكناية فهي جزء من الإستعارة...ونسبتها الى الإستعارة نسبة خاص الى عام،فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية،...وعلى ذلك تكون نسبة الكناية الى المجاز نسبة جـــزء الجزء وخاص الخاص"[2] .

ومن هنا نلمس هذه الوشائج بين فنون البيان العربي والتعبير الكنائي لا ينفصل في دلالته وفي قيمته عن دلالات السياق العام التي تتآزر داخل البناء الفني ليكون مع سواه لمحات خاطفة، تتوالى وتتوالد معها الأفكار[3]، و الكنايات النبوية تؤدي دورها البياني إ يجازا وتصويرا كما أ ن لها دورا تربويا تعليميا وهي من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام .

و بإيراد الخلاصة في علاقة هذه الألوان البيانية من تشبيه واستعارة وكناية بالتمثيل فإني أقول:

أ. التشبيه من أساليب الحقيقة وكذا التمثيل إلا أنه يعبر به عن المجردات، والاستعارة من أساليب المجاز، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز إرادة المعنى الحقيقي والكنائي (المجازي) فيها ففي قولنا: فلان نقي الثوب تكنى به طهارته واستقامته، وقد يكون مع ذلك نقي الملابس أيضا.

ب. التشبيه توظف فيه الأداة غالبا بما في ذلك التمثيل وإن كان التشبيه التمثيلي يصدر في الأغلب بـــ " مثل" والاستعارة لا أداة للتشبيه فيها، والكناية بعيدة عن أسلوب التشبيه إلا ما يلاحظ فيها من علاقات تعبيرية مثل: الإيحاء وقوة التشخيص والتجسيم.

ج. والتشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأداة لغرض مثل: محمد كالأسد، وأما الاستعارة فهي نقل اللفظ من معناه الأصلي الذي وضع له إلى معنى آخر، بينه وبين المعنى الأصلي

---

[1] صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكناية الفنية، نقلا عن " la métaphore dans l'œuvre de Mallarmé"

[2] ابن الأثير، المثل السائر ص55.

[3] رجاء عيد ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص187 -188.

مشابهة بقصد المبالغة مثل : رأيت أسدا (وأنت تقصد إنسانا شجاعا)، والكناية: هي تأدية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي.

أما التمثيل فهو تشبيه وجه الشبه فيه منتزع من متعدد.

ومهما يكن التداخل أو التباين بين هذه الأجناس البيانية فإن الفهم الصحيح والحس الجمالي والذوق الفني للسياق النصي يجعل الدارس مدركا لكل فن وعارفا بخصائصه البلاغية الدقيقة.

**علاقة التمثيل بالمثل:**

ورد لفظ المثل في معظم اللغات السامية: واشتق من جذر متقارب فيما بينها على النحو التالي: في العربية مثل وفي العبرية masal، وفي الآرامية matla، وفي السريانية metala، وفي الحبشية mesl، وفي الآشورية masala وتتضمن هذه الكلمة في جميع اللغات السامية معنى المماثلة والتشبيه، والموازنة و المقارنة غير أن اللغة العربية توسعت في مفهوم هذه الكلمة لغة واصطلاحا وأعطتها زخما دلاليا حافلا[1]

وإن المثل طبقة عالية من الكلام، له في النفوس مترلة سامقة لا تبارى في إظهار الحق و إزهاق الباطل، لذا نالت من العلماء اهتماما بالغا، فدارت حوله بحوثهم وكثرت فيها مؤلفاتهم، فحظيت أمثال العرب بالعناية والجمع والدراسة على يد أبي عبيدة، الميداني وأبي هلال العسكري و الزمخشري، وكذلك أمثال القرآن و الحديث صنفت فيها التصانيف الكثيرة كمثل ما وضعة الترمذي والاصبهاني الرامهرمزي وغيرهم كثير ومدلول كلمة مثل لغويا اتسع ليشمل معاني عدة وكذلك تنوع مفهومها في اصطلاح البلاغيين، فقد اختلفوا ما بين مضيق لمدلولها وموسع لدائرة المفهوم انطلاقا من ارتباطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،وقد ذكر اللغويون للفظ المثل عدة معاني منها:

1 - الشبه ويرى الراغب الأصفهاني (ت 502 هـــ) أن المثل بهذا المعنى يشمل المشابهة في عدة أمور هي: الجوهر والكيفية والكمية والقدر والمساحة[2]

2 - المثل والنظير والتسوية والمشاكلة والمماثلة، وذهب ابن منظور (ت 711هـــ) إلى أن مثل ومثل كلمتي تسوية بمعنى واحد وفرق ابن العربي (ت 638هـــ) بينهما ورأى إنهما متقاربتان في

---

(1) - سالم مرعي الهدروسي، المثل و ما يجري مجاه من الأشكال التعبيرية في كتب الأمثال القديمة عند العرب، الأردن في الموقع الالكتروني: uqu.edu. sa/page/ar/126595

(2) - الراغب الاصفهاني المفرادات ص 462، وابن منظور اللسان (مثل) /عن مقال سالم مرعي الهدروسي (الموقع الالكتروني نفسه) .

المعنى فالمثل عبارة عن شبه محسوس و المثل عبارة عن شبه المعاني المعقولة وأيده ابن أبي الأصبع (ت 654هـ) والزركشي (ت 794هـ) في ذلك [1]

وعرف الميداني المثل بأنه: "قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه"[2]

كما يستفاد من معنى المثل: الحكمة والعبرة وهذه غايات من ضرب المثل وقد قال صاحب البرهان فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا وأقرب مذهبا ولذلك قال الله عزوجل: «**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ** »[3] فالمثل مقرون بالحجة لذلك جعل القدماء أكثر آدابهم وما دونوه من علومهم بالأمثال[4].

والمثل في الإصطلاح يمكن تحديده من خلال الدراسات المتمحورة حوله، إلى اتجاهين اتجاه أدبي تفسيري، يعني بإبراز جوانب من خصائص المعنى المصطلح عليه باعتبار أنه جنس أدبي له عنصران أساسيان يحددان بنيته وهما: المورد والمضرب، إلى جانب السيرورة (مثل سائر)، أما الاتجاه الأخر، وهو الأهم في هذا المبحث فهو الاتجاه البلاغي والذي يعني بالجانب التصويري وكون المثل تشبيها أو تمثيلا له طرفيه المكونين للصورة التشبيهية وهما: المشبه والمشبه به، فأعلام البلاغة العربية ينظرون إلى المثل باعتباره حالة خاصة في حالات التمثيل والتشبيه وكذا الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقا، حيث قال القزويني: "ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا، ولذلك لا تغير الأمثال"[5]

وبهذا يتمازج مفهوم المثل بالتشبيه التمثيلي وكذا الاستعارة التمثيلية وتتضح السمات البلاغية له فيعده إبراهيم النظام (ت 231هـ) غاية البلاغة بقوله: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – الميداني ،مجمع الامثال ، تقديم وتعليق : نعيم حسين زرزور،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج 1 ص 07.

[3]– سورة الروم الآية 58

[4]– بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، منشورات جامعة طرابلس لبنان المجلد الثاني الطبعة الأولى 1397هـ 1977م ص 832.

[5]– القرويني الايضاح ص 307 وفي شروح التلخيص ج4 ص 147.

في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[1].

وقد ذكر ذلك ابن رشيق (ت 456هـ) في كتابه "العمدة" حيث أفرد بابا للمثل السائر و أتى بأمثلة عنه من كلام العرب منظومه ومنثوره، وكذا من القرآن والحديث، ومن الأحاديث التي استشهد بها في سياق المثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق مثل الأزره المجذية على الأرض حتى يكون إنجعافها مرة واحدة" وقوله حين ذكر الدينا وزينتها فقال: "وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم" وقوله: "إياكم وخضراء الدمن" قيل وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء [2] ويعطي ابن رشيق للامثال مكانة حيث يركز على مفعولها الوعظي التربوي فهي تأديبية لجمالياتها الفنية المقنعة فيقول "إنما سمي مثلا لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبدا، يتأسى به، ويعطي، ويأمر، ويزجر.... وقال بعضهم: في المثل ثلاث خلال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه"[3]

وظل المثل عند البلاغيين مرتبطا بالتشبيه وما يتصل به من استعارة أو تمثيل، وبذلك يكون المثل تعبيرا للإيضاح والمشابهة بالنقل من الخفي إلى الجلي، والربط بين المعنوي والمحسوس، كما وصف الزمخشري الأمثال بالفصاحة والبلاغة، والمنطق والكناية المفصحة، ونعتها بجوامع الكلم ونوادر الحكم فقد أتي كتابه" المستقصى" محتويا على واحد وستين وأربعمائة وثلاثة آلاف (3461) من الأمثال [4] فمهمة التمثيل تكمن في إبراز المعاني الخفية، أو المعقولة في صورة محسوسة وذلك عن طريق التشبيه، فيصبح المعنى واضحا بعد أن كان مستورا ومحسوسا بعد أن كان معنويا معقولا، وحقيقة بعد أن كان خيالا، ويمكن توصيخ ذلك من خلال بيان علاقة التمثيل بالمثل في بعض الأمثال:" قتل في ذروته وغاربه" أصله أن يكون البعير صعبا شرسا لا يعطي رأسه

---

[1]- الميداني،مجمع الامثال ،ج1 ،ص06.

[2]- ابن رشيق،العمدة ،ج1 ،ص 281 -282.

[3]- المصدر نفسه ص 280.

[4]- عبد التواب مرسي حسن الأكرت، ظواهر لغوية في الأمثال العربية( دارسة في المستقصى للزمخشري )،شركة ناس للطباعة مصر الطبعة الأولى، 1425هـ 2004م ص 28.

الرجل، فيحك الرجل سنامه يفتل الوبر فيهما بأصابعه، ويؤنسه بذلك ويخدعه حتى يستمكن منه فيخطمه، وهذا المثل يضرب في الخدع و المماكرة[1]

فالعلاقة هنا المشابهة، وفي المثل استعارة تمثيليه فهو يضرب فيمن يحسن الإحتيال حتى ينال ما كان يستعصى عليه، وقد شبه أمرا معقولا وهو استعمال الحيلة والخديعة بشيء محسوس وهو البعير صعب الانقياد الذي لا يعطي رأسه لصاحبه، فيعمد إلى حك سنامه وغاربه حتى يأنس ويهدأ .

ومثل ذلك قولهم: "قبل الرماء تملا الكنائن: يضرب في الإستعداد للأمر قبل حلوله، فقد شبه حالة من يستعد للأمر وهو معنى معقول، بحال الرجل الذي يستعد للحرب ويملأ جعبته من السهام استعدادا للحرب[2]

ومما يتمثل به من أقواله صلى الله عليه وسلم التي هي من جوامع الكلم القليلة الألفاظ، الكثيرة المعاني قوله: "إياكم وخضراء الدمن" كل الصيد في جوف الفرا" [3] * و " مات حتف أنفه" و "لاتنتطح فيه عنزان" و"إن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا ابقي" و "حمي الوطيس" [5] ومن تشبيهاته وتمثيلاته قوله عليه الصلاة والسلام "الناس كأسنان المشط إنما تتفاضلون بالتقوى"، و"الناس معادن كمعادن الذهب الفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"، "الناس كإبل مائه، لا تجد فيها راحلة"، و"المؤمن هين لين كالجمل الآنف، إن قيد انقاد، وان أنيخ على صخرة استناخ "أمتي كالمطر، لا يدري أوله خير أم آخره" و"لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا"، "سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل

---

[1]- المرجع نفسه ص 37 ، نقلاعن الستقصى للزمخشري ج2 ص 179-180.

[2]- المرجع نفسه ص 38.

[4]-الفرا: الحمار الوحشي.عن مختار الصحاح لابي بكر الرازي ص317

[5]- الثعالبي(أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي )التمثيل و المحاضرة ،تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو ،دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1381 هـ 1961م ص 22.

العسل"ومثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا" [1] ثم أردف بذكر استعاراته عليه الصلاة والسلام مثل "الحمى رائد الموت، وسجن الله في الأرض وقطعة من النار" "أكثروا ذكر هادم الذات، يعني الموت، "إياكم والأسواق فإن الشيطان قد باض فيها وفرخ"[2]

وقد مزج بعض البلاغيين بين المثل والتمثيل فمال عبد القاهر (ت 471هـ) إلى توحيد مفهوم كلمتي المثل و التمثيل لأنهما يدلان على معنى واحد فيقول: "إن كل مالا يصلح أن يسمى تمثيلا فلفظ المثل لا يستعمل فيه"[3] فيرى الجرجاني أن المثل والتمثيل كلاهما تشبيه مركب يعتمدان على الصورة التشبيهية المستندة على وجه الشبه المنتزع من متعدد وإنما في حال المثل فقط يصرح بالمشبه به ويحذف المشبه وإنما يطلق المثل أو يضرب في حال مشابهة للحالة الأولى حين أطلق المثل لأول مرة.

ويقول عبد القاهر في علاقة المثل بالتمثيل "إن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا، لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر [4] وكأن الجرجاني يجعل المثل يختلط بالتمثيل في صورة يصعب التفريق بينهما، وممن ذهبوا إلى هذا الرأي في تطابق مصطلحي التمثيل والمثل أبو البقاء الكفوي حيث يقول "ويسمى الكلام الدائر في الناس للتمثيل مثلا...." [5]

وتعددت الآراء البلاغية فهذا أبو هلال العسكري (ت 395هـ) بين أهمية المثل ومواطن الحاجة إليه ونوه بأهميته الفنية ومدى تأثيره في النفوس فيقول: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد، والمثل، الشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النفوس، وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه... وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد،

---

[1]- الثعالبي ،التمثيل و المحاضرة ص 23-24.

[2]- المصدر نفسه ص 25.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ص 87.

[4]- المصدر نفسه ص 96.

[5]- أبو البقاء الكفوي ، الكليات ج4 ص 269.

والتنوير في الروض، والتسهيم في البرد، فينبغي أن يستكثر من أنواعه...وما كان منه مثلا سائرا فمعرفته ألزم" [1]

ويتبين من هذا العرض لآراء البلاغين عنايتهم بالمثل والتمثيل كليهما سوى أن هناك من فرق بينهما كابن رشيق وقدامه بن جعفر ومن مزج بين المفهومين كأبي هلال العسكري و عبد القاهر الجرجاني ووجهة نظر عبد القاهر الجرجاني أراها أولى بالقبول لأنها أمس رحما بمفهوم المثل وألصق بطبيعته وأنسب مع الأمثال السائرة سواء من ناحية الدلالة اللغوية المرتبطة بالتشخيص والتجسيد ومنه قوله تعالى: «**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً**» [2]

ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار"

هذا من الجهة اللغوية، أما عن الدلالة الاصطلاحية البيانية فإن المثل "يؤتى في حال مشابهة للحال الأولى، وذلك قصد التمثيل، أو المشابهة التمثيلية أو على سبيل الاستعارة التصريحية أحيانا، مما يعطي للمثل القيمة البيانية في كلام الأدباء والشعراء، وقد كانت أحاديث النبي الكريم وخاصة تمثيلاته خير تعبير عن قدرته الإبلاغية في توظيف البلاغة الراقية، وبنظره موجزة إلى ما أبداه اللغويون والبلاغيون من آراء حول المثل و التمثيل أخلص إلى أن المفهومين يتمحوران حول معان مشتركة أهمها:

1 -الحال والصفة الغريبة الشأن، كما أشار إلى ذلك المفسرون وشراح الحديث.

2 -إطلاقهما على القول السائر، الذي يشبه فيه المضرب بالمورد.

3 -إطلاقهما على الشيء المشبه بغيره لمساواته له في الحكم .

4 -توظيفهما في تشبيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة، بهيئة أخرى مركبة .

5 -أن كلمة المثل من أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة.

---

[1]- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال ،ج1 ص 98.

[2]- سورة مريم الآية 17.

6 -هما بمعنى العبرة أو العظة للراغب في الاتعاظ والاعتبار، ومنه قوله تعالى: " **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين** "[1]

7 -والمصطلحان يفيدان كذلك معنى الآية، كما ورد في وصف عيسى (عليه السلام) في قوله تعالى: "**وجعلناه مثلا لبني إسرائيل**"[2]

8 -يأخذان معنى المثال: المقدار، وهو من الشبه والمثل، وما جعل مثالا: أي مقدارا لغيره يحدى به، والجمع المثل، وثلاثة أمثلة، والمثال: القالب الذي يقدر على مثله، ومثلث الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به[3] "ومثل الشيء بالشيء سوي به وقدر تقديره، قال سلم بن معبد الوالبي:

جزى الله الموالي فيك نصفا وكل صحابة لهم جزاء

بفعلهم فإن خيرا فخيرا وإن شرا كما مثل الحذاء[4]

ومنه معنى الانتصاب "مثل قائما أي انتصبت مثولا"[5]

9-ومنه معنى القصة: ويقصد بها الحكاية التي تدور أحداثها على لسان الحيوان أو الجماد كما في أمثال كليلة ودمنة، وقد جاءت الكثير من التمثيلات النبوية المؤثرة في شكل قصصي الهدف منه الترغيب أو الترهيب، والحث على فعل الشيء أو تركه، ومن أمثلة ذلك: حديث السفينة وماله من تأثير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأخذ على يد السيء لحفظ بقاء المجتمع متماسكا بعيدا عن كل المخاطر التي تتهدده.

---

[2] –سورة الزخرف الآية56 .

[3]– سورة الزخرف الآية59 .

[1]– ابن منظور ،لسان العرب، مادة "مثل" ،ج11،ص611.

[2] – الزمخشري ،أساس البلاغة ،مادة مثل دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422هـ 2001م ص 692

[3] – المصدر نفسه ص 693.

وإن نظره الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى المثل من أنه "الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله"[1]، حيث استشهد بتشبيهات تمثيلية كقوله تعالى: " **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** "[2] وقوله تعالى: "**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**"[3].

حتى أنه يعرف التمثيل بأنه "تصوير الشيء كأنه تنظر إليه"، ومن ثم فإن هذا التعريف يصدق على الأمثال البيانية التمثيلية باعتبار قياس شيء على شيء، معقول على محسوس أو العكس، أو أحد المحسوسين على الآخر، كما يصدق أيضا على الأمثال السائرة التي يشبه فيها المضرب بالمورد فيجعل مثله، فيصور المورد المضرب ويشخصه كأنه ينظر إليه،ومن تمثيلاته- عليه الصلاة والسلام التي ساقها في مواقف متباينة والتي صارت بعد ذلك أمثالا توظف في مواقف مشابهة -الكثير ومنها: - "مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين".

-"المرأة كالضلع إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركها استمعت بها وفيها عوج".

-"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة".

-"مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير" .

-" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت" .

-" مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها...." .

-"رفقا بالقرابر".ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، ..."

-"إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق" .

---

[4]- الخليل بن أحمد ،كتاب العين (مادة مثل) دار حياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1421 – 2001م ص896.

[5]- سورة الجمعة الآية 05.

[6] - سورة الاعراف الآية 176

-"يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع"

-"الغنم بركة الإبل يمر لأهلها، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

-" إن مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن يضل الهداة".

-"إن القرآن كجراب ملأته مسكا...."، -"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة...."

-"مثل المؤمن مثل النخلة أو النحلة إن شاورته نفعك وإن ماشيته نفعك و إن شاركته نفعك".

**التمثيل وعلاقته بالتركيب النحوي:**

حددت وظيفة النحو بالبحث في أحوال أواخر الكلمات العربية وعن موقع المفردة ضمن التركيب الجملي، ومن ثم معرفة دورها في آداء المعنى، كما حددت وظيفة البلاغة بمراعاة الكلام لمقتضى الحال في إيصال المعنى ضمن العلوم البلاغية الثلاث وهي المعاني والبيان والبديع ومتى ماتضافرت هذه الوظائف في حسن التوصيل والإبلاغ كان المضمون مؤديا للمعنى، لذلك قالوا " أن الفصاحة لاتظهر في أفراد الكلمات و إنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة " [1] وهذا التكامل الذي نلحظه بين مختلف علوم العربية وبالأخص بين النحو والبلاغة هو ما حدا بعبد القاهر الجرجاني إلى التأكيد" أن مدار النظم على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجدلها ازديادا بعدها.... ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض"[2] .

فترتيب العبارات وحسن صوغها ترتبط إذن بالتركيب النحوي وهذا التركيب يجب أن يتوافق والغرض أو الوجه المتناول فما يستوجب على ناظم الكلام أن يوظف آليات أسلوبية تتناسب وموضوع الكلام وذلك بالجمع بين حسن التأليف والنظم.

وللبيان النبوي فاعليته الإبلاغية التي ترتبط بصحته اللغوية نحويا و عمق معانيه فكريا و عقائديا وجمال عرضه بلاغيا و للتدليل على هذا الحكم سأتناول جوانب لغوية نحوية وإيضاح مدى ارتباطها بالتمثيل كجانب بلاغي مخصوص في البلاغة النبوية الشريفة و أول ما أبدأ به مايلي:

* **العلاقات الجملية:** الأحاديث النبوية الشريفة، تتميز جملها بقوة الترابط والتماسك في البناء التركيبي ومن ثم قوة الآداء المعنوي فكانت كل جملة تسلمنا إلى التي تليها فتبدو شكلا موحدا لا

---

[1]- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة، ص102.

[2]- عبد القاهر الجرجا ني، دلائل الأعجاز، تعليق محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي للطباعة والنشرالقاهرة الطبعة الثالثة 1413ه 1992م ص 87.

انفصام لعراه، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، و إن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[1] .

في هذا التمثيل النبوي نلاحظ الترابط المتين بين جمله وأداة الربط هي "الفاء" التي ربطت بين أجزاء الحديث وجاءت في: "فأصاب" وفي: "فكان...." وفي: "فإن يتركوهم...."

فالفاء الأولى: أفادت التعقيب والثانية أفادت السببية والثالثة جاءت في معرض جملة الشرط، وحرف "الفاء" يدل على تتابع الأحداث، فالإصابة ترتبت عن الإستسهام، فبعد أن استهموا أصاب كل فريق مكانه، ثم ارتبطت جملة "فكان الذين في أسفلها" بالتي قبلها وهي فاء السببية، فاستقاؤهم كان بسبب إصابتهم أسفل السفينة وهذه الجملة جملة شرطية، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، "استقوا" فعل الشرط، **"ومروا"** جواب الشرط، ثم تأتي جملة أخرى معطوفة على الجملة الشرطية السابقة "بالفاء" "فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا" وهي جملة شرطية فعلها "لو أنا خرقنا" وجوابها، "لم نؤذ" ثم تليها جملة أخرى معطوفة عليها بالفاء "فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا" وتأتي بعدها جملة جواب الشرط وهي "وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا" وترتبط هذه الجمل الشرطية التي كونت هيئة المشبه به بالجملة الأولى جملة المشبه على أنها خبر لها، وهكذا تترابط جمل الشرط حتى تصير وكأنها جملة واحدة تجرى بينها الفاء والواو لترب ط بين أحداث القصة بتسلسل وانسجام. وفي هذا التشبيه التمثيلي الذي جاء في قالب قصصي جعل المشبه هو القائم على حدود الله المراعى لأوامره ونواهيه الذي لا يؤذي نفسه ولا الآخرين فيأخذ بأيدي المسيء فينهاه عن المنكر و يأمره بالمعروف بينما أن الواقع في المنكرات الذي لا ينتهي ولا ينهي هو هذا الذي يريد خرق السفينة لغاية الإستسقاء و يتناسى عن جهل أو استكبار أنه سيغرق الجميع، وهذا التمثيل النبوي يوافق عدة مواقف حياتية

[1]- صحيح البخاري الحديث برقم2493تقديم احمد محمد شاكر ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي دار الهيثم ط 1 1425ه2004م ص286

تواجهنا فيجب أن نتمثل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصلاح المجتمعات، وسلامتها من التهاوي والسقوط فتوظيف الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الجمل المترابطة وكذا إستعمال الجملة الشرطية و القالب القصصي الجذاب مما أعطى للتمثيل ثراء وقوة في التصوير البلاغي المؤثر على السامع.

ومن الأحاديث النبوية المتضمنة تشبيها تمثيليا والمرتكزة على الترابط قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يترعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آحذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها" [1] فالفاء كذلك في هذا الحديث ربطت بين أجزاء جمل الحديث فجاءت في " فلما أضاءت ما حوله" وفي " فيقحمن فيها"، و في: "فأنا آخذ بحجزكم....." فإن هذا الترابط التركيبي في نص الحديث نلمسه من خلال قراءتنا المتأنية له حيث جاءت الأحداث فيه متتابعة متتالية يسلم أولها إلى ثانيها فعبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفكرة أولا بتمثيله لحاله كنبي مبشر ومنذر بمثل رجل " استوقد نارا" وهذه الجملة في محل جر نعت "لرجل" ثم كيف أن الفراش والحشرات أخذت تقتحم النار فتردى وكذلك حال الرسول الكريم مع أمته، وعبر عن ذلك بقوله: "يقتحمون" دلالة على اقتحام العصاة المتجدد و المتكرر في كل زمان للمعاصي والمنكرات، وهذا مادل عليه الفعل المضارع الذي ورد مرات عده في: يقعن، يترعهن، يغلبنه، يقتحمن...و إن التشكيل النحوي للتمثيل النبوي يجعله ذا معان مترابطة ولا يمكن أن يحقق أثره ونقف على جمالياته لولا هذا التركيب الخاص الذي يرد به ويتجلى ذلك في كل نصوص الحديث النبوي، وقد أوضح هذا عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتصيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها...." [2].

---

[1]–صحيح البخاري، الحديث برقم:6483،ص759.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص 81.

فمدى إمكانية الوصول إلى المعاني المتفردة متعلقة ولاشك بالتشكيل النحوي للمفردات ضمن التركيب وذلك لأن المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم، و"ما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل و المزية" [1] .

وإن معاني النحو وارتباطاتها بالسياق يكون حسب الغرض الذي يرمي إليه الناظم أو الناثر لذلك فإن "هذه المزايا في النظم، بحسب المعاني و الأغراض التي تؤم" [2]،إذ يجب التفريق بين النحو بالمعنى الشائع وبين المعاني النحوية المرادة من النظم، فالنحو بالمعنى الشائع يراد منه الإعراب ولا يصلح أساسا للتفاضل البلاغي والجمالي الذي تقوم على أساسه نظرية النظم، و إنما الإعراب شرط لصحة الجملة لغويا . [3]

ومن تلك المعاني النحوية أيضا توظيف أساليب التوكيد المتعددة كالقسم والنفي والإستثناء، والقصر بإنما،وغيرها وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عيه وسلم: "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع"[4] ففي هذا التمثيل النبوي تأكيد قوي لقلة شأن الدنيا وهوانها قياسا لها مع الآخرة " **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**"[5] وكذا قوله تعالى: تَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى**" [6] .

وقد وظف عليه الصلاة والسلام أسلوب النفي والاستثناء في قوله: ما الدنيا في الآخرة إلا مثل... " وهو من طرق القصر المعينة على تثبيت الفكرة في الذهن وتقديمها في قالب مقنع، ولكي يدلل الرسول صلى الله عليه وسلم على صحة رأيه لجأ إلى التصوير والتمثيل البلاغي المؤكد للفكرة

---

[1]- المصدر نفسه، ص430.

[2]- المصدر نفسه ،ص 87.

[3]- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، ص 104.

[4] - أخرجه مسلم،ورواه الترمذي كما جاء في كتاب الأمثال للرامهرمزي (برقم 21) ص 58.

[5]- سورة الأعلى الآيتان 16-17

[6]- سورة الضحى لآية 04.

حيث أنه جعل مقام الدنيا إلى الآخرة كمثل ما يجعل أحدنا أصبعه في البحر فلينظر بما يرجع" وإنما هي قطره أو بلل لا يلبث أن يجف مع أول لفحة من شعاع الشمس وأين هذه القلة و ضآلتها إلى البحر بشساعته وسخائه بظاهره الممتد و أمواجه العاتية أحيانا و المتماوجة الجميلة أحيانا أخرى، و بثرواته التي يكتنزها من خيرات الله لذلك فإن الرسول صلى الله عليه و سلم يدعو القارئ للحديث أن يتفهم قصده من قوله: "فلينظر" فالنظر هنا على وجه الحسية المعروفة ولكن يتمخض عنها نظر بالبصيرة والعقل والفؤاد، إذ بالنظر إلى قدر البلل البسيط في الأصبع ومقارنته بالبحر، استنتاج بقيمة الآخرة وهوان شأن الدنيا، التي لن يكون لها جدوى إلا بقدر ما يعمل فيها للآخرة وينظر فيها المتدبر الواعي والمهتدي إلى مآله بعد ذلك، وإنما قد استقينا هذه المعاني من خصوصية هذا التركيب الجملي النحوي بتوظيف النفي لاستثناء، وكذا استعمال لام التوكيد في قوله "فلينظر"، وغيرها من الدلالات التي لم أحط بها في هذا المقام.

ومن التمثيلات النبوية المؤكدة للمعنى نفسه قوله عليه الصلاة والسلام: عن المستورد شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وإني لفي ركب مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بسخلة منبوذة فقال: "أترون هذه هانت على أهلها" فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها"[1].

وهذا تمثيل أخر يبدي فيه الرسول عليه الصلاة والسلام هوان الدنيا وقلة قدرها عند الله عز وجل وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم لتأكيد ذلك أسلوب الاستفهام بداية بقوله: أترون هذه هانت على أهلها؟ قصد وضع المتلقي في سياق المعنى الذي يرغب أن يوصله إلى ذهنه، فيعرف حينذاك القصد من الكلام، ويردف عليه الصلاة والسلام تأكيد المعنى بتوظيف القسم، في: "فوالذي نفس محمد بيده" وهو أسلوب له دلالة قوية تبين مدى صدقه فيما يذهب إليه وهو الصادق الأمين، ويصل بعدها إلى المعنى، بإيراد أن الدنيا أهون على الله من هذه السخلة (الجيفة) المرمية في الطريق على أهلها، وإنما خير ما في الدنيا ارتباط بالله ورجاء لآخرة فيها جزاء على عمل

[1]- الرامهرمزي أمثال الحديث (الحديث برقم 22) ص 58.

صالح في دنيا فانية يتوق فيها المؤمن إلى حياة باقية، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام "نعمت الدار الدنيا لمن تزود فيها خيرا لآخرته بما يرضي ربه، و بئست الدار الدنيا لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضى ربه، فإذا قال العبد قبح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبح الله أعصانا للرب[1] .

فالعبرة إذن بمدى طاعة الله والائتمار بأوامره والإنتهاء عن نواهيه، وقد جاء في هذه التمثيلات النبوية تراكيب نحوية متتابعة توصل إلى المعنى الذي لأجله جاءت الصياغة بالكيفية الواردة ضمن النفي والاستثناء أو ضمن أسلوب القسم أو أسلوب التوكيد أو غيرها من الأساليب المعينة على إيصال الفكرة الواضحة للمتلقي، لذلك فإنه "إذا أريد لدراسة الأدب أن تبلغ درجة من النضج فلابد من إقامة رابطة بينها وبين المسائل النحوية المتعلقة بنظام الكلمات أو تركيب العبارات، ومن النحو يمكن أن ينشأ فصل مهم في علم الأدب"[2].

وقد ذكر ذلك "عبد القاهر" في معرض حديثه عن النظم حيث يدعونا دوما إلى تمثل الاستفهام الآتي "ماذا يكون نظام اللغة العربية أو قوامها بمعزل عن النحو؟" [3] ومن ثم الخلوص إلى إجابة أكيدة تسلمنا إلى أن النحو أساس في العربية فهو بمثابة الروح للجسد، وقد أدرك عبد القاهر أن نشاط اللغة ضرب من الإيقاع الذي يمثل جوهر حركة اللغة والنحو في أوسع معانيها، مستعينا في ذلك ببيت شعري ضربه [4] وهو قول الشاعر: إبراهيم بن العباس[5]

فلو إذ نبا دهر و أنكر صاحب  وسلط أعداء وغاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة  ولكن مقادير جرت وأمور

وإني لأرجو بعد هذا محمدا  لأفضل ما يرجى أخ ووزير

---

[2]- المرجع نفسه، االحديث برقم 109 ص 149.

[1]- علاء نور الدين ، عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيين المحدثين، منشأة المعارف بالإسكندرية 2006 ص 159.

[2]- المرجع نفسه ، ص 159.

[3]- المرجع نفسه ، ص 161.

[4]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 86.

ويردف عبد القاهر في شرح مكانة معاني النحو في التركيب ومدى تأثيرها في مجرى الكلام وفاعليتها الأسلوبية فيقول: "فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو: "إذنبا" على عامله الذي هو "تكون"، و أن لم يقل فلو" تكون عن الأهواز داري بنجوة إذنبا دهر" ثم قال" تكون"، و لم يقل "كان" ثم أن نكر الدهر و لم يقل" فلو إذ نبا الدهر"، ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد ثم أن قال "وأنكر صاحب" و لم يقل "وأنكرت صاحبا،" لا ترى في البيتين الأولين شيئا غير الذي عددته لك تجعله حسنا في النظم، وكله من معاني النحو، وهكذا السبيل أبدا في كل حسن ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم وفضل وشرف أحيل فيهما عليه"[1].

ومن أحاديثه المتضمنة تمثيلات تتضافر فيها التراكيب المثرية للمعاني قوله عليه الصلاة والسلام: "مثل الذي يسمع الحكمة ولا يحمل إلا شرها كمثل رجل أتى راعيا، فقال اجزرني شاة من غنمك، قال انطلق فخذ بأذن شاة منها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم"[2]،

وقال صاحب كتاب "العين" "الحكمة مرجعها إلى العدل، العلم والحكم ومنه قولهم أحكم فلان

فلانا عن كذا أي منعه"[3] وقد جاء في محكم التنزيل **«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»** [4]

وقال جرير: [5]

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم  إني أخاف عليكم أن أغضبا

---

[1]- المصدر نفسه ص 86.

[2]- الرامهرمزي أمثال الحديث (الحديث برقم 57) ص 92.

[3] – المرجع السابق ص 92.

[4]- سورة لقمان الآية 12.

[5]- الرامهرمزي ، أمثال الحديث ص 93.

فمدار الحديث إذن هو "الحكمة" ومن المطلوب أن تكون ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها ويأخذ بأحسن ما فيها من نصح وتوجيه، ولكن التمثيل الذي أورده الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه أن الذي يسمع الحكمة ولكن لا يأخذ بها و إنما بنقيضها أو أنه يفسر الكلام حسب هواه فيحل الحرام ويتعدى على حدود الله بخطأ في فهمه أو فساد في تفكيره أو لهوى في نفسه فهذا مثله كمثل من طلب شاة لذبحها (جزرها) وحين ترك له الاختيار من قطيع الغنم ذهب فأخذ بأذن كلب الغنم، وهو بذلك يكون قد جانب الصواب و لم يأخذ بجوهر الحكمة وحسن الإختيار،وإنما حاد إلى الأقبح المشين.

ومن المعاني النحوية التي ساهمت في إعطاء المعنى الكلي المتنامي: استعمال النفي والاستثناء كذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يحمل إلا شرها" وهنا نفي للخيرية في الذي لا يختار الحكمة قرينة الصواب والمعرفة ونور الإيمان، ثم استعمال الحوار بتوظيف أسلوب الأمر في" أجزرني"، وفي "خذ" إلى جانب دلالات أداة التشبيه الواردة ضمن نص الحديث في قوله "كمثل"وهنا دمج بين الحرف والإسم (الكاف +مثل) وبإيراد هذا التمثيل دعوة إلى الأخذ بالحكمة الخالصة من كل زيف وقد بدا الحديث النبوي "تحكمه طاقة جامعه لكل مكوناته اللغوية منها الأساليب البلاغية والإيقاعية وغيرها من المكونات النصية، بحيث يبدو كل عنصر من هذه المكونات منسجما مع العنصر الآخر بفعل هذه الطاقة التي يسميها النقد الحديث (الرؤيا الشعرية) وقد عرفها الدكتور "صلاح فضل" فقال: "إنها تضافر مجموعة من التقنيات التعبيرية المتصلة ببعض المستويات اللغوية خاصة النحوية وطرق الترميز الشعري المعتمد على الإقناع" [1].

وفي التمثيلات النبوية نجد هذا باديا بوضوح من خلال التقنيات التعبيرية والدالات والمدلولات التي يأتي بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم توصلنا إلى معان متراكمة يمكن توظيفها في سياقات كلامية متعددة لذلك يمكن تمثل ذلك على الشكل الآتي:

---

[1] – فايز القرعان، تقنيات الخطاب البلاغي( دراسة نصية)عالم الكتب إربد الأردن 1425هـ 2004م صللنشر– السعودية 1980 ص92.

**التمثيل النبوي (رسالة):**

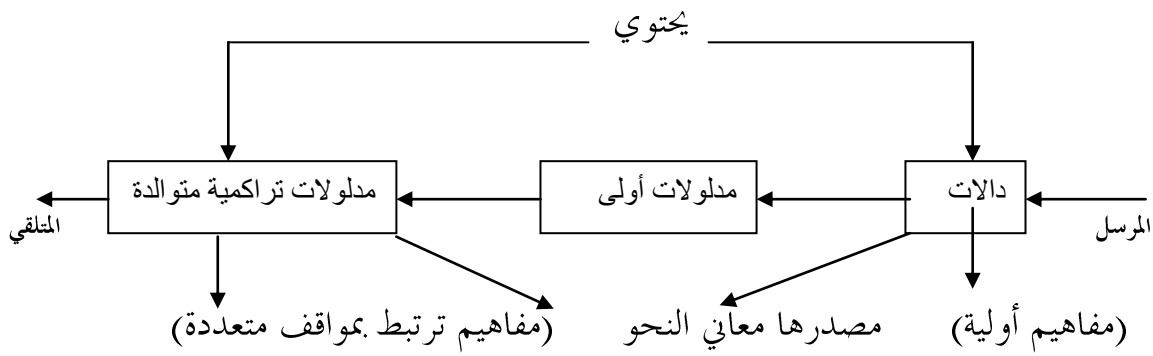


إن المرسل أو القائل يقوم بدور إرسال دالات تنتج دلالات أولية من خلال مضمون الكلام والعلاقات السياقية المتتابعة كما في الرسالة الأولى في الرسم، ثم ينتقل إلى مدلولات أولى و مفاهيم أساسية تفهم على الظاهر كما في الرسالة الثانية ولكن لن تكتمل الرسالة إلا بالفهم الموسع واستنباط المفاهيم التراكمية المتوالدة والمتناسلة من السياق الرامي إلى أبعاد فكرية عميقة المغزي، وهذا في الرسالة الثالثة، ولن يتأتى الفهم المثري للفكرة المطروحة ضمن الكلام ذي الأبعاد إلا لذوي الفكر والتبصر وخاصة مع إدراك معاني النحو والتذوق البلاغي للنص، وكذلك الأمر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و تمثيلاته التي قد يفهم بعضها بوضوح ودون تعمق عند من لم يؤت حظا من التأمل، و إنما يتأتي المدلول التراكمي للراسخين في العلم والراغبين في اسكناه حقائق وماهيات الأشياء وكذا الأفكار، و ذلك مصداقا لقوله تعالى: «**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**» [1]،"وإنه لكي يتحقق النظم لا يكتفى بالإدراك الثاقب للمعاني النحوية فحسب، و إنما لا بد من إدراك كيفية استغلال هذه المعاني في بناء العبارة أو في نسجها ونقشها و صياغتها، وطريقة بناء العبارة و استغلال المعاني النحوية تقوم على عنصرين هما: الإختيار والتأليف" [2] ويشير إلى هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني ويذكر أنه "لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثيرا لا يكون لصاحبتها" [3]

---

[1]– سورة آل عمران الآية 07.

[2]– أحمد درويش دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، ص 106.

[3]– عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص 258.

[4]–عبد الفتاح لاشين التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ص 92.

فالمتعة الفنية والحس الإبداعي لا يظهر "بما تحمله الألفاظ من معان أول تظهر من النص لأول وهلة، وإنما لما وراء ذلك من معاني ثانية هي التي تسعد النفس، وتجذب إليها الطباع " [1] فعبد القاهر لا يجد في التركيب اللغوي الأول مزية وفضلا، أما إذا كان ذلك المعنى اللغوي تمهيدا ودعوة للتفكر في معاني أخرى متوالدة من السياق فهذا هو المطلوب، وهو المعنى المحتاج إلى فكر وروية لا تدركه إلا الأفهام الجيدة والعقول النيرة بالربط بين معاني النحو، وجمال البيان وفنية الأسلوب البلاغي، ومن ثم فإن "عبد القاهر" استطاع بجدارة أن يفسر التراكيب النحوية، والأساليب اللغوية والنظم في الكلام والتأليف فيه تفسيرا رده فيه إلى المعاني الإضافية والتابعة للمعاني الأول، والتي تتلمس من الكلام حسب مضامينه والدلالات الكمينة والدفينة فيه"[2].

والتمثيل عند عبد القاهر من أبدع طرق التصوير ومن مقتضيات النظم، وأن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلا، وإنما يتعلق بها مرتبطة بمعاني النحو، ذلك أن التركيب النحوي كامل الإحكام والعبارة اللغوية سليمة البنيان، فإنه لن يكون لاتصال تلك العرا إلا فهما دقيقا وإحاطة بمعاني الكلام "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة"[3]، فتتلاحم الألفاظ ومن ثم تتراص المعاني وتمدنا بمفاهيم متجذرة الأصول تنفذ إلى العقول وتأسر القلوب، وما تفرد به عبد القاهر هو البحث عن الوسيلة التي تحقق التشابه، و تجعل الفن القولي مسبوكا محكم الأجزاء مثل التمثال أو اللوحة أو الخاتم، فلا يمكن الفصل فيه مثلا بين الشكل و المضمون و لا يمكن النظر إلى جزئياته المفتتة، و لكن ينظر إليه باعتباره كلا متماسكا .

---

[1]-المرجع السابق ص 124.

[2]-المرجع نفسه ص 205.

# الفصل الرابع

## أسرار و جماليات التمثيل في الحديث النبوي:

1 -لأسرار النفسية :

أ – توظيف التقابل.

ب -توظيف الترغيب و الترهيب.

2 -الجماليات البلاغية :

أ – مطابقة التمثيلات لمقتضى الحال.

ب -قوة التلاؤم بين طرفي الصورة .

ج– اتخاذ الرسم الهندسي وسيلة من وسائل التصوير.

د– التناسق بين الفعل وثوابه أو عقابه.

ه– تصوير المعنويات المجردة بالمحسوسات المصورة.

3 - جدول توضيحي لأهم التمثيلات النبوية المجردة و الحسية.

## 1- الأسرار النفسية:

إن البلاغة كوظيفة خطابية – تستعمل للخطاب الإنساني (كتابة أو كلاما) –ملكة يؤثر بها موظفها في عقول المتلقين وقلوبهم وقصده في ذلك إقناعهم بما يذهب إليه من آراء وما يطرحه من أفكار لذلك فإن "طالب البلاغة في حاجة إلى ألوان كثيرة من الثقافة،وأقل ما يجب عليه درسه هو اللغة والطبيعة والنفس " [1] كما أن ما تعلق باللغة يرتبط بعلومها و بالأخص البلاغة بفنونها والبيان إحدى ركائزها، وتوظيف ألوان البيان كالتشبيه التمثيلي له تأثيره في النفوس لأنه ينقل المعنى من خفي إلى جلي إذ أن الكثير من التمثيلات ينطلق فيها من العقلي إلى الحسي، والنفس الإنسانية مفطورة على الركون إلى العلم المستفاد من الحواس كونه يفضل العلم المستفاد من جهة العقل هذا من جهة ومن جهة أخرى " فإن التفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية وملاءمتها لحال الخطاب من أهم عناصر التمثيل الفنية وأغراضه النفسية، ولكي يكون التشبيه صادقا في التعبير عن المشاعر الوجدانية، متفاعلا معها وجب أن يتفاعل طرفاه، بأن يكون المعنى المراد التشبيه به حسيا كان أم مجردا مرآة تعكس بصدق أبعاد المنشئ النفسية ومشاعره الوجدانية حتى يتمكن من التأثير في نفس المتلقي وتحريك انفعالاته المناسبة ليعيش التجربة نفسها التي عاشها المبدع أو جوا نفسيا قريبا منها" [2]"وقد أخذ الناقد حازم القرطاجني على عاتقه التنظير لما بين العملية الإبداعية و أحوال النفس من علاقات، فيما يصطلح عليه اليوم تحت اسم الإنفعالات النفسية فقد خلع عليه حازم لقب "البواعث" المؤدية إلى جيشان القريحة الشعرية وفيضها [3].

وانطلاقا من هذه الفكرة الموضحة للأثر النفسي الذي يتركه اللون البياني في الإ بداع الأدبي بشكل خاص و الكلام بشكل عام،كما نرى" أن كل انفعال عنيف كالغضب و الحب والحماسة أن الكلمات غير المتوقعة والخيالات الطريفة تصدر عفويا،وإن الإنفعال والإلهام مصدران

---

[1]–بدوي طبانة، البيان العربي مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة الطبعة الرابعة 1388ه–1968 م ص402.

[2] - يوسف أبو العدوس– التشبيه والاستعارة (منظور مستأنف) دار المسيرة للنشر والتوزيع الأردن،ط1، 2007 ص93 .

[3]- سمير أبو حمدان ، الإبلاغية في البلاغة العربية ص55.

عظيمان للخلق الإنساني" [1] وإن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم توفر فيها هذا الإلهام و التفاعل والعفوية بينه عليه الصلاة والسلام وبين المتلقي في عهده أو في أي زمن كان فيه هذا الذي يتلقى مسلما آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاذقا صادقا في نقل إحساساته النابعة عن نية متجذرة لتبليغ الرسالة ومن ثم هذا التفاعل الكبير المحقق حين سماعنا أو تحليلنا الواعي لأحاديثه عليه الصلاة والسلام، " ويؤكد النقاد تفاعل عناصر الصورة التشبيهية وأطرافها وصدقها في التعبير عن التجربة والإبداع القائم على التفاعل الذي لا ييسر إلا لمن أوتي موهبة خاصة" [2]

وأوتي النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه الموهبة الفذة فهو أفصح العرب والمؤيد بكتاب سماوي وهو الصادق الأمين فإن التفاعل ولاشك محقق ولكي نتعمق في هذه الخاصية و نوضح جوانبها في التمثيلات النبوي نورد أمثلة عن ذلك.

**توظيف التقابل والتضاد** :يقول صلى الله عليه وسلم " مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم إستهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[3]

في هذا الحديث النبوي يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى حدود الله ومعناها أحكام الشريعة، والمراد القيام عليها والتزامها والعمل بها، كما أن المراد من الوقوع فيها مخالفتها وترك العمل بها، ومعنى إستهموا على سفينة اقترعوا على تقسيمها وأخذ كل فريق سهما بالقرعة وهذا التشبيه التمثيلي النبوي وجه الشبه فيه منتزع من متعدد وهو تشبيه حال المسلمين القائم منهم على الحدود والواقع فيها والساكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال قوم شركاء في سفينة

---

[1] بيير جيرو،علم الدلالة ،ترجمة :منذر العياشي،تقديم:مازن الوعر،طلاس للدراسات والترجمة والنشر،ط1،1988ص105.

[2] يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة ص 93.

[3] صحيح البخاري ،كتاب: الشركة، باب هل يقرع في القسمة و الا ستهام فيه؟ برقم 2493 ص286، و رواه الترمذي برقم:2099 ،في كتاب :الفتن عن رسول الله،ورواه أحمد برقم:17638 ،كتاب :أول مسند الكوفيين.

تنازعوها فاستهموا على قسمتها، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فأراد من في أسفلها خرقها تيسيرا للحصول على الماء، و لم يجدوا بأسا من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في خالص نصيبهم، فإن منعهم من هم في أعلى السفينة من هذا التصرف الخطير نجا الجميع، وإن تركوهم وما أرادوا هلك الجميع، فهذا التصوير النبوي يوضح أن صيانة الأمة وأمنها لا يحصلان إلا بأخذ الراشدين فيها بأيدي العابثين المفسدين، وذلك تطبيقا لمبدأ إسلامي يوطد أركان الأمة ويزيدها قوة وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث النبوي قد حقق التفاعل النفسي بينه وبين المتلقي في كل عصر، وذلك لصدق نقله للتجربة الوجدانية مما يؤدي إلى التأثير وتحريك الشعور نحو الايجابية ومن أهم العناصر التي وظفها صلى الله عليه وسلم مثلا في هذا الحديث النبوي:

أ. توظيف التشبيه التمثيلي وذلك بنقل المحسوس إلى المجرد.

ب. إيراد التمثيل في قالب قصصي مما يجعل المستمع أو المتلقي يتابع الحديث وما جاء فيه من أحداث إلى آخره ومن ثم استخلاص العبرة والتي ولاشك ستكون راسخة في ذهن الأسوياء الراشدين أو يمكن حتى هدي العابثين الضالين إذا ما عرفوا أن في مواصلة الإفساد إضرارا بهم كما بغيرهم.

إذن لاشك أن حديث السفينة هذا والمتضمن تمثيلا نبويا له تأثيره الوجداني وأثره النفسي على المتلقي لبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في نقل الصورة وإقناع المسمع بالهدف التربوي الذي يرمي إليه.

ج –ولا يمكن إغفال العنصر الآخر الذي تحقق في هذا الحديث وهي هذه اللغة المتقابلة الموظفة في إعطاء النقيضين بين أسفلها وأعلاها، فالعلو عنوان للرفعة والسمو والمثالية والخير والجمال، أما أسفلها فجاءت هنا مثال للدونية والسفالة وقلة العقل، والتعبير المحدود المشبع بالأنانية ومحدودية الأفق المعرفي، فكانت الفئة السفلى هي من أرادت خرق السفينة لتحصيل هدف (الاستقاء) غير أنهم بإمكانهم الحصول على الماء بطريقة أكثر أمانا وتحقق السلامة للجميع وهذا ناتج عن الصفات

الآنف ذكرها في الطرف المؤذي الأسفل، بينمـــا تمثل الفئة العليا الطرف العاقل المفكر، الذي لا يجب أن يغفل فيغرق مع عدم المدركين بل يجب أن يظل يقظـــا ناصحـــا آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر لتحقق النجاة ويكون بذلك هذا الطرف هو الذي تتحقـــق فيه الآية القرآنية: **«كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ»** [1]

وهذا التمثيل النبوي بدا فيه المعنى مؤثرا وذلك بما يبثه من إيحاءات تربط الحس بالوجدان حيث يقول عبد القاهر الجرجاني: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقصى الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا..." [2]، فهذه الرؤية المتعمقة في النفس المتذوقة للجمال بإدراك التمثيلات في صدر الكلام أو ضمنه تعطي الراغب في تتبع التمثيلات النبوية شحنة انفعالية ايجابية تحفزه للتأمل والتحليل ثم الفهم، "فالجانب النفسي في نظرية عبد القاهر أنه لم ينس قارئه،بل اعتنى به عناية خاصة وظل يراعيه ويقدم له الرأي بعد الرأي ويزيل عنه الشك بعد الشك وهو- في براعة وذكاء-يجول في نفس قارئه، يطمئنها،و يريحها ليكسب ثقتها و يشعرها بكريم المقصد، ونبل الغاية، وأحقية الصبر والروية للوصول إلى نهاية الطريق" [3]،وأكثر ماأعطى لهذا الحديث جاذبية هو الأسلوب القصصي وكذا توظيف التضاد والتقابل في الألفاظ والمعاني.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" مثل البخيل و المنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي

---

[1] سورة آل عمران الآية: 110.

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة- دار المعرفة بيروت- ص 92-93.

[3] علاء نور الدين – عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيين المحدثين – منشأة المعارف الإسكندرية- 2007- ص337.

بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا الدرع حتى يقع على بنانه ويعفو أثره، وإذا أراد البخيل، أن ينفق قلصت كل حلقة موضعها حتى أخذت ترقوته أو بعنقه"[1]

وقال الحافظ ابن حجر عن الخطابي وغيره: " هذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للبخيل والمتصدق، نشبههما برجلين أراد كل واحد أن يلبس درعا يستتر به من سلاح عدوه، فصبها على رأسه ليلبسها، فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه، كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته[2]

والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة إنفسح صدره لها وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه.

وإننا بتأملنا لهذا الحديث النبوي وما تضمنه من تمثيل بلاغي قوي الوقع في النفس بتقابلاته الملفتة نلمس تلك الروح المتغلغلة في دقائق التصرف الإنساني المتناقض، فهذا البخيل قد غلت يده إلى عنقه فلم يستطع لبس درعه ليحتمي من عدوه لنفسه الضامرة سوء ورذيلة وهذا الكريم المعطاء الذي استرسلت درعه فكانت سابغة جسمه كمثل نفسه السخية بكل أصناف الإنفاق في أبواب الخير التي تفتح له من خيرات الدنيا والآخرة، فهذا التمثيل النبوي يقرأ نفسية البخيل ويكشف عن جانب من جوانب الإحجام عن الإنفاق كما يميط اللثام عن نفسية السخي المعطاء ويوضح مدى ارتياح روحه للإنفاق وبذل المال أو غيره لخير الناس والإنسانية وفي هذا التقابل بين الصورتين متعة فكرية تدعو إلى التفكر والتدبر وقد وصف عبد القاهر هذا التباين بين المشبه والمشبه به في التمثيل بقوله: " وهل تشك في أنه عمل السحر في تأليف المتابينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب

---

[1] أبو الشيخ الإصبهاني ،الأمثال في الحديث النبوي تحقيق :عبد العلي عبد الحميد حامد ص 315.

[2] المرجع نفسه ص 316.

ويجمع ما بين المشئم والمعرق [1] وهو يريك المعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة.... ويريك التئام الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين..." [2]

" وإذا كان تباعد الطرفين وتضادهما في التشبيه الصريح له أثره فإن التمثيل أخص شيء بهذا الشأن وله فيه القدح المعلى..." [3] إذ بإيراد ذلك التقابل بين حقيقتين " يتطلب من القارئ جهدا وتفكيرا وروية ومثابرة، كي يتلمس نقاط الإلتقاء والتشابه، حتى إذا ما وصل إلى بعضها كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف"[4]

وهذه سمة رائعة من سمات بلاغة الصورة التشبيهية النبوية لما لها من مترلة في التأثير على النفوس وذلك بذكر الشيء ونقيضه وبالضد تتميز الأشياء.

أو كما قال الشاعر:

ضدان لما استجمعا حسنا  والضد يظهر حسنه الضد

فحين يلجأ المحدث أو الكاتب إلى المقابلة بين الصور التشبيهية لإبراز الحقائق الماثلة أو المعاني المجردة فإن هذا يدل على خبرة كافية بطبيعة النفوس وقدرة أسلوبية تمكن من أسر القلوب وجذبها نحو الهدف المنشود وذلك لأن أسلوب المقابلة من الأساليب المحببة إلى النفوس، حين يقود إليها الطبع، فترد في الكلام سمحة منسابة، ولعل السر في حسنها أنها تعين على تجليه الحقائق بإبراز معانيها .

وبهذه الوسيلة الأسلوبية يزداد الحسن حسنا والقبح قبحا إذ لا يعرف نعيم الجنة إلا بذكر صفات الجحيم، ولا تعرف قيمة الفضيلة إلا بالإطلاع على قبح الرذيلة، وهكذا هي طريقة البيان النبوي بصفة عامة وفي التمثيل بصفة خاصة، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " إن المؤمن

---

[1] المشئم: من أتى الشام، والمعرق، من أتى العراق ،نقلا عن أسرار البلاغة ص 111.

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة ص 111.

[3] بسيوني عبد الفتاح فيود- دراسات بلاغية ص 219.

[4] يوسف أبو العدوس- التشبيه والاستعارة (منظور مستأنف) ص 97.

يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، قال أبو شهاب بيده، على أنفه"[1]

فالحديث يصور استعظام المؤمن لذنوبه وتهويله لشأنها لدرجة تجعله دائم الخوف والهلع والذعر لما بدر منه، فهو يستحضر ذنوبه ويتصورها جبلا ضخما يوشك أن يقع عليه، فيحطم رأسه ويهد كيانه، وهذا التمثيل النبوي من التشبيهات البديعة المؤثرة لتصويره أعماق النفس البشرية، حيث يكشف ما استتر في قلب المؤمن ذي الضمير الحي المحاسب لنفسه قبل أن يحاسب ثم يعقد صلى الله عليه وسلم موازنة يقابل فيها بين المؤمن الخاشع و الفاجر الذي لا يرعى لله حرمة، فقد مات ضميره وتاه فيه شعوره الحي في مجاهل الظلمات ودروب الضلال فيعبر صلى الله عليه وسلم عن احتقار هذا الفاجر لذنوبه واستهانته بشأنها واستخفافه بها بالذباب يمر على أنفه فيدفعه بيده وهذا تمثيل يصور قلة الإدراك وعدم استعمال العقل في قياس مآلات الأمور مما يؤدي إلى البوار والخسران،وهذا ما يوافق قول الرسول في حديث آخر:"إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه..." [2]

وإن قارئ هذا التمثيل النبوي يدرك هذا التفاعل في المعنى مما يعطي للعبارة قوة وللتركيب إضاءة يلمح من خلالها أن الطريق السوي جلي ويجب انتهاجه والطريق المهلك واضح ويجب اجتنابه وقد قال تعالى **«قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ»** [3] .

ولكن تكون النتيجة مثمرة إلا إذا ارتبطت بالانفعال النفسي الذي يولد قدرة على التطبيق الحقيقي والصادق للائتمار بالأوامر والانتهاء عن النواهي وقد صدق بعض النقاد الذين يذهبون في رأيهم إلى أن الأدب يشمل كافة الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية، إذ يقول مندور" الهمس في الشعر ليس معناه الضعف،فالشاعر القوي هو الذي يهمس فتحس صوته خارجا من أعماق نفسه في نغمات حارة،ولكنه غير الخطابة التي

---

[1] ابن حجر العسقلاني فتح الباري –ج11 ص 102.

[2] مسند أحمد برقم12579،كتاب: باقي مسند المكثرين.

[3] سورة: البقرة الآية :256.

تغلب على شعرنا فتفسده،إذ تبعد به عن النفس، عن الصدق،عن الدنو من القلوب" [1]وإن هذا المفهوم التأثيري والوجاني القريب من الأفئدة يحدث التفاعل المطلوب، وبهذا التقابل والموازنة يمكن إحداث التأثير النفسي المرجو لما بين الأمرين من بون شاسع وفرق هائل، فأين الجبل من الذباب؟ وأين التهويل من التهوين؟ وأين الإيمان من الكفر؟ ومن هنا تصبح البنية التحليلية للتمثيل معتمدة على علاقة التضاد وإذا أردنا رصد حركية هذا التضاد أو التقابل فإنه يمكن تجسيمه في الرسم الآتي:

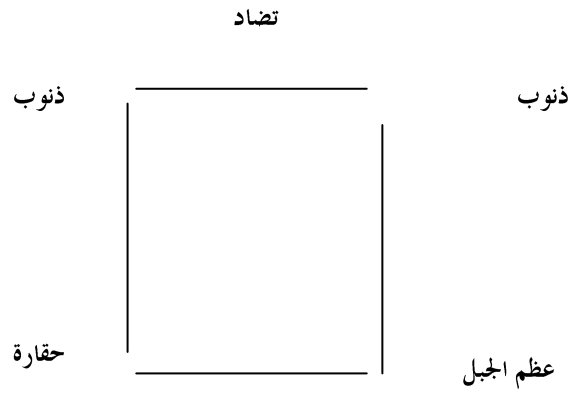


فقد يخيل إلينا أول ما نقرأ الحديث أن التضاد يكمن فقط في الموازنة والتقابل بين المؤمن والفاجر ولكن تتنامى العلاقة لتشمل سائر التراكيب المرتبطة بكل من العنصرين الأساسيين في التعبير ومن ثم يمكن أن نطور الرسم ليشمل جميع تلك التراكيب وما تعلق بالمعنى الكلي للتمثيل النبوي كما يلي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| الذات: | مؤمن | تضاد | فاجر |
| المحسوس: | عظم الجبل | تضاد | حقارة الذباب |
| الفعل: | تهويل الذنب | تضاد | تهوين الذنب |
| الشعور: | خوف | تضاد | لا مبالاة |

" ومن الملاحظ على هذه البنية أن ثمة تراكيب منبثقة من كل عنصر وفي الوقت نفسه أن كل تركيب يقيم علاقة تضاد مع التركيب المقابل له في العنصر الآخر"[2]

---

[1] محمد برادة، محمد مندور وتنظير النقد العربي،دار الآداب،بيروت،الطبعة الأولى، 1979، ص241-242.

[2] فايز القرعان،دراسات أسلوبية في النص القرآني- ص 17.

فالعنصر الأول المؤمن ينبثق عنه تركيبان هما " عظم الجبل" والخوف من وقوعه عليه جراء تهويل الذنب وخشية الله تعالى: **« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء»** [1]

والعنصر الثاني الفاجر ينبثق منه كذلك تركيبان هو: رؤيته لذنوبه كذباب مر على أنفه نتيجة تهوينه وتحقيره لما يقع منه من آثام وذنوب وهكذا تصبح خاصية التضاد قائمة على علاقات تقابلية تتضح مع التركيب والتحليل وهذه الخاصية تحقق تأثيراتها النفسية في التمثيلات النبوية التي جاءت لخدمة الرسالة المطهرة التي غيرت الإنسان بتغيير أعماقه وتبديل طبائعه بطباع الفطرة وأخلاق النبوة وكانت خاصية التضاد والجمع بين المختلفات أداة نبوية في تقريب الإفهام والتأثير على المتلقين ويحقق الإمام عبد القاهر هذه القضية قائلا:"وأحضر شاهدا لك على هذا: أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض فإن التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة أو خاصية مقصورة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من السامعين ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس"[2]

ومهما كانت الصورة التمثيلية بديعة بعقد الصلة بين المتنافرين أو إيجاد العلاقة بين مختلفين فإن رونقها وجمالها لا يقف هنا بل يمتد إلى مدى تأثيرها، لذلك فإن فضل التمثيل، أن يزيدنا إحساسا بالصورة الصادقة المؤثرة في النفس كما أنه وسيلة إلى نقل أحاسيس تمزج الصورة بالعاطفة في ذكاء كبير، "والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بشر من البشر، له قلبه ووجدانه، يحب كما يحب البشر، ويكره كما يكره البشر، ولكن حبه وبغضه مرتبط بالله فحبه له، وبغضه له عز وجل وكان عليه الصلاة والسلام يرضى فيتحدث في الرضا، ويغضب فيحدث في الغضب ولسانه في كلا الأمرين منوط بالحق، وهذه الأحوال أمهات لما ينشأ حولها من صفات نفسية هي سر الحياة في بيانه المبين"[3]

---

[1] سورة: فاطر- الآية 28.

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة ص 244-245.

[3] عز الدين علي السيد- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص 261.

وقد رأى البلاغيون" أن قدرة التشبيه وقابليته على التأثير في النفس وإحداث الاستجابة المناسبة عنده، إنما تتوقف على مدى الغرابة والابتكار في التقاط وجه الشبه، وذلك لأن المباعدة متى كانت أتم كان التشبيه أغرب، وكان إعجاب النفس بذلك التشبيه أكثر"[1]

وإن الخلق والإبداع يعني الإلتفات إلى وجوه من الشبه خفية يدق المسلك إليها لا يلتقطها إلا من أوتي حسا مرهفا، ويقظة عقلية واعية فيتجنب منها ما يمكنه من إعادة تنسيق عناصر الصورة، وفق حالته النفسية، فالتشبيه القائم على الابتكار والإبداع في انتزاع وجه الشبه، يكون ذا تأثير كبير على النفس لأنه يفيد النفس زيادة معرفة لم تكن معروفة لها من قبل ولأن النفس تشعر باللذة تجاه هذه المعرفة الجديدة" [2]،فتأثير التقابل والتضاد في التمثيل النبوي كان له دوره الفاعل والإيجابي في الإقناع والإمتاع.

**توظيف الترغيب والترهيب** : التمثيل النبوي قد حقق الجدة والإبتكار وأوصل العواطف الحية إلى المتلقي الراغب في فهم المعاني و استكناه الأفكار، فهذه المرأة السبية التي أضاعت ولدها بسبب ويلات الحرب... وكلما رأت ولدا أسرعت نحوه تطفي لوعتها وتلقمه ثديها، تخفف من ألم احتقان اللبن، وتسلي نفسها بتذكر وليدها، وبينما هي كذلك وجدت ابنها فضمته إليها وألصقته بصدرها وأرضعته في هذه اللحظة يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: " أترون هذه طارحة ولدها في النار" قلنا: لا وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: " لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[3]

" فإن هذا الكشف عن عواطفها الملتهبة وتعلقها بوحيدها يساعد في بيان رحمتها به ومع ذلك فإن الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[4]

---

[1] يوسف أبو العدوس- التشبيه والاستعارة- منظور مستأنف ص 104.

[2] المرجع نفسه ص 104.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم5999 ص709.

[4] محمد الصباغ- التصوير الفني في الحديث النبوي ص 573.

ومن براعة استخدام التحليل النفسي ما حدث به المقداد ابن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون فيهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما" [1]

" ولقد اعتمدت الصورة في هذا الحديث على التحليل النفسي الدقيق فالشمس بحرها الفظيع وخاصة في الصحراء المهلكة ينفر الناس منها جميعا ويبتعدون عنها، فكيف بها إذا دنت منهم وزاد حر لهيبها حتى كاد يحرق البشر، إنها صورة مخيفة تثير الاضطراب والوجل في النفس وتجعل الإنسان يتوقى هذا العذاب ما وسعه الجهد"[2]

وفي هذين الحديثين استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم العواطف الإنسانية التي لا يمكن أن ينكرها عاقل فالأمومة ومشاعرها الصادقة تتغلغل في وجدان الأم وروحها فتشربها لوليدها حنانا ورأفة وعناية وتحنانا، والله الرحمن الرحيم، أرحم بنا من كل شعور هذه الأم الرؤوم، فكيف بهذا التمثيل البليغ الفائق التأصل لا تتحرك أفئدة المستمع ولا تترقرق عيناه بدموع المحبة لله تعالى فيتجذر في قلبه الإيمان ويتسع صدره للتوغل في فضاءات الخشوع والحب الإلهي.وكذا هذا الحر حر جهنم عذاب اليوم الحق فكل بعمله وكل بما قدمت يداه، والناس حين ذاك درجات في تلقي العذاب (وهنا عذاب بالشمس ولفح لهيبها) فكيف لمن ينصت إلى هذا التمثيل النبوي أن يكون خالي القلب إلا إذا كان ذا قلب حجر، هو شعور يشملنا بالوجل والرهبة والخوف المسيطر من أثر ما يمكن أن تكون عليه حالنا مع هذه الشمس المحرقة المتدنية إلى أجسادنا الضعيفة وإنما قوتنا فقط بما أسلفنا من عمل صالح إذن هو الاضطراب النفسي والرهبة المخيفة الناتجة عن تصديق و تخييل " وهذا التخييل يثير انفعالا نفسيا لدى المتلقي،... ويتولد التأثير النفسي عن التصديق، وتحريك النفس وإثارتها قد يتولد عن التصديق، كما يتولد عن التخييل" [3] فإذا كانت محاكاة الشيء بغيره

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفةنعيمها وأهلها،والحديث برقم2464 ،ص1230-1231 وفي مجازات الشريف الرضي ص 239.

[2] محمد الصباغ- التصوير الفني في الحديث النبوي ص 575.

[3] شفيع السيد- فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة 2006 ص 253.

تحرك النفس وهو كاذب، فلا عجب أن تكون صفة الشيء بغيره تحرك النفس وهو صادق، بل ذلك أوجب"[1]

ويردف ابن سينا في هذا السياق متحدثا عن أثر التصديق والتخييل فيقول: " التخييل إذعان، والتصديق إذعان، لكن التخييل إذعان للتعجب والإلتذاذ بنفس القول، والتصديق إذعان بقبول أن الشيء على ما فيه فالتخييل يفعله القول والتصديق يفعله القول بما المقول فيه عليه أي يلتفت فيه إلى جانب حال المقول فيه"[2]

وقد وظف عليه الصلاة والسلام هاتين الخاصيتين في الحديثين الآنفي الذكر، وذلك باستعمال آلية التصديق من خلال صورة المرأة المضطربة لفقد وليدها في الحرب ثم كيف كان اللقاء صورة حية على حقيقتها البليغة بين أم رؤوم وفلذة كبدها، لينقل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التصديق إلى تخييل جميل سام يرقى بالمستمع والمتلقي إلى أفق أرحب وعلاقة أسمق، علاقة العبد بربه الرحيم وبينما في الحديث الآخر انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم من التخييل مباشرة لأن عذاب يوم القيامة يعتمد الغيبية التي أخبر بها الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولكن المؤمن يصل إلى التصديق بها، فترتفع أحاسيسه بمراقبة الله له، فيحسن العمل ليبتعد عن شر هذا العقاب الوارد في الحديث، فهنا أجد هذه العلاقة الجميلة في تصوير النبي صلى الله عليه وسلم بالانتقال من التصديق إلى التخييل أو من التخييل إلى التصديق ماثلة لقدرته البيانية في التمثيل المؤثر ذي الوقع القوي في النفس المدركة وذلك باستعمالاته التشبيهية المتنوعة في تصوير الحسن والقبح، الثواب و العقاب الرحمة والعذاب ومن ثم الجنة وجهنم وفي ذلك كله يوظف عليه الصلاة والسلام ما يتغلغل إلى أعماق النفس ولذلك قد وضع النقاد والبلاغيون قواعدهم البلاغية للحكم على مدى تأثير القول ودقته في التعبير عن المراد، " ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود إمالة النفس

---

[1] المرجع نفسه ص 162.

[2] المرجع نفسه ص 163.

نحوه مما تميل النفس إليه، وأن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما تنفر النفس عنه أيضا..." [1]

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام والتي وردت في قالب التمثيل الداعية إلى استمالة النفس وتحبيبها بترغيبها في الشيء قوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[2].

فهذا التمثيل يشد النفوس المؤمنة لكي تتحد وتتآخى وتقوى بالتعاون والمساعدة لتكون جدارا منيعا في وجه الخطوب والمكاره وكذا تتآلف وتتراحم في وقت المسرات والأفراح وبقدر ما يكون البنيان متقنا فإنه يصمد في أوقات الشدة فكذلك المؤمنون يجب أن يتكاتفوا ليكونوا أقوياء وهنا استمالة نبوية بالغة الترغيب في أن يكون المؤمنون إخوة متحابين متعاونين يشد بعضهم ببعض إيمانا ونصحا ومؤازرة وحضورا ايجابيا، و هذا تمثيل يفيد الحض على معاونه المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر لابد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا أن يكون بعضه يمسك بعضا، وإن لم يكن ذلك انجلت أجزاؤه وخرب بناؤه وكذا المؤمن لا يستقيل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته و مناصرته فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه ومن مقاومه خطوبه، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين ويلحق بالهالكين حيث البوار والخسران المبين.

ومن أمثلة أحاديثه عليه الصلاة والسلام والداعية إلى ما هو ثواب وخير قوله: " مثل الذي يعجل بالرواح إلى الجمعة كمثل الذي يهدى البدنة، والذي يليه كمثل الذي يهدى الدجاجة ثم كالبيضة"[3] فهنا ترغيب قوي من الرسول صلى الله عليه وسلم للمصلي أن يبادر بالإستعداد للذهاب إلى الصلاة الجمعة لما له من أجر كبير عند الله تعالى، ومن ثم فإن الثواب سيكون بقدر المبادرة في الذهاب فالمبادر الأول كأنه أهدى بدنة، والموالي كأنه أهدى دجاجة والمتأخر كأنه أهدى بيضة، وبالتالي فإن طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في تحبيب الإسراع إلى صلاة الجمعة

---

[1] حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تقديم وتحقيق :محمد الحبيب أبو الخوجة دار الكتب الشرقية ص 113.

[2] أبو الشيخ الأصبهاني- الأمثال في الحديث النبوي رقم الحديث 300 ص 351.

[3] المرجع السابق ،الحديث برقم 312 ص 365.

بمحبة يقابلها الأجر الكبير عند الله تعالى والنفس الإنسانية مجبولة على حب الأجر الكبير المقابل المادي الملموس لذلك فقد وظف عليه الصلاة والسلام (البدنة والدجاجة ثم البيضة) ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام والتي ينفرنا فيها من أمور تأباها النفس المؤمنة وتفر منها لكراهتها على قلوبها أو عقولها أو أجسامها أو على كلها.

قوله صلى الله عليه وسلم :" إن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل" [1] وفي هذا تنفير من سوء الأخلاق لأنه يفسد العمل الصالح ويذهب بقيمته وقابل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا السلوك بجانب حسي مجرب وهو العسل الذي يفسد ولا يحتفظ بقيمته الغذائية والصحية حين يخلط بالخل وفي هذا التوظيف التمثيلي النبوي تقريب وإيضاح للفكرة الأولى والمتمثلة في تزاوج سوء الخلق مع العمل الصالح ويقابله التركيب المتمثل في العسل مع الخل.

وهنا تنفير من التحلي بالأخلاق السيئة وضرورة أن يتزاوج العمل الصالح مع الخلق الحسن مما يجب أن يترك العسل الخالص نقيا دون شوائب لكي يكون له تأثيره الصحي المرجو.

ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم ذات الأثر التربوي الذي يدعو المتلقي إلى الابتعاد عن مثل هذا السلوك الممقوت قوله عليه الصلاة والسلام : " ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالعائد في قيئه"[2] وروى الإمام مسلم بسنده أن عمر بن الخطاب قال: حملت علي فرس عتيق في سبيل الله فأضاعه صاحبه فظننت أنه بائعه برخص فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: " لا تبتعه ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه"[3]

وفي رواية: " لا تشتره وإن أعطيته بدرهم فإن مثل العائد في صدقته كمثل العائد في قيئه"[4]

وفي رواية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله"[5]

---

[1] المرجع نفسه ،رقم الحديث: 284 ص 333.

[2] المرجع نفسه ، الحديث برقم 211 ص 250.

[3] صحيح مسلم- بشرح النووي ج11 ص 62.

[4] المرجع نفسه ،ج11،ص63.

[5] المرجع نفسه،ج11ص64.

إنها صورة تبعث على النفور والترهيب من مثل هذا الذي يعود في هبته أي يمنح ثم يمنع الهبة وهو نوع من أنواع التراجع عن العطية فمثله صلى الله عليه وسلم بالعائد في قيئه وهو سلوك مقزز للنفس ويدفع إلى الغثيان والنفور من إتيان هذا العمل أو الاتصاف بهذه الصفة وقد برع عليه الصلاة والسلام في إعطاء صورة مؤثرة في النفس بالترهيب من هذا الفعل والترغيب من جهة أخرى في ضرورة عدم الرجوع عن الهبة إذا لم يمنع من ذلك أي مانع شرعي.

فالغرض من هذا التمثيل النبوي تقبيح صورة ذلك الفعل أي " كما يقبح أن يقيء ثم يأكل كذلك يقبح أن يتصدق بشيء ثم يجره إلى نفسه بوجه من الوجوه"[1]

فالرسول صلى الله عليه وسلم هنا يدعونا إلى ما هو خير لنا... وهو الإبتعاد أو التفكير في الرجوع في الهبة أو الصدقة بأي صورة من الصور ويرشدنا إلى الترفع عن كل خلق لا يليق بالمسلم.عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا يحل لأحد أن يعطى عطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده"[2]

يتضح من خلال هذه النماذج من التمثيل النبوي أن " وظيفة التمثيل أرقى من التشبيه الصريح وذلك لتأثيره من الناحية النفسية والذهنية وذلك لاستناده إلى ركائز أهمها: تقوية المعنى وتوكيده في النفس،والطرافة والغرابة عن طريق الجمع بين العناصر المختلفة الأجناس واجتلابها من غير مظنتها، والميل إلى التجسيم والتشخيص والرمز، وإحداث لذة عقلية لدى المتلقي تؤكد في نفسه لذة عاطفية نتيجة كون الصورة البلاغية تحرك النفوس، وتدعو القلوب إليها. [3]

وقد فطن عبد القاهر للتمثيل في التشبيهات، وهو تمثيل المعاني المعقولة محسوسة حية كي تؤدي وظيفتها في تحريك النفس، وتوضيح المعنى بعد نقله إلى العيان حيا وهذا طبعا هو دور الصورة في الأدب، " وإن أنس النفوس أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكنى...

---

[1] عمده القارئ شرح صحيح البخاري ج7 ص 246.

[6] صحيح الترمذي ج5 ص 301

[1] أحمد علي دهمان- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجا وتطبيقا) ص 259.

نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والإستحكام [1] كما قال صلى الله عليه وسلم: " ليس الخبر كالمعاينة... " [2]، فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس أعني من جهة الاستحكام والقوة... ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر و الروية فهو إذا أمس بها رحما وأقوى لديها ذمما..." [3]

ويكمن جمال التصوير البلاغي في التمثيل بإخراجه التركيب ومعناه من خفي إلى جلي فيقترن المعنوي بالحسي ويقدم المعنى أمام الأعين و يمثل في الأذهان مما ينتج عن ذلك متعة حية نابضة فهذه الخاصية " دقة بالغة في إدراك الحقائق الأدبية، بل الحقائق النفسية إذ تنبه إلى أن الإنسان يتمثل الحسيات بأقوى مما يتمثل العقليات لتقدمها في مدركاته ولشدة ألف النفس لها، حتى لتصبح كأنها عشيرة أو صديقة"[4]

ويحمل النقاد والبلاغيون المحدثون الحديث عن طبقات التشبيه من حيث المعنى وانعقاد الشبه بين الطرفين إذ يقول الدكتور محمد رجب البيومي:" لقد أتعب البلاغيون أنفسهم في تحليل الصور البيانية، وجنح بهم حب الاستقراء إلى تفصيلات مختلفة عن التشبيه الحسي والعقلي والخيالي والمفرد والمركب والمتعدد وجاء النقد المعاصر ليقتضب كثيرا من ذلك مرجعا حقيقة التشبيه الجيد إلى إدراك ما بين الطرفين من صفة صادقة تؤثر في النفس"[5]

ومن ثم فإن المفهوم البلاغي الأكثر جدارة بالدراسة في إطار التشبيه عامة والتمثيل خاصة هو نقل الإحساس إلى المتلقي لينفعل به نفسيا ويتأثر وجدانيا لذلك قال العقاد في نقد شوقي: "اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها

---

[2] المرجع السابق ،ص259.

[3] أبو الشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي، الحديث رقم 05 ص36.

[3] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة ص 137-138.

[4] شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ، ص 198.

[5] محمد بركات حمدي أبو علي- البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ص 166.

وألوانها، وانه ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه؟ وإنما مزيته أن يقول لك ما هو؟ ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به، وليس هم الناس أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا وان يودع أحسهم وأطبعهم في نفس إخوانه زبدة ما رآه وما سمعه وخلاصة ما استطابه أو كرهه... فالتشبيه هو أن تطبع في وجدان سامعه وفكره صورة واضحة مما انطبع في وجدان نفسك"[1]

ولقد كانت ولازالت إلى الأبد أحاديث الحبيب المصطفى مما ينطبع في الفكر والوجدان ويتغلغل إلى أعماق القلب مما يترجم في تطبيقات الجوارح المذعنة لأوامر النبي محمد عليه الصلاة والسلام لأن تمثيلاته ألصق ما تكون بالفطرة الداعية إلى كل ما هو جميل وسام وعريق، فالذوق الروحاني والإحساس النفسي من أهم ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني عمده البلاغيين والنقاد حيث قال:" المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا" [2] .

لذلك فإن غنى التمثيل يرتبط بمدى الأثر الذي يتركه والمشاعر والأحاسيس التي يولدها لقول ابن الأثير:" وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير منه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذاك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير منها، وهذا لا نزاع فيه"[3]

لذلك نستنتج أن طبيعة الصورة المثبتة في المشبه به هي التي تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله تماما وعلى أساس طبيعة هذا التمثيل ننظر إليه فنستحسنه أو نستقبحه أو نحكم له بقوة

---

[1] المرجع نفسه ص 166-167.

[2] عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ص 54.

[3] ابن الأثير- المثل السائر ،ج2 ص 99.

الدلالة على الشيء ومن ثم بلاغته المؤثرة في نفس المتلقي،فيكون الترغيب أو الترهيب ذا جدوى وفعالية.

**ثانيا: الجماليات البلاغية للتمثيل النبوي:**

**تمهيد:**تجلت عناية الأقدمين بالتمثيل وتقديرهم لدوره الدلالي والجمالي، وأبرز مهمة له هي تأنيس النفس،وإخراج المعنى من خفي إلى جلي،وقد" توقف البلاغيون أمام موضوعات البيان وقفات، يشرحون وفق أجتهادهم سر الجمال فيها،فالتشبيه جماله في التقريب والتوضيح والتفسير،أما الإستعارة فهي التأثير،وعن الكناية،قالوا:إن جمالها في أنها تجيء بالحجة ومعها دليلها..." [1] وسأتناول من الجماليات البلاغية زوايا معينة أهدف من خلالها إلى إبراز البلاغة النبوية وفيض جمالها بموافقة التمثيل ومطابقته مقتضى الحال،وفق ماتتطلبه الظروف التي قيل فيها الحديث،وكذا التلاؤم بين طرفي الصورة التشبيهية مما يعطي للتمثيل قوة وتأثيرا،إلى جانب الوسائل التوضيحية التي استعملها صلى الله عليه وسلم كالرسم والمناسبة بين الفعل وعقابه أو ثوابه، وتصوير المعنويات المجردة بالمحسوسات المشاهدة وفي كل هذه التوظيفات النبوية اللمسة الفنية والجمالية العلوية المتفردة.

**أ-مطابقة التمثيلات لمقتضى الحال و المقام:**

يكاد يجمع الدارسون للبيان العربي أن مقولة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته" هي هيكل البلاغة العربية بعلومها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، "وإن مطابقة الكلام لمقتضى الحال يشمل مباحث البلاغة كلها و تتبع خواص تراكيب الكلام لا تخص نوعا واحدا من أقسام البلاغة، وإن الإستحسان و الاستهجان ينطبق على موضوعات البلاغة كلها "[2]

إذ أن مطابقة التشبيهات لمقتضى الحال والمقام هي الفيصل في الحكم ببلاغة الكلام من عدمه لأن المقام هو الذي يستدعي تحديد نوعية الأسلوب بين أن يكون خبريا أو إنشائيا وكذا يستوجب اختيار نوع الصورة الممثل بها وتراوحها بين أن تكون مفردة أو مركبة، مفزعة أو هادئة مرغبة أو منفرة وإلى غير ذلك من الأمور التي تخضع لأحوال المخاطبين ومقاماتهم ونفسياتهم وكذا نفسية الأديب وملابسات حديثة والظروف المحيطة به ذلك لأن " المقام التخاطبي يعني حضور

---

[1] مصطفى الصاوي الجويني،البلاغة العربية(تأصيل وتجديد)،منشأة المعارف الإسكندرية،ص130.

[2] سعد عبد العزيز مصلوح ،في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية ، عالم الكتب ، القاهرة الطبعة الأولى 2006، ص36.

متكلم ينتمي إلى موقع اجتماعي وسياق تاريخي وينشد مقصدا محددا وعبر عنه بفعل كلامي ينطلق من إيديولوجيا متميزة، كما يعني حضور متلق ينتمي- كذلك- إلى موقع اجتماعي وسياق تاريخي ويتوجب عليه نوع من رد الفعل الكاشف عن فهم خاص للكلام ومحاولة تأويلية وصولا إلى إدراك المقصود محكوما في ذلك كله أيضا- بإيديولوجيا خاصة ومتميزة"[1]

ولذلك فإن النصوص الحديثية المتضمنة تشبيهات تمثيلية صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقع اجتماعية متعددة وفي سياق تاريخي محدد وهدفه التبليغي للرسالة الإلهية يعطيه تلك الإيديولوجيا المتميزة عن كل التعبيرات لأن الطاقة الروحية هي التي تتغلغل في المتلقي للدعوة والخطاب الديني الذي أفرزته الحيثيات الاجتماعية والتاريخية المحددة لنوعية الخطاب النبوي الذي تميز من بين ما تميز به من مطابقته لمقتضى الحال والمقام إذ أن "الموقف أو الحال هو الذي يبنى عليه الخطاب وهو الذي يبين وضع السامع الراهن وما يعرفه وما هو في حاجة إلى أن يعرفه،ويأخذ المتكلم بعين الإعتبار حاجة السامع (مقتضى الحال ) الذي يتوجه بالكلام إليه في الموقف الكلامي الراهن ليعلمه بكلامه شيئا جديدا لا يعلمه"[2]

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" لله أفرح بتوبة العبد من فرح رجل أضل راحلته في مفازة مهلكة عليها زاده وحمولته، فهو يضرب يمينا وشمالا في طلبها حتى أيس فيها وأشرف على الهلكة فقال في نفسه: أرجع إلى حيث افتقدته فأموت هناك، فرجع فوجد بعيره عليه زاده وحمولته، فجعل يهلك من الفرح، فيقول لله تعالى: أنت عبدي وأنا ربك ثلاثا،

قالوا: يا رسول الله، هل بهذا فرحا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده، لله أفرح بتوبة العبد من هذا ببعيره" [3] فهذا الحديث النبوي الشريف تضمن تمثيلا بديعا في تصويره لحال الإنسان العبد الضعيف المفتقد إلى رحمة الله فهو الذي يهديه من ضلاله فإذا

---

[1] صلاح رزق- مفهوم الحال والمقتضى في ضوء نظريات الخطاب والتلقي- دورية المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي- جامعة عين شمس- القاهرة 2006 ص 55.

[2] عمار ساسي ، المد خل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، عالم الكتب الحديث إربد الأردن ، الطبعة الأولى 2007 ص186.

[3] سنن ابن ماجة برقم 4239،كتاب الزهد،باب ذكر التوبة،وفي مسند أحمد برقم: 11364،كتاب :باقي مسند المكثرين.وفي كتاب الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي،ص60.

ما فكر في توبة نصوح وعاد إلى الله تائبا منيبا باكيا معترفا بذنوبه فإن الله المطلع على السرائر الذي **«يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»** [1] .

يفرح بهذا الرجوع الطاهر، وهذه العودة المضيئة هذا المعنى العلوي والروحاني المرتبط بعلاقة وضيئة بين الله وعباده مثل لها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين من ضلت منه راحلته (بعيره) في سفر بعيد وفي فلاة أو مفازة مهلكة لا ماء له ولا زاد فوقع المسافر المحتار في اضطراب شديد ويئس من إيجاد ضالته وكاد يهلك من أثر الجوع والعطش ثم رواده أمل حثه على الرجوع إلى المكان حيث أضاع بعيره فوجد ما كان يطلب فاعثرته الدهشة مع فرح شديد أفقده صوابه وتعثرت لديه العبارات بدل أن يقول: أنت ربي وأنا عبدك،قال:أنت عبدي وأنا ربك.

وهو خطأ أو زلة لسان نتجت عن حالة مضطربة من إشراف على الهلاك ثم فرح النجاة والسلامة « **وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا»** [2] .

ولكن ما ارتبط بموافقة الكلام لمقتضى الحال والمقام هو هذا السرد القصصي الممتع والمفيد الذي ساقه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لسامعيه للوصول إلى نتيجة تقبلها العقول المتبصرة وتذعن لها القلوب المؤمنة وهي :" والذي نفسي بيده، لله أفرح بتوبة العبد من هذا ببعيره" وهو الجانب الإيماني الذي يتوافق مع مقتضى تبليغ الرسالة وبمطابقة كلامه صلى الله عليه وسلم لمقتضى الحال والمقام حيث تشرئب الأفئدة نحو هذا الدين الجديد الذي يدعو للإيمان بإله يحب عباده ويطلب رجوعهم إليه مهما أذنبوا وإنما عليهم بالاستغفار والعودة لأن هناك النجاة " وبدء شأن المؤمن، فرح الله به، وحبه له، من هاهنا خرج وظهر أمره في البدء، فهذا يسر الله فيما بينه وبين عبده، وضعه في باطن معرفته، فهو يحبه ويخافه، ويرجوه ويخشاه،... فالخوف أن تخافه في عظمته، والرجاء أن ترجوه من رحمته والخشية أن تخشاه من مهابته، والحب هو أحبك فأعطاك من حبه لك حتى أحببته... والذي وضع فيك من الحب سر منظوم من نور المعرفة ونور التوحيد..." [3]

---

[1] سورة: غافر الآية 19.

[2] سورة آل عمران الآية: 103.

[3] الحكيم الترمذي- الأمثال من الكتاب والسنة ص 60-61.

فهذه المطابقة بين الكلام ومقتضاه "يحسن بها موقع التخييل من النفس،بأن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام"[1] .

كما أن "الأسرار المعتبرة في البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وأسرارها الأمور التي يقتضيها الحال كالتأكيد عند الإنكار وتركه عند عدمه وغير ذلك" [4] و هذا من سمات البلاغة النبوية ومن أسرار تبليغه الرسالة الذي أوكل بها، وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم لتأكيد كلامه وإيصال مضمونه إلى متلقيه أسلوب القسم بقوله : "والذي نفسي بيده" وتأكيده بلام الإبتداء التي أفادت التوكيد وكذا توظيف فعل التفضيل: أفرح: المعبر عن فرحة الله بتوبة عبده.

وهذا ما يتكاتف لمطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب والمقام التربوي والتعليمي الذي يقفه صلى الله عليه وسلم وهو يريد إيصال فكرة وهي فرحة الله عز وجل بتوبة عباده، مما يدعو إلى تحبيب العودة إلى الله لأنه هو التواب الرحيم،"ذلك لأن المقام أساس في الكلام، ومن لا يعرف المقام لا يحسن المقال، و كلما تعددت المقامات تعددت المقالات و تنوعت و المقال معلوق بالمقام، ولا عبرة ولا دلالة للزخرفة اللفظية في عدم تناسقها والمقام الذي شكلت فيه ...وإن بيان مدار حسن الكلام أو قبحه قائم على مقتضى الحال،وأنه لما كانت مقتضيات الأحوال عديدة و مختلفة ومتفاوتة وجب العلم والدراية بها حتى يكون الكلام حسنا وفق مقامه" [2]

ومن تمثيلاته النبوية المطابقة لمقتضى الحال والمقام حاثا مستمعيه وكل أتباعه إلى الحرص على تعاهد القرآن بالتلاوة والاستذكار لكي لا ينسى ويبقى محفوظا في الصدور قوله صلى الله عليه وسلم :" تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها" [3]

---

[1] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء تقديم وتحقيق:محمد الحبيب ابن الخوجة ص90.

[2] سعد التفتازاني ، شروح التلخيص ، دار الهادي بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1412ه 1992م ، ج1 ، ص11.

[3] عمار ساسي ، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، عالم الكتب الحديث إربد الأردن الطبعة الأولى 2007ص182.

[4] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده برقم5033 ص 611وأخرجه مسلم ج5 ص 76-77.

إن التأدب مع القرآن في استعمال الألفاظ التي تستعمل في سواه من غير حرج، فلا يليق أن يقول المرء نسيت بل نسيت كما أن الأمر بتعهد القرآن لأنه يسرع في التفلت من الصدور ولابد للحافظ من استذكاره وتعهده بالتلاوة، وإلا تقصى منه فهو أشد تفلتا من الإبل. [1]

" وإنما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بالإبل دون غيرها من الخيل والحمير والبغال، واذ كانت إذا لم تربط ذهبت وشردت لما بين القرآن والإبل من التناسب ومن ذلك أن الإبل تنقاد مع الضعيف والقوي، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، مع شدة قوتها وعظم خلقها، والقرآن مع علو قدره وجلالة أمره وعجز الخلق على الإتيان بمثله ميسر منقاد للضعيف والقوي، الصغير والكبير، والذكر والأنثى" [2] ومن ذلك أن الإبل تحمل الثقل والقرآن يحمل أثقال وأوزار المذنبين فكل حرف منه بعشر حسنات، وكل حسنة تكفر سيئة فحسن هنا هذا الربط بين الإبل والقرآن في أن كليهما يساعد الإنسان عموما والمؤمن القارئ للقرآن والمتعهد له بالحط من السيئات والذنوب وكذا الإعانة على مشاق الحياة، كما أن الإبل آنذاك يستعان بها لتحمل الذين يؤمون البيت الحرام وحمل أثقالهم حيث قال تعالى: «**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ** » [3] . وبالمقابل فإن القرآن الكريم بتعاهد المؤمن له فإنه يناجي ربه فيحصل القرب بالتلاوة والتدبر له بعد البعد الذي يؤدي إلى اقتراف الذنوب ومن ثم تفلت القرآن من الصدور، وهنا نجد هذا الإعلاء من شأن القرآن وكذا الإبل التي ضرب الله بها المثل ودعا إلى النظر والتدبر في خلقها بقوله عز وجل: «**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**» [4]

فقد ألبس الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة : تعاهد القرآن والمحافظة على إرشاداته ثوبا بيئيا مأخوذا من الحياة المعيشة وهو ضرورة عقل الإبل وربطها جيدا لكي لا تتفلت " واللغة هي ثوب الفكرة، والأسلوب هو فصال الثوب وطرازه الخاص" [5]

---

[1] محمد الصباغ- التصوير الفني في الحديث النبوي ص 411-412.

[2] المرجع نفسه ص 412.

[3] سورة النحل- الآية 07.

[4] سورة الغاشية- الآية 17.

[5] محمد عبد المطلب- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني- الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان الطبعة الأولى 1995 ص 20.

ومن ثم فإن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بخطابه مستعملا هذه العناصر المؤثرة المأخوذة من واقع الحياة سيكون قوله وحديثه مؤثرا لأنه قد توفرت فيه كل العناصر الأسلوبية المقنعة بما فيها مطابقة كلامه صلى الله عليه وسلم لمقتضى الحال والمقام، والمقام هنا يقتضي هذا التمثيل المؤثر لترسيخ فكرة: تعاهد القرآن لكي لا ينسى ويبقى محفوظا لفظا وتطبيقا سلوكيا، وإنما يكون التأثير البلاغي "بصحة الأفكار و المعلومات، ثم عرضها عرضا واضحا قويا ملائما للمخاطبين، ومن كلام بشر بن المعتمر و من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف و من حقهما أن تصونهما عما يفسدهما أو يهجنهما، ... وكن في ثلاث منازل، فإن أولا الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، و فخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا و قريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت، و المعنى ليس يشرف لأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة و إنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال" [1]، و بالتالي يجب أن يتوفر في الكلام البليغ الصحة اللغوية والمناسبة المعنوية لتكون المطابقة و التأثير في المتلقي وفق ما يقتضيه الموقف من عبارات ذات الصلة بالموضوع المتناول، "وليس من شك في أن البلاغة تبحث في هذه الصلات و تقيم عليها مسألتها الرئيسة وهي كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال "[2]

وإن لخاصية مطابقة الكلام لمقتضى الحال أهمية إذ تقتضي جرأة وشجاعة مع فصاحة وبلاغة وذلك أن يكون المتحدث " رابط الجأش ساكن النفس، لأن الحيرة والدهش يورثان الحبسة والحصر*، وهما سبب الإرتاج و الإجبال *[3]وقد بلغك ما أصاب عثمان بن عفان- رضي الله

---

[1] أحمد الشايب ، الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2006 ، ص28-29.

[2] المرجع السابق ، ص 31.

[3] *الحصر: العي في المنطق. *الإرتاج و الإجبال: يقال: أرتج عليه أي استغلق عليه الكلام، وأجبل الشاعر أي صعب عليه القول،(نقلا عن الصناعتين، ص31).

عنه- أول ما صعد المنبر فارتج عليه، فقال: " إن اللذين كانا قبلي، كانا يعدان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل..." [1]

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأسلمهم بيانا تبين ألفاظه وعباراته نور القرآن وتعاليمه بوضوح الحجة وسلامة اللغة وكذا بجعله لكل مقام مقال فيأتي كلامه مطابقا لمقتضى الحال لأن الغاية الأسمى والهدف المنشود من كلامه عليه الصلاة والسلام هو الإبلاغ أو التبليغ لقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع" اللهم هل بلغت" والتي رددها النبي صلى الله عليه وسلم في أطول خطبه الأخيرة " وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها، لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات، فما كانت حياة النبي كلها بعلمها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام وهو يجود بنفسه: " جلال ربي الرفيع فقد بلغت"، ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها، لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع، والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين كلامه جميعا حتى ما جرى فيه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على مثاله..." [2] وهذا الإبلاغ أو الإبلاغية النبوية من خلال التمثيلات النبوية كانت مطابقة و مناسبة لمقتضى الحال ومقامه.

و المطابقة : وتعني مطابقة النص مع الهدف والمقصد والغرض بما يقابل ذلك أهداف المتفنن وحاجة المتلقي.

و الكلام: وينبغي توفر شروط الكلمة والكلام والمتكلم.

و المقتضى : السبب الداعي أو المناسبة أو الغاية التي دفعت المتفنن إلى التعبير.

الحال:الواقع و المقام الذي يلزم التعبير و التأليف .

---

[1] أبو هلال العسكري- الصناعتين (الكتابة والشعر) ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة الثانية 1409ه 1989م ، ص 31.

[2] عباس محمود العقاد- عبقرية محمد- دار رحاب- الجزائر ص 78.

المناسبة : هي المقصد و شبكة العلاقات التي تربط بين المصطلحات المتقدمة. [1]

ولهذا فإن" فنون التعبير في البلاغة العربية في ناحيتها النظرية علم من العلوم الأدبية،و هنا نذكر أنها من ناحيتها الفنية بحاجة إلى علوم أخرى تعد وسائل لها، ويجب أن يقوم كل منها بواجب أولي في الإنشاء البليغ ثم يتقدم الفن البلاغي بعد ذلك ليتم ما عليه من حسن التعبي ومطابقته لمقتضى الحال وأهم هذه العلوم البلاغية النحو والمنطق " [2] هذه هي " البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، و لم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة لأن ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه..." [3]وفنون التعبير التشبيهي تتلون في النطق و الإنتاج الكلامي حسب الموقف الذي يتطلب صورة جزئية أو أكثر ومما ينبغي ملاحظته وحدة التطبيق البلاغي و التذوق الجمالي و التواصل الحضاري بين الإرث و المعاصرة في الصورة التشبيهية . [4]والتمثيل النبوي راعى في مختلف تعبيراته مقتضى الحال والمقام حسب مايتطلبه الظرف من المخاطب و المتلقي ذلك لأن" المتكلم إذا انحرف عن استعمال موافق للحكم والقواعد،احتاج المستمع إلى تقدير مبدأ التعاون،حتى يتوصل عبر استدلالات متتابعة إلى المقتضى الذي يقصد المتكلم إبلاغه،أما البغية من هذا الخرق، فهي توليد الصور البيانية،وفي ضوء مبدأ التعاون هذا،لا بد من أن يكون المتكلم متعاونا،ليتم التفاعل بين المشاركين في عملية الإتصال،بأن تكون المشاركة على النحو الذي يقتضيه المقام والمقال" [2] وكل أحاديثه عليه الصلاة والسلام تصب في هذا المنحى التبليغي، وكان الرسول الكريم ميسرا متعاونا ليتم التفاعل والإستجابة للرسالة،ومراعيا في كل ذلك الحال والمقام وموظفا ما يناسبها من المقال.

---

[1] محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية و نظرية السياق ، دار وائل للنشر، عمان الأردن،الطبعة الأولى 2003 .ص85.

[2] أحمد الشايب ، الأسلوب ، ص26.

[3] الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 279.

[4] محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية و نظرية السياق، ص 106.

[5] عشتار داود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2005ص29.

**ب.قوة التلاؤم بين طرفي الصورة:**

يتوقف نجاح الأديب على حسن إبراز الصورة المختزنة في ذهنه بعد اختيار الأجود وإثبات العناصر الحية ونفي ما علق بها مما يشوه المنظر ويقبحه، وهذه العملية الإبداعية ترتبط بالخيال الفني والخيال يتوالد مما أختزن في أعماق النفس جراء تجارب الحياة وخبراتها، ويراعي في هذا الخيال أوجه التقارب والتشابه بين المعاني أو المحسوسات وحسن التصوير يجلو المعنى ويزيده إشراقا،ويغلب استخدام مصطلح الصورة عند الارسين والنقاد،"ويبدو هذا المصطلح في أكثر الأحيان بديلا عصريا للتشبيه والإستعارة،... وفي أحيان أخرى يبدو أوسع دائرة منهما ليشمل التعبير بالحقيقة أو المجاز"[1] والصورة المقصودة ضمن هذا التحليل هي الصورة التشبيهية التمثيلية، "و يقوم بناء التشبيه التمثيلي على التصوير الكلي الذي يخاطب مخيلة المتلقي إذ يؤول التشبيه التمثيلي إلى صورة كلية ممتدة، ويؤدي تمثل المتلقي لها إلى إدراكه الغاية التي يعنى السياق بإقرارها في ضمائر القارئين (المتلقين)" [2]

فالصورة المعبرة هي التي تزيد المعاني جمالا فيقرب البعيد ويجلي الغامض فينقل الشعور إلى النفس حيا قويا ومتجددا ولا تبرز هذه السمات إلا بقدر ما يحدث التلاؤم بين طرفي التشبيه التمثيلي وهنا طبعا يكون الطرفان حالتين باعتبار التركيب في التمثيل والربط يكون على قدر الإمتداد والمراد بالامتداد أن الركن التشبيهي لا يكون مفردا بل مركبا إذ يرد التشبيه هنا تشبيها لحالة بحالة [3]

ولقد أراد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن يصور الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون من التعاون والتآزر والتراحم فيما بينهم فقال :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [4]

---

[1] شفيع السيد ،التعبير البياني(رؤية بلاغية نقدية)،دار الفكر العربي، القاهرة،ص26.

[2] طارق سعد شلبي- بلاغة الصورة القرآنية- الجماليات والتجليات ص 39.

[3] المرجع نفسه ص 26.

[4] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم 2586 ،دار ابن حزم الطبعة الأولى 1423،2002م ص.1122.

فالإيمان قوة تنتظم قلوب المؤمنين وتبقى على اتحادهم مما يجعلهم متوادين ومتعاطفين ومتراحمين والوحدة بينهم وحدة حقيقية تغوص في الأعماق والمشاعر، وتبدو على الوجوه والألسنة فيشبههم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد، الذي إن أصيب عضو من أعضائه وإن صغر- بات كل الجسم بما حواه من عقل وروح- ساهرا متألما يعاني الحمى وأنين الألم وتأوهاته. فكما أن هذه حالة الجسد الواحد فيدعونا النبي الكريم نحن المسلمون إلى أن نتكاتف ونتحد في الملمات والخطوب، فإذا ما ألمت مصيبة أو خطب بواحد من الجماعة تداعى لذلك الكل بالمشاركة في الألم والتعاطف والبحث عن إيجاد الحلول للمعضلات، و إن أول ما نلاحظه في هذا التمثيل النبوي قوة التلاؤم بين طرفي الصورة التشبيهية التمثيلية والممثل فيها بين حالة التعاون والتآزر بين المؤمنين والتي يجب أن تكون قلبا وقالبا، كما بين أعضاء الجسم الواحد مما يوحي بفكرة راقية تمثلها النبي الكريم صلى الله عليه وأراد أن يطبقها أفراد المجتمع المسلم بإيمانهم وفي مختلف المواقف الحياتية التي يواجهونها في السلم والحرب و" ألطف اللطف في التعبير وأدق الدقة ما يحمله لفظ " تداعى" من عجب المعنى، فهو يخيل إليك أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة يدعو بعضها بعضا، وتناديه لإسعاف صاحبها أو مواساته ثم يجعل تناديها ليس الصراخ بلا مغيث وإنما هو الجواب العلمي المسعف والمساعد وهو السهر والحمى، فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يقرر حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين ببيان اللوازم البينة لوجوده، فضرب لهم مثلا يصور لهم صورة أعضاء الجسد في الجسد، إذا ألم أحدهما لم ينفرد بالألم دون سائرها فيسهر الجميع لسهره ويحم الجميع لحماه"[1]

وهكذا فإن المجتمع الإسلامي يتأثر جميعه بضر أصاب أحد أفراده، لأنهم كمثل جسد واحد مما يدل على حياة القلوب والضمائر، وإن قوة التلاؤم بين طرفي الصورة في هذا الحديث النبوي تتمثل في وجه الشبه المنتزع من متعدد وهذا يمثل عدة مظاهر حياتية، نصادفها ونتفاعل معها وندرك أهمية كل ما يحيط بنا وإن صغر الشئ أو اعتقدنا قلة قيمته في وقت من الأوقات، كما

[1] فالح أحمد الحمداني- الصورة البيانية في الحديث النبوي ص 165.

نستشف من معاني هذا الحديث النبوي الدقة من جهة والشمولية من جهة أخرى، الدقة من حيث التركيز على أهمية الفرد في الأمة وأهمية كل الأعضاء في الجسم، ولكن الهدف هو إبراز ضرورة الإتحاد وإن كان يمكن تطبيق هذه الفكرة في وجه الشبه من خلال قولنا حاجة الكل إلى الجزء، وما هذا الكل إلا أجزاء تراصت لتكوينه فتحقق بذلك الإندماج والاتحاد المادي والروحي،"فكان وجه الشبه وكأنه محور الصورة"[1]

فيكون بذلك هذا التلاؤم بين طرفي الصورة ممثلا في الربط القوي بين شيئين والتأثر عند فقد أحد أجزاء الشيء مما يؤثر على الإستمرارية وقوة الحياة.

والجدير بالذكر أن التشبيهات التمثيلية في الأحاديث النبوية يغلب عليها التركيب، ويأتي هذا التركيب حيث تأتي الصورة مفصلة ذات أجزاء، وهذا التفصيل لأجزاء الصورة يتوافق مع طبيعة النفس التي تجنح دائما إلى التطلع إلى خبايا الأشياء ودقائقها، وقد أشار "القزويني" إلى بلاغة هذه الطريقة في التصوير وطرافتها فقال" والمركب هو ما انتزع وجه الشبه فيه من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث لهما صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد..." [2].

وإن الصورة الناتجة عن التمثيل تتطلب شروطا لنمائها والحكم على حيويتها وتجددها فهذا عبد القاهر الجرجاني يقول : " فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافا في الشكل والهيئة ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب والحذق لمصورها أوجب" [3] وهذا التحليل للصورة عند الجرجاني يكاد يتوافق مع ما قاله بيار ريفيردي (reverdy) خاصة عندما أكد على الأمر التالي وهو " كلما كانت العلاقة بين الحقيقتين المتآلفتين (المتلائمتين) بعيدة وصحيحة اكتسبت الصورة قوة أكبر وقدرة تأثيرية أعمق وشاعرية أبين" [4]

كون التصوير الفني أو الصورة لابسة ثوب التمثيل وسيلة للتبليغ أو الإبلاغ وتعتبر " طريقة جديدة

---

[1] نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي،ص12.

[2] القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي ج4 ص 40.

[3] الجرجاني- أسرار البلاغة – ص 127.

[4] صبحي البستاني- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية- ص 28.

للتعامل مع اللغة، لأنها تحولها عن نهجها الدلالي العادي وتزيد على قدرتها الدلالية خاصية الإيحاء"[1]

وإن المقياس التقليدي في النظر إلى حسن التشبيه، لم يبق هو ذاته في البلاغة الحديثة إذ أن الشروط الأربعة التي يذكرها العسكري للتشبيه الجيد [2]، قد تخطاها الزمن وتخطاها بالتالي الأدب والنقد وإن أخذ بهذه الشروط فلزيادة الحرص على حسن التشبيه وجودته، لذلك فإن " التشبيه كصورة شعرية والنظر إليه يكون من خلال المفهوم كونه يقرب بين حقيقتين مختلفتين، ولا ينظر إليه فقط من خلال طبيعة كل حقيقة، إذا كانت مجردة أو حسية، وإنما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام، وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة بين طرفي التشبيه أن تولد من إيحاءات ومدلولات"[3]

وقد كانت ولازالت الأحاديث النبوية الشريفة ذات أبعاد وإيحاءات ومدلولات ثرية متوالدة بالمعاني المشعة بنور الحكمة والمداوية للنفوس الظمأى إلى رحيق البلاغة الحلو لأنها تحمل المتعة والفائدة في الآن ذاته أو ما يسمى ببلاغة الإقناع والإمتاع، ومن هنا "لا يجوز أن نحكم اليوم على تشبيه ما بالحسن لأنه فقط " أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه" فقد تحرر التشبيه من هذه القوالب الجامدة وأصبح خاضعا في جوهره للتطور الفكري في تقبله واستيعابه للأمور المجردة بأبعادها المختلفة كما أنه اتسع باتساع الاتجاهات والمذاهب الأدبية التي سار في شعابها الأدب الحديث"[4]

ولقد نظر البلاغيون إلى التمثيل بوصفه صورة أو طريقة فنية من طرق الدلالة على المعنى وتتمثل فنيتها في تجسيد المعاني وإبرازها في صور حية لها فعاليتها في إثارة الخيال وجذب المتلقي مما يحقق المتعة الفنية، والدلالة في التمثيل ليست إشارية مجردة أي حسية ومادية بحتة بل هي دلالة

---

[1] المرجع نفسه- ص 31.

[2] أبو هلال العسكري- الصناعتين- ص 240.

[3] صبحي البستاني- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية- ص 115.

[4] المرجع نفسه، ص 116.

تصويرية فنية يمتزج فيها الحسي والمعنوي [1] إذ أن من شروط فاعلية الصور التشبيهية أن تكون ذات معاني قيمية "فإذا ما خلت من المضمون الباني كانت شكلا من غير محتوى، كما قال ابن رشيق (ت456 ه ) في العمدة أنها جسد بلا روح وذلك حين حديثه عن باب اللفظ و المعنى " [2] إذن فإن فنية الصورة التمثيلية في نظر "عبد القاهر" تتمثل في دلالتها على قدرة الشاعر على تخطي الظواهر الحسية والعلاقات المألوفة وفي إدراكه للأشياء، وبعبارة أخرى تتمثل فنية التمثيل في دلالته على الجهد الذي تكبده الشاعر حتى اكتشف علاقات تماثل بين الأشياء والتي تبدو في –ميدان الحس الظاهر– متنافرة لا تماثل بينها ولا تواصل، بل إن منزلة الشاعر لا تتحدد– في نظر عبد القاهر — إلا عن طريق الإحساس بمدى الجهد المبذول في تحصيل الصورة[3].

وهذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " ثم على حسب دقة المسلك إلى ما استخرج من الشبه،ولطف المذهب، وبعد المقصد إلى ما حصل من الوفاق، استحق مدرك ذلك المدح، واستوجب التقدير، واقتضاك العقل أن تنوه بذكره وتقضي بالجنى في نتائج فكره" [4]ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام والتي بدا فيها التصوير متلائما ملاءمة قوية بين طرفي العلاقة التشبيهية: قوله صلى الله عليه وسلم: " الناس كالإبل المائة، هل ترى فيها راحلة ؟..."[5]

وهذا الحديث يعد من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فقد جمع المعاني الكبار في لفظ موجز ومن هنا "اختلف الشارحون في المعنى المراد من هذا البيان النبوي الدال على معرفة تامة بأوصاف الراحلة فقال ابن قتيبة: الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عرفت، قال ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس أحد منهم فضل في النسب بل هم أشباه كالإبل المائة، وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة قال والهاء فيها للمبالغة كما يقال رجل فهامة ونسابة وعلامة...ومعنى الحديث أن الزاهد في الدنيا

---

[1] حسن طبل ،العنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الأولى 1998– ص 140.

[2] محمد بركات حمدي أبو علي ،البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية و نظرية السياق ، ص105.

[3] المرجع نفسه– ص 141.

[4] عبد القاهر الجرجاني– أسرار البلاغة– ص 11–12.

[5] أبو الشيخ الإصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي ،الحديث برقم 139 ص 175.

الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة في الإبل.ويعقب النووي فيقول: هذا كلام الأزهري وهو أجود من كلام ابن قتيبة وأجود منهما قول آخرين: أن معناه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار، سميت راحلة لأنها ترحل أي يحمل عليها الرحل فهي فاعلة بمعنى مفعوله"[1]

وفي هذا الحديث النبوي الشريف نجد هذا التلاؤم بين طرفي الصورة المركبة، فالطرف الأول وهو المشبه وهو الناس ككل ووجود الصالح الزاهد الورع بينهم و الطرف الثاني وهو المشبه به: وهو العثور على راحلة (نجيبة أو نجيب) كاملة الأوصاف صالحة للركوب بين الإبل المائة وهذا الأسلوب التمثيلي الذي اعتمده عليه الصلاة والسلام يعطينا تصويرا للعلاقات الإنسانية والحكم على تصرفات الجادين الحريصين على رضى الله وما يقابلها من كثرة العابثين غير الآبهين بالدار الباقية فمثل هؤلاء الصالحين إلى نسبة اللامبالين بالآخرة كمثل الراحلة المتفردة المتميزة في عدد كبير من الإبل التي يتعسر أن نعثر بينها على نجيبة كاملة الأوصاف صالحة للركوب، وهذا الربط بين الإنسان الصالح والراحلة يتجلى في أن الصالح في أعماله الحياتية يؤسس لحياة باقية فهو يركب راحلا في حياته مهما امتدت إلى أمل وهدف تحذوه للوصول إلى الغاية المنشودة وكذلك الراحلة المستعملة للترحال والتنقل لبلوغ المآرب وقضاء الحاجات بين المدن والأمصار فهذا الربط بين طرفي الصورة أجد فيه جانبا ماديا وهو الإنسان الصالح والراحلة النجيبة من جهة وجانبا تأويليا يرتبط بهذا التعدد في وجه الشبه وخاصة فكرة نسبة الجزء إلى الكل.

ومما تقدم يمكنني أن أقول أن التمثيل في ضوء ما ذهب إليه البلاغيون القدامى على أنه كل تشبيه لا يقوم على المقاربة الحسية بين طرفي الصورة فحسب، وإنما ما كان من التأويل، وهو قائم في الأساس على الإيحاء للمتلقي أن المشبه وهو في الغالب معنى ذهني مجرد، متمثل ومتجسد في المشبه به الذي هو في الغالب موجود حسي وعلى هذا يمكن القول أن التمثيل هو كل صورة

[1] عبد الباري طه سعيد- أثر التشبيه في تصوير المعنى- ص 261.

حسية يبتكر بها الذهن أو يتخيلها للمعاني الذهنية المجردة، أو هو كل ما يتمثله الذهن من صورة حسية يراها أهلا لأن تتجسد بها المعاني الذهنية المجردة وتكون وصفا حسيا صادقا لها [1]

وقد استخدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التمثيل التصويري بالربط المتلائم بين طرفيه وذلك قصد جعله " وسيلة من وسائل الإيضاح التي يتذرع بها المعلم لتقرير دراسته بما لا يدع للتلميذ مجالا للنسيان، ولهذا نجده ظاهرة واسعة الجوانب، بعيدة الغور في تعميق المعاني وتأثيرها في القلوب لأن هذا الأسلوب يجسم المعاني ويعبر عنها بأسلوب تصويري يقربه إلى العقول"[2]

فوظيفة التمثيل البلاغي إذن من حيث التلاؤمية الموجودة بين طرفيه ليس فقط الإيضاح والتبيين وإنما يتعدى مداه إلى خلق أبعاد إيحائية مما يتطلب من القارئ جهدا وتفكيرا وروية ومثابرة، كي يتلمس نقاط الإلتقاء والتشابه بين طرفي الصورة التشبيهية حتى إذا ما وصل إلى بعضها: " كان نيله أحلى وبالميزة أولى وكان موقعه في النفس أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف" [3]

ومن ثم فإن التمثيل" لا يقدم للمتلقي معنى ظاهرا بمقدار ما يفتح أمامه باب التأويل والإيحاء واسعا، يدخل عالمه دون أن يتمكن من بلوغ منتهاه" [4] و إن اقتناص اللمحة الفنية في الصورة مطلب عسير عسر دراسة الإنسان ذاته،ن ولكن الرغبة في ولوج هذا المجال المحفوف بالمتعة الفكرية يهون علينا صعوبة الأمر.

### ج–اتخاذ الرسم الهندسي وسيلة من وسائل تصوير المعاني:

كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام مبدعا في استعمالاته المتنوعة في إيصال الفكرة قصد إثارة الانتباه، وتصوير المعاني المجردة في أشكال محسوسة يتيسر إدراكها وفهمها على المتلقي،ولا

---

[1] فالح حمد أحمد الحمداني– الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف– ص 148–149.

[2] المرجع نفسه– ص 150.

[3] الجرجاني– أسرار البلاغة– ص118.

[4] سليمان البستاني– الصورة الشعرية في الكتابة الفنية– ص 122.

عجب أن أحاديثه عليه السلام مفهومة من عهده وفي كل عهد مما أعطاها صفة الإعجاز النبوي في توظيف اللغة الحية على مر العصور، ومن تلك الوسائل النبوية القيمة: استخدام الرسم المجسم لتوضيح المعاني، حيث كان عليه الصلاة والسلام في هذا اللون الإبداعي يستعمل يده أو عودا في يده، يرسم به على الأرض أشكالا هندسية يرمز بها إلى معان قائمة في ذهنه يريد نقلها إلى المخاطبين لأهداف تبليغيه سامية وبتتبع نوعية التمثيلات التي استخدم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب نجدها تتمحور في أغلبها حول مبتدأ الإنسان ومنتهاه، أي نقطة البداية ونقطة النهاية ثم المراحل الحياتية التي تتوسطهما، وما يواجه الإنسان خلالها من أحداث تحاول النيل منه، أصابته أو أخطأته، ولعل في اختياره صلى الله عليه وسلم عنصر الأرض بترابها وخواصها لمحة فنية رائعة ترمز إلى أصل الإنسان ومنتهاه إذ أنه فيها خلق وإليها يعود لقوله تعالى: **«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً»** [1]

ومن تمثيلاته النبوية المعتمدة على الرسم الهندسي المعبر عن حقيقة الحياة وبدايتها ومنتهاها قوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: " خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج: أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا"[2]

فهذا النبي الكريم الأمي الذي لم يستخدم قلما في رسم هيكل أو صورة للتعبير عن معنى ما، نجده في موقف يرسم لنا بخط أصابعه صورة بيانية توجز النتيجة التي تكون من سعي الإنسان وما يعترضه من أعراض وأجل يحول دون الأمل، وأول ما هدف إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الرسم الهندسي هو الإيجاز كون الأعراض التي تعترض الإنسان في حياته كثيرة

---

[1] سورة طه- الآية 55.

[2] رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الأمل وطوله، وينظر فتح الباري ج 11 ص 235-236 برقم 6417 و6418، و رواه الإمام أحمد في مسنده وأورده الرامهرمزي في كتابه أمثال الحديث بالأرقام: 72-73-74 ص110،109،108.

ووصفها يحتاج إلى تفصيل كما أن آمال المرء التي تتولد في نفسه وتختلج في أعماقه أو يفصح عنها أحيانا متنوعة ومتشعبة وفيها المعقول والمنطقي ومنها الخيال والمستحيل بقدر قوة المخيلة أو ضعفها ومن ثم فإن شرحها أمر يطول، كما أن الأجل الذي يعترض الآمال ويفاجئ الناس في أحوالهم المختلفة لا يغادر الصغير والكبير ولا بين ذلك، لذلك فإن كل تلك الأحوال تتطلب الكلام الكثير فاختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبر عن هذا الكم الهائل من المعاني برسم له حدوده لبلورة الفكرة وايصالها بإحكام إلي ذهن المتلقي.

فمثل الإنسان كمثل النقطة في داخل المربع، ولهذا الإنسان نظرة قوية مدفوعة تريد أن تخترق الواقع وتندفع للنفوذ منه، حيث أن الأمل له من قوة التحطيم والسيطرة ما يتعدى الحدود ويعتدي عليها، وتلك صورة الإنسان وأمله في وسط عمره، ثم نجد في الصورة تمثيلا للأجل بالخط البياني في صورة المربع، وذلك يفيد معنى الإحاطة لأن مولد الإنسان بداية الحصر ونهاية الأجل غلق لهذا الحصر، فالحديث في تصوير الأجل يفيد أن سعي الإنسان محصور ومنته بانتهاء أجله فلا تقديم ولا تأخير لقوله تعالى: «**فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**» [1] .

ورسم الأجل في صورة المربع فيه من الجمال ما فيه،إذ جاء الزمن وهو أمر وهمي- في صورة واقعية تبصرها العيون وترقبها والتدخل في الحكم على الأجل في هذا الرسم القاطع البينة حدوده لمن البلاغة التي تأخذ طريقها إلى القلوب وتنقاد لها النفوس، كما أن الحديث اشتمل كذلك على تصوير الأحداث التي تعترض الإنسان في حياته بالخطوط الصغيرة المتوازنة وإن كانت هذه الأعراض التي تعترض الإنسان في حياته فتنهشه هينة وتتصاغر أمام الأجل بسطوته المفرغة التي تضع نقطة النهاية، وهذه الأحداث أو الأعراض الحياتية القاسية والصعبة في مراحل الحياة وتقلباتها قد تميت الأمل في النفوس الضعيفة ولكن المؤمنة منها تتمسك بخط الأمل وخاصة الأمل في رحمة الله وكرمه وهذا دليل على أن الأمل قوة كبيرة دافعة إلى تحقيق المنشود على المستوى الدنياوي لكن الأرسخ والأدوم على المستوى الآخروي ويمكن أن أجمل كل ذلك بـــ: المربع يمثل الأجل

---

[1] سورة النحل- الآية 61.

بالنسبة للإنسان في هذه اللوحة البيانية، والإنسان يمثل الخط الذي في وسط المربع، والخطوط الصغيرة هي الأعراض والأحداث المعترضة طريق الإنسان فتنهشه وتعيقه والخط الخارج من المربع هو الأمل، ويحاول الإنسان الوصول لتحقيق أمله فيحول دونه الأجل صورة . ولقد تناولت جوانب هذا الرسم لإظهار جزيئات التمثيل، ليس على أنها منفصلة، وإنما ككل مترابط الأجزاء لا يمكن الفصل بينها لأن جميع أجزاء الصورة وحدة متماسكة كون هذا التصوير من قبيل التشبيه التمثيلي الذي ينتزع فيه وجه الشبه من متعدد، والحديث يظهر القيم في كل جانب من جوانبه، لكن الجمال البلاغي يظهر في انضمام كل أجزاء الصورة وتشابكها.

والحديث وإن كان التعبير فيه عن المعنى بالخطوط الرسمية الهندسية وليس بالكلمات أو العبارات البليغة فطريقة الرسم طريقة توضيحية بيانية يؤخذ بها في طرق التعليم الحديثة لما لها من سلطان قاهر في اختراق حواجز العقول لتنفذ إلى كل الأفهام.

وقد صرح ابن حجر العسقلاني في توضيحه لمعنى الخط الممتد في داخل المربع بأن هذا الرسم على سبيل التمثيل أي تقريب المعنى فقال: " هذا الخط هو الإنسان على التمثيل"[1]

ومن خلال هذا الرسم الموضح للمعاني الراقية نجد أن قائد الأمة الإسلامية صلى الله عليه وسلم رسم للدعاة إلى الله خطة حصار الأجل للأماني ومن ثم تكتمل بهذه الخطوط الشريفة لوحة من الفن التجريدي فريدة في تعبيراتها الإيحائية: إن الإنسان الضعيف«**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**» [2].

تغزوه الأحداث العصيبة غزوا فيه إلحاح، عدوى أو سرطان أو حريق أو غرق أو زلق أو سقوط أو اصطدام أو لدغة أو تسمم بطعام أو طلقة تائهة فإذا نجا من كل ذلك كان له الهرم وضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر تأديب وأي تأديب وإن طال عمره اقتص منه بالموت لقوله تعالى: «**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**» [3]

---

[1] ابن حجر العسقلاني- فتح الباري- ج11 ص 238.

[2] سورة النساء- الآية 28.

[3] سورة الجمعة- الآية 08.

لذلك تعددت الأسباب والموت واحد، ويحاصرالموت الأمل الذي يتوهم الإفلات منه حصارا شديدا من مصير محتوم هو الموت وطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم إذن: أمل أبيض وضاء كلما برق، زهت في نظر صاحبه الأموال والحسان والعطور والقصور والمناصب فينسى مع استرسال خياله وطراوة عيشه متطلبات وجوده وواجب رسالته... لكنه لو نظر ببصيرته لعرف أن أمله الوضاء إنما محيط أسود حالك يتيه فيما دونه من الظلمات ما لم ينر شمعة التقوى والاهتداء في قلبه وفكره وهذا الأمل "ترقب جميل لكنه يتنغص وظل جميل لكنه يتقلص ومطامع وراء الأودية والمفاوز وليس هو لما قدر له بمجاوز... وأنفاس قبل ذلك تعد... ورحاله تشد وعاريته ترد والتراب من بعد ينتظر، فإنه ليس عقبى الباقي غير اللحاق بالماضي وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما ثم إلا أمل مكذوب وأجل مكتوب"[1]

و هذا المعنى العميق الذي أورده الرسول الكريم في هذا التمثيل البليغ توافقه الآية الكريمة: «**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**» [2]صورة الحديث يمكن تمثيلها، كما جاءت في كتاب الأمثال للرامهرمزي[3]، وقد أضفت تعيلات توضيحية إلى الرسم وفق مدلول التمثيل النبوي المعبر و الملهم لمتدبره بختلف الرؤى والأفكار السامية ولذلك فإن مخطط الرسم هوكالآتي:

---

[1] محمد أحمد الراشد- الرقائق، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية، ص 110.

[2] سورة الحجر الآية:03.

[3] س الرمهرمزي،أمثال الحديث،ص109.

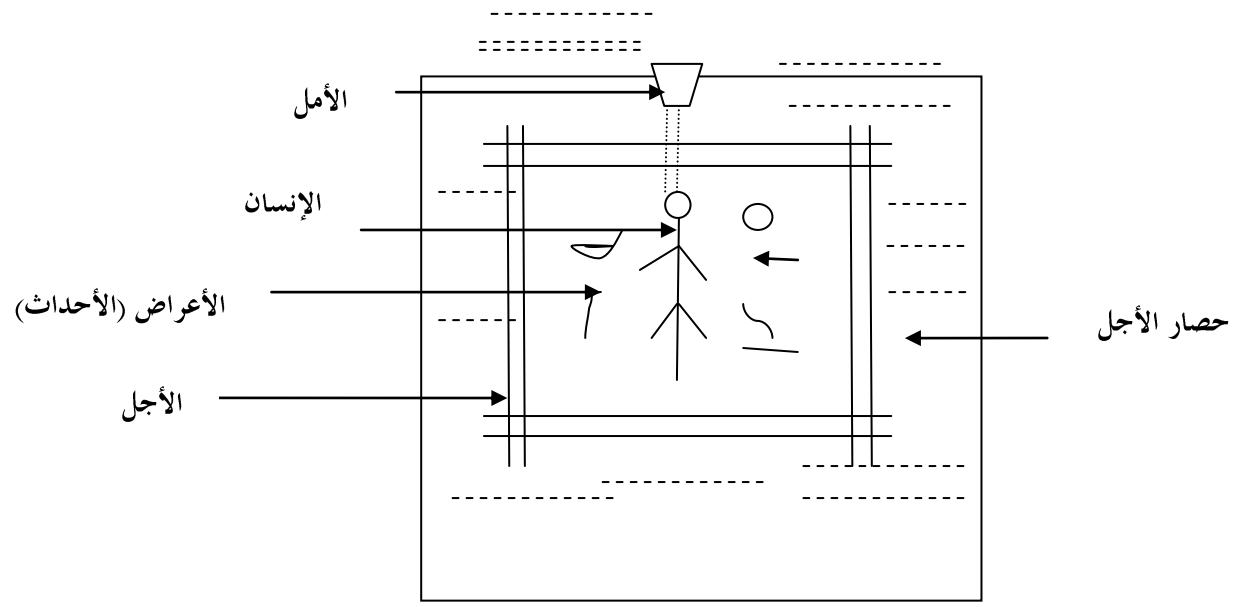


وهذه لوحة حية للفن التجريدي الإسلامي، كما أنها قمة في البلاغة التواصلية بين المخاطب والمتلقي، خاصة إذا كان المخاطب والمبين للفكرة هو سيد الخلق البليغ والمدرك لحقيقة الدنيا والآخرة، وهو المؤيد بوحي السماء، القدرة الإلهية المشعة بنورالحق.

**ملاحظة**: الخطوط الصغيرة متنوعة الأشكال بين ممدد ومتموج وشبه دائري وهذا لاختلاف أعراض الحياة وتعدد أحداثها وتدرج مدى صعوبتها: فمثلا الممدد أمر يسير بالمقارنة مع الدائري أو المتموج الذي يظهر فيه العسر والتعقيد للمعاني التجريدية.

ولشدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ترسيخ هذا الأمر في نفوس المؤمنين تكرر في صورة أخرى تؤدي إلى نفس هذا المعنى منها:

الإشارة باليد ووضعها على الأرض ونقلها فلقد جمع أصابعه فوضعها على الأرض ثم قال: " هذا ابن آدم، ثم رفعها فوضعها قبل ذلك قليلا وقال: هذا أجله، ثم رمى بيده أمامه وقال: وثم أمله"[1]

" وإن هذا التنقل باليد من مكان إلى مكان ليصور قرب الأجل وطول الأمل وبعده وهو وسيلة من وسائل ترسيخ الفكرة واستيعابها في أذهان السامعين"[2]

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده – ج3 ص 123.

[2] لطفي الصباغ- التصوير الفني في الحديث النبوي- ص 532

كما استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الحصى مع الإشارة في التصوير وهذا من تنويع الوسائل في تصوير سعة الأمل وطوله، ومباغتة الأجل للأمل، رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حصاتين إحداهما قريبة والأخرى بعيدة، ثم شرح حقيقتها كما في الحديث الآتي:

عن بريدة قال النبي صلى الله عليه وسلم: " هل تدرون ما مثل هذه وهذه؟ ورمى بحصاتين، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذاك الأمل وهذاك الأجل" [1] والملاحظ أن أسلوب الحوار من الأساليب المجدية كما أن الحوار ذو أثر فعال في جذب الإنتباه وفتح آفاق الأذهان لتتلقى المعاني وتتشربها بيسر وسهولة.

ومن المعاني التي استخدم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الرسم الهندسي لتوضيح الفكرة تعبيره عن الدعوة الإسلامية والدعوات الباطلة المنحرفة عن عبد الله بن مسعود قال:

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال: " هذا سبيل الله مستقيما"

وخط عن يمينه وشماله ثم قال:"هذه السبل ليس منهما سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"[2]، ثم قرأ : **«وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ »** [3]

فالدعوة الإسلامية دين ارتضاه الله لعباده وهو دين الفطرة السوية التي لا انحراف فيها ولا ضلال وقد قال عز و جل: **"اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم"** [4] كما تكفل الله بحفظ هذا الدين بقوله: **«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »** [5] وقد هدانا الله إلى النعمة المهداة وقال عز وجل: " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فالإسلام هو الاستقامة وهو النعمة الأبدية الموصلة إلى خيري الدنيا والآخرة وأما الخطوط التي رسمها عليه الصلاة والسلام عن يمين وشمال الخط المستقيم إنما هي الدعوات وإبعادهم عن الخط المستقيم والطريق القويم وجادة الصواب، فهذه الضلالات تتجاذب الإنسان ذات اليمين وذات الشمال فإذا

---

[1] سنن الترمذي- تحقيق :عبد الرحمن محمد عثمان،دارالفكر بيروت ، والحديث برقم 3031،ج 4 ،ص 229.

[2] رواه أحمد في المسند ج1 ص 465 وفي سنن ابن ماجة ج1 ص 06.

[2] سورة الأنعام- الآية 153.

[3] سورة الفاتحة-الآيتان 06-07.

[4] سورة الحجر- الآية 09.

مال نحوها زاغ به الفكر وزلت قدمه وهوى في غيابات الضلال إذا لم يرجع تائبا متمسكا بالاستقامة النابتة والممدة جذورها في الصراط المستقيم الذي يجب أن يتبع وليس غيره من السبل المفرقة المضللة.

ويمكن أن أجسد هذا المعنى بالرسم التقريبي الآتي:

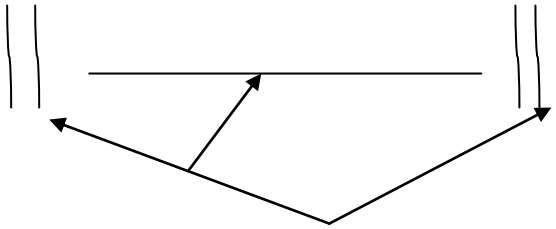

الخط المستقيم: الدين الإسلامي وكتابه القرآن وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه و سلم)

الخطوط المتشعبة غير المستقيمة والملتوية هي: السبل المضللة

فهذا التصوير التمثيلي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم يوضح قدرته البيانية في هذا الربط المتراكب للمعاني وإمكانية رسمها لإيصال معانيها بسهولة ويسر وأخذها ككل متكامل للصورة التشبيهية المتماسكة.

" وما أحسب أن هناك تفسيرا يبسط معنى الآية ويقربها للأذهان يفوق هذا التفسير الموشح بالرسم"[1] والذي جسده الرسول صلى الله عليه وسلم في تعبيره الدقيق باستعمال الخط المستقيم والخطوط التي عن يمينه وشماله.

وهذه الخاصية الأسلوبية التي عبر بها النبي صلى الله عليه وسلم عن الفكرة إنما توضح تلك السمة البلاغية لأحاديثه الشريفة وما البلاغة إلا الإبلاغ والتبليغ وهذه الوسيلة يتمكن من خلالها المتلقي من فهم الفكرة والتعمق في جوانب الصورة وأبعادها مما يمدنا بزخم بلاغي غزير وممتد الجذور ويوضح تعدد وتنوع الأدوات الإبلاغية عند الأديب.

[1] لطفي الصباغ- التصوير الفني في الحديث النبوي- ص 533.

**د–التناسق بين الفعل وثوابه أو عقابه:**

من السمات الرائعة للصورة في التمثيلات النبوية ذلك التناسق بين الفعل وثوابه أو الجريمة وعقابها وذلك أن الجزاء من جنس العمل، وقد قال تعالى: « **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** »[1] وقوله عز وجل: « **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا** »[2] وقوله سبحانه: «**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً** »[3] فهذا نظام إلهي عادل وأصل أصيل من ثوابت الجزاء في الدنيا والآخرة مما يدفع النفوس للانصياع للحق والفضيلة وذلك بالترغيب في الثواب من جهة و الفرار من الرذيلة بالترهيب من العقاب من جهة أخرى، والأحاديث النبوية في هذا السياق كثيرة ولكن سنختار منها ما وافق التمثيل فقط ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس،يعلوهم الصغارحتى يدخلوا سجنا في جهنم، يقال له بولس،فتعلوهم نار الأنيار،ويسقون من طينة الخبال،عصارة أاهل النار "[4]" فالجزاء إذن من جنس العمل، والكبر صفة ممقوته حذر منها الله تعالى وكذا نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام ومن لم يرتدع و تسربل بها في الدنيا فإنه سيكون الذليل الصاغر يوم القيامة ونلاحظ أن البيان النبوي الخلاق في هذا الحديث يلتقط مشهدا مفزعا يتصاغر له الخيال ويسجد له الفن، والمتكبر الضخم مع أمثاله يصغرون ويتصاغرون من الذل، حتى يكونوا مثل النمل الصغير في صور الرجال، فالرجل في صورة نملة صغيرة تافهة، وإن الوجدان لا يجرؤ على السخرية من الرعب وهاهو ذا الذل وإنكسار النفس والانخذال والضعف يتجسد يوم القيامة، ما أن يغشاهم ويحيط بهم وهم فيه غارقون.

وهذا التصوير التمثيلي النبوي يجمع بين الطرفين بصفات كالذل وانكسار النفس والضعف (باعتبار ما كان في الدنيا (للنمل حقيقة) وباعتبار حالهم يوم القيامة (باعتبار جزاء المتكبرين).

---

[1] سورة الإسراء الاية 07.

[2] سورة فصلت الآية 46.

[3] سورة الزلزلة ،الآيتان 7و8.

[4] مسند أحمد،برقم:6390،كتاب مسند المكثرين من الصحابة،ورواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق،برقم:2416.

ومن هنا نلحظ هذا التعدد في وجه الشبه الذي انتزعت منه الصورة التشبيهية، كما سبقت هذه الصورة بألفاظ تتلاءم وحال هؤلاء المتكبرين يوم القيامة حيث جاء التعبير بـــ " يحشر ويساقون" بالبناء للمجهول، دلالة على الجبر والقهر والقوة التي تقودهم وأنهم لا يملكون من أمر أنفسهم يوم الحق شيئا كما اعتقدوا ذلك في الدنيا فهم حين الحساب يساقون إلى هذا المصير المشؤوم الذي كان أبعد ما يكون عن أذهانهم المتعجرفة فقد جاء هذا الحديث النبوي وما تضمنه من صورة تمثيلية متناسقا بين الفعل وعقابه، فالفعل هو التكبر والعقاب هو الصغار والذل في نار جهنم وبئس المصير وفق تعبير لغوي دقيق وموحي بالمعنى، وهذه الصورة التمثيلية تبعث على التنفير والرهبة من هذا السلوك وهو الكبر والتعالي.

ومن أحاديثه النبوية والتي يبدو فيها التناسق واضحا بين الفعل وعقابه قوله عليه الصلاة والسلام : " لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر"[1]

نلحظ بجلاء في هذا التمثيل النبوي تناسقا بينا بين الجريمة والعقاب حيث جعل عليه الصلاة والسلام الجلوس على القبر وإصابته بالنجاسة بمنزلة سريان النار إلى ثوب الجالس المستهتر ثم إلى جلده فتحرقه جزاء ما قام به من فعل مشين ولا مبالاة بقداسة المكان وحرمته ووجوب احترامه وما هو ملاحظ أن صورة الممثل به أقوى وأكثر تصويرا من صورة الممثل له، وهذا ما أفادته صيغة التفصيل " خير له" كما نلمس أن الصورة الممثل بها صورة خيالية لم تحدث في الواقع ولكنها بوقعها هذا تثني عن ألم منقطع النظير وتبعث في النفس رهبة وألما، فهذا جلوس وذاك جلوس، وقد أدى الفعل (الجلوس الثاني) إلى العقاب (الجلوس الأول) وقد اعتمد التمثيل هنا على الموازنة بين الجلوس على القبر، والجلوس على الجمر ومن هنا ربط بين شيئين أحدهما معروف (الجلوس على القبر) والآخر أمر جديد (وهو الجلوس على الجمر مما يعطي بلاغة الاقناع والامتاع وهذه الصورة

[1] سنن ابن ماجة،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، 1395ه1975مص499،وفي صحيح مسلم ص389.

تبعث على التنفير والترهيب من القيام بهذا السلوك المشين وذلك من خلال توظيف الفعل وما يترتب عنه من عقاب .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام المتضمنة تمثيلات تناسق فيها الفعل بالجزاء قوله عليه الصلاة والسلام " من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه" [1] هذا التمثيل النبوي تضمن قيمة الوقت في حياة المسلم وضرورة أن يمضيه في الطاعة والعمل الصالح لا أن يهدره في ضروب اللهو كلعب النرد وغيره من فنون اللهو والعبث فهذا الذي يفعل هذا الأمر فكأنما يصبغ يده في دم الخنزير ويلوثها بلحمه في حال أكله منهما وهو- كما قال علماؤنا- تشبيه لتحريمه بتحريم أكلها[2]

وقد أورد الحكيم الترمذي في كتابه " الأمثال" قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل من لعب الميسر ثم قام يصلي كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم قام فصلى، فيقول: قد يقبل الله صلاته"[3]

ومن هنا فإن جزاء من يلعب الميسر أو أي لعبة فيها تضييع للوقت وهدر للمال والعقل فإنه سيجازى بعقاب من الله تعالى في الدنيا والآخرة وهنا يظهر التناسب والتناسق بين الفعل وعقابه وقد قال تعالى في هذا **«إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ»** [4]

من خلال هذه النماذج النبوية لتمثيلاته عليه الصلاة والسلام ألاحظ أن التمثيل النبوي ارتبط أكثر بالجانب العقابي منه بالجانب الثوابي لأني حين أردت تقديم نماذج للتناسق بين العقل وثوابه وجدت أغلب الأحاديث تخلو من التشبيه التمثيلي وتتضمن فقط تشبيهات مفردة أو تكون كلاما تقريريا مباشرا لا تصوير فيه، ومن ثم فما أستنتجه أن استعمال النبي الكريم للتمثيل في سياق

---

[1] ينظر صحيح مسلم بشرح النووي- ج 15- ص 15.

[2] عبد الباري طه سعيد- أثر التشبيه في تصوير المعنى- ص 243.

[3] الترمذي- الأمثال من الكتاب والسنة- ص 21.

[4] سورة المائدة- الآية 90.

الحديث عن الفعل وما يترتب عنه من جزاء عقابي من الله تعالى إنما كان لغاية تربوية تتغلغل في نفوس السامعين فتزيدهم رهبة وخوفا وخشية من الله تعالى فتذعن النفوس المؤمنة وتتلقى أوامر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم برضى وطمأنينة، كما تتلقى النفوس المتذبذبة هذا الترهيب والتنفير من الفعل وعقابه برهبة وخوف فتحدث الاستجابة، وفي هذا الأسلوب النبوي رصانة وقوة ومتانة في تبليغ الفكرة والحرص على الاستعمال اللغوي المؤثر في المتلقين بالربط بين الفعل وعقابه وهذا ما أوكل إلى الرسالة وما تضمنته من تبليغ وإنذار .

**ه–تصوير المعنويات المجردة بالمحسوسات المصورة:**

قد تنبه البلاغيون العرب إلى ما ينطوي عليه تجسيد أو تشخيص المعاني الذهنية المجردة في صور حسية من تأثير بلاغي في جمال التعبير و إيصال الفكرة في قالب ممتع إلى المتلقي، وإن اللغة التصويرية النبوية في تمثيلاته عليه الصلاة والسلام كانت من أهم وسائل تقريب الفكرة إلى الذهن بتحويل المجرد إلى محسوس مشاهد وذلك بإبراز الخفي واضحا جليا للعيان وهذا بتجسيده وتشخيصه ويعد التشخيص طريقة تربوية وتعليمية في تلقين العلوم المجردة وإيصال الأفكار الماثلة في الذهن بإلباسها ثوبا من الحياة المحسوسة وهذه كانت من أعظم مهام الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ "تبدو شبكة العلاقات بارزة بين أجزاء الصورة ولهذا فإن القيمة العليا لتأثير الصورة التشبيهية، تكون في مشهدها العام الذي يتشكل من زوايا التشبيه المختلفة وعلائق مفردات البناء التشبيهي من المحسوس والمتخيل، والمعنى البارز والخفي" [1] لذلك قال تعالى: «**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** » [2]

والأسلوب التصويري المشخص يعين على الكشف عن المعاني الكثيرة باستخدام الحواس المتنوعة التي حباها الله الإنسان ومنحه إياها لتوظيفها حين الربط بين المعقول والمحسوس وفي هذه الطريقة التصويرية يخاطب الحس والوجدان ويصل إلى النفس من منافذ شتى من الحواس بالتخيل، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذه الكثيرة إلى النفس لا منفذها الوحيد"[3]، لذلك ذهب بعض البلاغيين إلى اعتبار التجسيد الأساس الأول بل الوحيد في أي إثارة إنفعالية ومن هؤلاء ابن الزماكان الذي اعتبر التخييل في الصورة الشعرية سبيلا إلى جعل المعنى المجرد و الموجود في الذهن يتجسد أو يتشخص في شيئ حسي و مشاهد، وما نجده عند ابن الزملكان نجد مثله عند بلاغيين آخرين كابن الأثير و الزمخشري و الجرجاني والعلوي و القرطاجني

---

[1] محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية و نظرية السياق ، ص 106.

[2] سورة الجمعة– الآية 02.

[3] سيد قطب– التصوير الفني في القرآن– ص 196.

و غيرهم، إذن فقد أولى هؤلاء تشخيص المعاني المجرة في الذهن وتجسيمها في صورحسية تشاهد و تعاين أهمية بالغة و مرد ذلك أن العرب جعلت من الحس أداة وحيدة لإدراك الأشياء و فهمها، كما أن النفس تأنس بالشيئ الحسي أكثر مما تأنس بالمدرك المعنوي لذلك فإن سبيل المعرفة و الإدراك يكون بتجسيد المعاني الذهنية في صور حسية .[1]

ومن أمثلة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام " مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكتر الكتر فلا ينفق منه"[2]

فهذا التمثيل النبوي مثل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم منحه الله علما غزيرا لينفع نفسه وغيره ولكنه أناني استحوذ على ما لديه من علم وكتره في صدره كما يكتر صاحب المال ثرواته ولا ينفق منها فيشقى في الدنيا والآخرة فهذا التمثيل النبوي ربط: الإنفاق من العلم والذي هو جانب فكري مجرد لا تظهر إلا نتائجه الطيبة إذا كان علما نافعا وبين إنفاق المال والذي هو محسوس ومادي بحت، وفي هذا الربط أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يربي النفوس العالمة المؤمنة على العطاء السخي في عدم البخل بالعلم والإنفاق منه كما ينفق من المال لذلك فإن كاتم العلم يلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" [3]

ومن تمثيلاته المشخصة للمعنى كذلك قوله صلى الله عليه وسلم " إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[4]

فشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بلغته المؤثرة الحسد نارا، فصور النار أنها تحرق وتأكل الحطب وضرر الحسد تدميري للنفس والروح، فتحرق بذلك الشعور السلبي المشاعر الجميلة وتسلطها على عباد الله الذين أنعم عليهم فيأكل هذا الشعور الحسنات وينمي السيئات

---

[1] سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية بيروت الطبعة الأولى 1991، ص146-147.

[2] رواه الطبراني في الأوسط (انظر صحيح الجامع الصغير ج5/ ص 197)نقلاعن التصوير الفني في الحديث النبوي للصباغ ص 552.

[3] سنن ابن ماجة،في المقدمة برقم: 262، وورد عند أبي محمد المنذري ، الترغيب و الترهيب من الحديث الشريف ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، باتنة الجزائر ،ج1 ص 97..

[4] رواه أبو داورد- ج4- ص 380.

كجانب معنوي مجرد، فهذا التشخيص يعطي إحساسا قويا بضرورة البعد عن هذا السلوك ويجسم الثورة المتأججة في قلب الحاسد نارا، وهذه النار ستحرقه أولا وهذه قمة اللغة التشخيصية المعبرة عن المعنى لذلك قيل: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله أو أن يليه " ويليه الحاسد أنه خاصم القضاء واتهم الباري في العدل وأساء الأدب مع الشرع وخالف صاحب المنهج، وسوف يبقى الحاسد في حرقة دائمة حتى يموت أو تذهب نعم الناس عنهم، وكل يصالح ألا الحاسد فالصلح معه أن تتخلى عن نعم الله وتتنازل عن مواهبك وتلغي خصائصك ومناقبك..." [1]

وقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرر هذا المعنى في نفوس المؤمنين فأتى بتخييل حسن حكيم حيث شبه الهيئة الحاصلة بين الحسد والحسنات وحبوط الحسنات الصالحة الجميلة بقبحه ودمامته وحدة شره بالهيئة الحاصلة بين النار والحطب يلقى فيها فتحيله رمادا... فهذه الصورة الواقعة المحسوسة والتي نراها كل حين، أحمال الحطب الجزل يفنيها رأس عود من الثقاب، تنقل إلى أجزائها العدوى في ثانية أو ثوان فإذا هي مثلها ينتقل فيها اللهب إلى ما وراءها، فهذا الخطر الداهم المخيف نتوقاه كل التوقى بحفظ مواد الاشتعال كل الحفظ خوف الكارثة، هو صورة مطابقة للحسد هذا الخطر النفسي الذي يفني أطنانا من الحسنات ويتركها هباء، فتلك المعاني المتعلقة قد تجسمت بالتشبيه في هذه الصورة، فتقررت وتأكد مدلولها بالانتقال من معقول مجرد إلى محسوس مشاهد[2] .

ومن هنا يظهر الدور التجسيمي للتشبيه التمثيلي كعنصر حاسم و أساس في عملية التشخيص، و لكن لا يجب أن نحصر مفهوم التشخيص في الصورة التشبيهية بآداء وظيفة تقديم الصور الحسية للمعاني المجردة في الذهن و إنما يتعدى ذلك بإبراز السمات و الصفات الأساسية للأشخاص أو الأشياء و حمل المتلقي على تمثلها و كأنه يشاهدها [3].

---

[1] عائض القرني- ثلاثون سببا للسعادة- دار ابن حزم ،الطبعة الأولى- 1996- ص 45-46.

[2] عز الدين علي السيد- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية- ص 164-165.

[3] سمير أبو حمدان ، الإبلاغية في البلاغة العربية ، ص147 .

ومن تمثيلاته عليه الصلاة والسلام والتي عبر فيها عن المعنوي بالمحسوس قوله عليه الصلاة والسلام: " مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقه قد خنقته فكلما عمل حسنة انفكت حلقة حتى يخرج إلى الأرض"[1]

فقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم لأثر عمل الحسنات بعد اقتراف السيئات كمثل رجل تخنقه درع ثقيلة عند عنقه – كون الرقبة موضع الرق في أوقات ماضية من جهة وموضع الحياة والموت من جهة أخرى- انفكاك حلقات الدرع وترك المتنفس وانقاص الثقل مما يريح الجسم والنفس على حد السواء من حيث المنظور المادي والمحسوس المشاهد وكذا أن الروح المؤمنة والنفس التائبة التي تؤوب إلى الله فكلما أسدت معروفا أو قدمت عملا صالحا كلما شعرت بطمأنينة روحية تفضي إلى راحة لا يشعر بها إلا من مارس هذه الفضيلة لذلك فإن الله تعالى يقول: «**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـــيِّئَاتِ** »[2] كما يقول عز وجل : «**وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** »[3]، فهذا التجسيم النبوي جعل من السيئات درعا ثقيلا تخنق صاحبها وتضيق عليه مما يوحي بالثقل المادي وكذا المعنوي كما يصور ويجسم الحسنات بأنها وسيلة لفك حلقات الدرع وجعلها تتناقص حتى يخرج صاحبها إلى الأرض سليما معافى يرجو رحمة ربه وينعتق من ربقة الذنوب والآثام التي كانت تقيده وتثقل بها رقبته كما تشقى بها روحه.

فهذا التصوير النبوي الوارد بصيغة التمثيل التشبيهي يعطي تجددا مع عمل ابن آدم الذي يجب أن يراقب أعماله لكي تكون حسناته مذهبة لسيئاته وبقدر حرصه ذاك يكون الفوز حليفه في الدنيا والآخرة فيفوز فوزا عظيما.

وما هذا الأسلوب الراقي والتربوي الهادي إلا نورا من خير البرية والأنام محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا الحديث المتضمن تمثيلا تراوح فيه الإرشاد بين الترغيب والترهيب، الترغيب في عمل الحسنات وفي الوقت نفسه الترهيب من عمل السيئات فيكون هنا الأثر كبيرا والتأثير

---

[1] أبو الشيخ الأصبهاني- الأمثال في الحديث النبوي- برقم 313- ص 366.

[2] سورة هود- الآية 114.

[3] سورة الرعد- الآية 22.

مزدوجا أو شاملا بين الإنذار والتبشير ومن ثم فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ربط بين العبارة المتراكبة الغنية بمبناها وبين المعاني المتدفقة بإيحاءاتها المعنوية والمرتبطة بالمحسوس فهذا يتضح هذا الدمج بين المعنوي والمحسوس وبين اللفظ والمعنى "فاللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته "[1]

وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت ألفاظه وعباراته تحمل من المعاني النورانية والتي تمس القلوب وتنير الأفكار وتوقظ الضمائر مما يشهد للرسول الكريم من قوة البلاغة وحسن البيان بعد القرآن الكريم، " وأما القاعدة النفسية أو العلمية لهذه الظاهرة فهي أن ما يتوافر في نفس الأديب من فكرة واضحة أو انفعال صادق يجذب إليه من الألفاظ والعبارات والصور ما يلائمه بطريقة تكاد تكون آلية لا تكلف فيها ولا صنعة، وهذا هو المثال الطبيعي للأسلوب"[2]

وتشبيهاته التمثيلية -صلى الله عليه وسلم- لا تكلف ولا صنعة فيها وإنما تصدر عن فطرة نقية وبلاغة نبوية مؤيدة بوحي معجز وتبيان ساطع وحجة دامغة للباطل، " والأصل الذي يتصل به هذا المظهر هو أن الغرض من التعبير والبيان إظهار ما في النفس من الحقائق والعواطف و الأخيلة وإيصالها إلى القراء والسامعين ووسيلة ذلك هي الأسلوب- أو العبارات اللفظية- إذ كانت غايته الإفهام أو التأثير أو هما معا، ومعنى هذا أن الواجب على الأسلوب تحقيق هذه الغاية تحقيقا كاملا، فلابد أن يكون صادق الأداء، مساويا للمعنى المراد، لا يزيد ولا ينقص وقبل ذلك يكون الأديب المنشئ فاهما ما يريد آداءه، صادق الشعور به، وعنده الوسائل اللغوية والتصويرية اللازمة، فإذا ما توافر له ذلك استطاع البليغ أن يحقق المطابقة بين اللفظ والمعنى وأن يجعل كلا منهما كفء للآخر" [3]

---

[1] أحمد الشايب ، الأسلوب ( دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ) ، مكتبة النهضة المصرية- الطبعة الثالثة عشر ، 2006-ص165.

[2] المرجع نفسه ص 165.

[3] المرجع نفسه- ص 164-165.

وقد جاءت التمثيلات النبوية تعبق بصدق الشعور وترفل باللفظ المعبر وتتغلغل في القلوب بالعبارة المؤثرة فتحققت له عليه الصلاة والسلام هذه السلامة اللغوية والقدرة التصويرية على إيصال المعاني بمختلف أبعادها.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة المصورة للمعنوي في ثوب المحسوس قوله عليه الصلاة والسلام : "إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعويد حتى جمعوا من ذلك سوادا ثم أججوا نارا فأنضجت ما قذف فيها"[1]

هذا التمثيل النبوي جسد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا معنويا بصورة محسوسة مشاهدة وذلك من خلال تصويره عليه الصلاة والسلام لاستصغار الناس للذنوب الصغيرة والأخطاء اليسيرة في شؤون حياتهم المتصلة طبعا بعقاب الله وغضبه مما يجعل هذا الاستصغار يراكم الذنوب والآثام حتى يهلك صاحبها ويهوي في الرذيلة ويكون مآله بسخط من الله والخسران في الدنيا والآخرة، فمثل هذا الإنسان كمثل قوم اجتمعوا لاعداد الطعام ثم أخذ أكل واحد منهم بإحضار عود أو عويد حتى تراكم لديهم عدد من الأعواد (الحطب) ثم أشعلوا أو أوقدوا نارا فيها فأنضجت النار ما أعدوه من طعام من أثر كوكب وتراكم الأعواد التي يمكن عدها في البداية قليلة ولكن مع تكاثرها أصبحت وقودا للنار فكذلك حال الإنسان المستصغر لذنوبه فهي مع تكاثرها ستكون سببا في دخوله النار وذلك بغضب الله عليه من كثرة آثامه التي استصغرها وقد قال تعالى: **«وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ»** [2]

فهذا التصوير النبوي الرائع نقلنا من المعنوي والمتمثل في تراكم الذنوب واستصغار ابن آدم لها كمثل القائل: أكذب الأخرى: أغتاب قليلا للتسلية وقول الآخر: أطفف في الميزان لأربح بضع دنانير ولا عيب!! ... وهلم جرا فهذه مما يحقر ابن آدم من أعماله فحين يستصغر مره الفعل الأول

---

[1] مسند أحمد برقم:12579،كتاب :باقي مسند المكثرين،وورد عند أبي الشيخ الأصبهاني- كتاب الأمثال في الحديث النبوي- ص 372.

[2] سورة النور- الآية 15.

ثم الفعل الثاني فالثالث يقع في وضع لا يمكن منه أن يعود إلى نقطة البدء- إلا إذا رحمه الله وهداه- وهذا ما سيعرضه للهلاك.

فقد قابل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الوضع من استصغار الذنوب بحال الجامعين لأعواد من حطب حتى يتجمع لديهم السواد منها فتكون نارا متأججة محرقة، فهذا التمثيل النبوي البديع يبعث في النفس رهبة وخوفا من اقتراف الآثام والذنوب التي تهلك صاحبها وما ذاك التصوير الحسي لهذا الأمر المعنوي إلا بلاغة أوتيها خاتم الأنبياء والمرسلين وقد أوتي جوامع الكلم وأحاديثه النبوية من قمم البلاغة العربية كونها تأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، فلا بد أن تحظى بهذه الميزات البلاغية والأسلوبية العالية، هذا مع اعتبار أن الحديث النبوي له ميزات لغوية كثيرة على الصعيد النحوي واللساني والخطابي والدلالي،... وغير ذلك من مستويات لغوية راقية، وقد صدقت الحكمة اللاتينية القائلة : " موضوع النحو صناعة الكلام وموضوع الجدل صناعة الخطابة وموضوع البلاغة حسن البيان"[1].

وما يهمنا في هذه الحكمة هو أن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم تميزت بحسن البيان وجودة الإبلاغ، وهذا جانب من جوانب بلاغته الشاملة عليه الصلاة والسلام هو نقل المعاني المجردة في صور مشاهدة " لأن العلم المستفاد عن طريق الحواس أو المركوز في النفس من جهة الطبع يفضل العلم المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وتمام الثقة به كما أن طبيعة النفس التأثر بالمحسوس أكثر من تأثرها بالمعقول فقد قالوا: " ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين" فالأنس من جهة الاستحكام والقوة عن طريق الحس أقوى من طريق العقل فإذا جاء المثل عقب المعنى أو برز المعنى في معرض التمثيل أنست إليه النفس ووثقت به وقبلته مطمئنة لأنها ردت إلى ما هي به أعلم وثقتها به أحكم كما أن العلم الحسي أسبق حصولا " للنفس من العقلي، فهو أمس بها رحما، وأقوى لديها ذمما، وأقدم لها صحبة وأكد عندها حرمة"[2] .

---

[1] عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب- دار سعاد الصباح ، الكويت -الطبعة الرابعة 1993 - ص 54.

ترجمة الحكمة اللاتينية (حسب ما ورد في المرجع نفسه ص 54 في الهامش)

"La grammaire est l'art de parler, la dialectique est l'art de discourir, la rethorique est l'art de bien dire »

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة- ص 102.

ومثال ذلك ما قاله أبو تمام:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبـــدا لأول منـــزل[1]

فالشاعر يحصر الحب في الحبيب الأول وهذا أمر عقلي وضحه بالأمر الحسي المشاهد وهو: حب الفتى على الدوام لمنزله الأول الذي ولد فيه على الرغم من عيشه في كثير من المنازل بعد ذلك، فنقل النفس من المعقول إلى المحسوس " وتوسل إليها للغريب بالحميم وللجديد الصحبة بالحبيب القديم" [2]

وهذه دقة بالغة من الإمام عبد القاهر في إدراك الحقائق البلاغية إذ تنبه إلى أن الإنسان يتمثل الحسيات أقوى مما يتمثل العقليات لتقدمها في مدركاته ولشدة إلف النفس لها حتى لتصبح كأنها ذات صلة بروحه ويضرب عبد القاهر مثلا للتمثل فيقول : " أنت مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء : من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت"[3] .

كما ذكر قوله المشهور في غير ما موضع في حديثه عن التمثيل قائلا: " أنس النفس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكنى"[4].

وهذه الأفكار البلاغية التي أوردها عبد القاهر عن تشبيه التمثيل قد يكون استلهمتها مما قاله الرماني: " والتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر" [5] وقوله كذلك " إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه" وقوله في موضع آخر: " إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها"[3] وأنصع حجة لإلف النفس بالمشاهد المدرك بالحواس من العقلي المجرد ما أخبر به الله تعالى عن

---

[1] ديوان أبي تمام ،شرح الأديب شاهين عطية،دارالكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1424ه2002م ص.463.

[2] عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة- ص103.

[3] المصدر نفسه ، ص 103

[4] المصدر نفسه- ص 234.

[5] الرماني- النكت(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،تحقيق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،دار المعارف-مصر/ الطبعة الثانية،1968،ص81.

[4] سورة البقرة، الآية 260.

الخليل إبراهيم عليه السلام حين طلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحي الموتى " **إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي**" [4]

فلم يكن عند الخليل إبراهيم عليه السلام شك في ذلك ولكنه طلب من الله عز وجل ذلك لأن المشاهدة لها وقع في النفس وأثر لا ينكر كما أن رؤية العين تؤكد ما يسلم به العقل كقول أبي تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجته فاغترب تتجدد[1]

فقد شبه أبو تمام حال الرجل ذي الفضل والقدر يكتسب تقدير قومه ومحبتهم لاغترابه عنهم ويجتلب مللهم منه إذا أدام البقاء بينهم بحال الشمس تزداد محبة الناس لها لغيابها حينا وظهورها حينا آخر بجامع عرفان فضل الشيء بظهوره في وقت وغيبته في وقت ونسيان فضله إذا دام ظهوره و لم يغب عن العيون.

فالمشاهدة إذن تؤكد ما يسلم به العقل وإن تمثيل المعقول بالمحسوس يفيد غرضا عاما هو إحداث أثر في النفس يوجب لها أنسا في المعنى ويمكن القلب من استنباط الأبعاد المقصودة من التمثيل الذي ساقه المحدث،"وما من شك في أن كل خبرة حسية مهما دقت تكون مركبة ونفسية،وذلك يعني أن الخبرة الحسية لا تكون مؤتلفة أحاسيس فقط، بل يداخل ائتلافها خبرات فكرية ونفسية وخيالية،وكل واحدة من هذه الخبرات متى قامت في المستوى الحسي أو النفسي (شعور،فكر،خيال) كانت قابلة لأن تولد صورة كلية للخبرة الكلية"الأم" " [1]

وقد أدت التمثيلات النبوية هذا الغرض وكان تمكينها في النفس متغلغلا ولا يزال ما دامت الدنيا لأن أسلوب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تميز بالقدرات البلاغية العالية ومن سماته:

**أولا**- الوضوح clearness بقصد الإفهام.

---

[1] أبو تمام ،ديوانه ص98.

[2] نعيم علوية، الحقيقة والمجاز بحساب الطاقة،مجلة الفكر العربي، العدد السادس والأربعون، معهد الإنماء العربي،بيروت، 1987،ص05.

**ثانيا**- القوة Force لقصد التأثير.

**ثالثا**- الجمال beauty قصد الامتاع (أو السرور) [1]

وهذه من الصفات الأسلوبية التي أوردها البلاغي أحمد الشايب- وأجدها تنطبق على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن بشيء من المثالية المطلوبة في أسلوب نبي مؤيد بوحي سماوي ولا يضاهيها بشر وإن تفاوتت لدى الأدباء درجات الوضوح والقوة والجمال.

"و على أساس من هذا فإن النقاد والبلاغيين في شقيهم القديم والحديث، ركزوا على الصورة البصرية لكونها الطريقة الأمثل في التشخيص، ولا غرو في ذلك إذ أن حاسة البصر تستطيع أن تقدم تقريرا وافيا عما يحوطنا من أشياء ومحسوسات ومدارك" [2] ".

فأبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا،وأصل الوصف الكشف والإظهار" [3] كما يقول إبن رشيق.وسأثري هذا العنصر المتعلق بتصوير المعنويات بالمحسوسات بجدول توضيحي أحصي فيه التمثيلات النبوية ومدى ارتكازها على المجردات(من حيث وجه الشبه) أوالمحسوسات(من حيث المشبه والمشبه به) في إقامة العملية التشبيهية،وإعطاء التمثيل النبوي خصوصياته التصويرية.

---

[3] أحمد الشايب- الأسلوب- ص 185.

[2] سمير أبو حمدان ، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص 149.

[3] ابن رشيق ، العمدة ، ج2 ، ص295.

**– أغلب التشبيهات التمثيلية النبوية:**

| نص التمثيل النبوي | نوع وجه الشبه : من حيث الحسية والتجريد |
|---|---|
| 1- إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها. | مركب مجرد |
| 2- إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها. | مركب مجرد |
| 3- ... فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا. | مركب مجرد |
| 4- ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود... | مركب حسي |
| 5- إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. | مركب حسي |
| 6- إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه... | مركب مجرد |
| 7- ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله...». | مركب حسي |
| 8- «ما شأنكم تشيرون بأيدكم كأنها أذناب خيل شمس، إذا سلم أحدكم فليتلفت إلى صاحبه ولا يومئ بيده» | مركب حسي |
| 9- اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس... | مركب مجرد |
| 10- إنما مثل هذا مثل الذي يصلي وهو مكتوف». | مركب حسي |
| 11- مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار... | مركب مجرد |
| 12- مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت. | مركب مجرد |
| 13- إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها | مركب مجرد |

| | |
|---|---|
| وإن أطلقها ذهبت". | |
| 14- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب، طعمها طيب. | مركب مجرد |
| 15- اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف. | مركب حسي |
| 16- «مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جبتان من حديد... | مركب مجرد |
| 17- «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر...» | مركب مجرد |
| 18- «... يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» | مركب مجرد |
| 19- «... آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر...». | مركب حسي |
| 20- «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد». | مركب مجرد |
| 21- «... فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه». | مركب مجرد |
| 22- «... هل أنتم تاركون لي أمرائي وإنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استدعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم...». | مركب مجرد |
| 23- «إن مثلى ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة... وكذبت طائفة... ». | مركب مجرد |
| 24- «... إنك كالذي قال الأول اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي ». | مركب مجرد |
| 25- «ما من كلم يكلمه المسلم في سبيل الله إلاجاء يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دما اللون لون دم والعرف عرف المسك». | مركب حسي |

| | |
|---|---|
| 26- «لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد». | مركب مجرد |
| 27- «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فماسواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها». | مركب مجرد |
| 28- «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خترير ودمه». | مركب مجرد |
| 29- «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل غيث أصاب أرضا فكانت فيها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها... ». | مركب مجرد |
| 30- «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها... ». | مركب مجرد |
| 31- «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». | مركب مجرد |
| 32- «تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة». | مركب مجرد |
| 33- «فكأنما تسفهم الملّ». | مركب مجرد |
| 34-« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». | مركب مجرد |
| 35-« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد. ». | مركب مجرد |
| 36- إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير» | مركب مجرد |
| 37- والناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف فيها ائتلف وما تناكر فيها اختلف». | مركب مجرد |
| 38- ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء». | مركب مجرد |
| 39- «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين....» | مركب مجرد |
| 40- «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس | مركب حسي |

| | |
|---|---|
| فيها علم لأحد...» | |
| 41- «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة». | مركب حسي |
| 42- مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله... وكمثل المنافق كمثل شجرة الأرز... | مركب مجرد |
| 43- «إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم...» | مركب مجرد |
| 44- «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع...». | مركب مجرد |
| 45- «انى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر...». | مركب حسي |
| 46- «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء». | مركب مجرد |
| 47- «... فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى... ». | مركب حسي |
| 48- «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى». | مركب مجرد |
| 49- مثلي في النبيين كمثل رجل بني دارا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنه فكان من دخلها ونظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء». | مركب مجرد |
| 50- «الحلال بين والحرام بين،...كمن يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه » | مركب مجرد |
| 51- «مثل الآيات مثل خرزات منظومات في سلك انقطع السلك فتبع بعضها بعضا». | مركب مجرد |
| 52- إنما مثل المرأة كمثل الضلع إن تحرص على إقامته تكسره وإن تستمتع به، تستمتع به وفيه عوج». | مركب حسي |

| | |
|---|---|
| 53- «مثل الذي يعلم الناس وينسى نفسه مثل مصباح يضئ للناس ويحرق نفسه». | مركب مجرد |
| 54- «إن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» | مركب مجرد |
| 55- «... فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام». | مركب مجرد |
| 56- « مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعي أجزرني شاة من غنمك، فقال له: اذهب فخد بأذن خير شاة فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم» | مركب مجرد |
| 57- «لتنتقن كما ينتقى التمر من الحثالة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم...» | مركب مجرد |
| 58- «لا تستضيئوا بنارالشرك» | مركب مجرد |
| 59- مالي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا مثل راكب قال في ظل شجرة في يوم حار ثم راح وتركها». | مركب مجرد |
| 60- مثل المسلمين يوم القيامة في الكفار كمثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض. | مركب حسي |
| 61- «إن الله عز وجل إذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء ليشفى». | مركب مجرد |
| 62- «... إنما مثل أحدكم ومثل أهله وماله وعمله كرجل له ثلاثة إخوة فقال لأخيه الذي هو ماله حين حضرته الوفاة ونزل به الموت: ماذا عندك؟ | مركب مجرد |
| فقد نزل بي ما ترى، فقال له أخوه الذي هو ماله: ما لك عندي غناء، ما لك عندي إلا ما دمت حيا فخذ مني ما أردت فإني لو فارقتك سيذهب بي إلى كل مذهب غير مذهبك وسيأخذني غيرك...» | مركب مجرد |

| | |
|---|---|
| 63- «الناس كشجرة ذات جنى، ويوشك أن تعود كشجرة ذات شوك، إن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم طلبوك» قالوا يا رسول الله وكيف المخرج من ذلك؟ قال: «تقرضهم من عرضك ليوم فقرك» | مركب مجرد |
| 64- «مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقه قد خنقته فكلما عمل حسنة انفكت حلقة حتى يخرج إلى الأرض». | مركب مجرد |
| 65- مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح وتعدلها مرة حتى يأتيه أجله ومثل الكافر مثل الأرزة المجذية على أصلها لا يقلها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة». | مركب مجرد |
| 66- مثل القائم على حدود الله والمداهن في حدود الله مثل ثلاثة نفر جلسوا في سفينة، أحدهم في صدرها والآخر في أسفلها والآخر في وسطها فجعل يحفرها بفأس معه، فقال الذي يليه لا تحفر فتغرقنا وقال الآخر دعه فإنما أغرق نفسه». | مركب مجرد |
| 67-«... ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها». | مركب مجرد |
| 68- إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود والرجل يجيء بالعويد حتى جمعوا من ذلك سواداً ثم أججوا نارا فأنضجت ما قذف فيها». | مركب مجرد |
| 69- «مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها بعقلها أمسكها | مركب مجرد |

| | |
|---|---|
| عليه وإن أطلق عقلها ذهبت» | |
| 70- «مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو يعني مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه ورقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكيء على مسك». | مركب مجرد |
| 71-« مثل المؤمنة كمثل غراب أبقع في غربان كثيرة، أو قال الغراب الأعصم». | مركب حسي |
| 72- «مثل المؤمن كمثل السنبلة تميل أحيانا وتقوم أحيانا». | مركب مجرد |
| 73- «مثل المؤمن كمثل قطعة الذهب الجيد فأوقد عليها فخلصت ووزنت و لم ينقص، ومثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا». | مركب مجرد |
| 74- «مثل المريض إذا برأ وصح مثل البردة إذا نزلت من السماء في بياضها وصفائها». | مركب مجرد |
| 75- «مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل فرس على آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان». | مركب مجرد |
| 76- «مثل النخلة مثل المؤمن كل ما أتاك منها نفعك». | مركب مجرد |
| 77- «إن من الشجرة شجرة تشبه المسلم فأردت أن أقول هي النخلة | |
| فنظرت فلم أر أحدا أحدث سنا مني فسكت فقال: هي النخلة» | مركب مجرد |
| 78- «إن المؤمن مثل النخلة وإن شاورته نفعك، وإن صاحبته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شيء من المؤمن منافع، وكل شيء من النخلة منافع». | مركب مجرد |
| 79- «مثل الذي يجتنب الكبائر ويقع في المحقرات كرجل لقي سبعا فألفاه حتى نجا منه، ثم فحل إبل فكذلك ثم فحل جمل فكذلك حتى نجا مما يتخوف فلدغته نملة فأوجعته ثم أخرى حتى اجتمعن عليه فصر عنه فكذلك الذي | مركب مجرد |

| | |
|---|---|
| يجنب الكبائر ويقع في المحقرات».<br>80- «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار ر،فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجرآخرين، فقال أكملوا بقية يومكم، ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوما فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين». | مركب مجرد |

يلاحظ – من خلال هذا الجدول- أن التمثيلات النبوية المجردة العقلية هي الغالبة، لأن التشبيه التمثيلي يرتكز على نقل المعنى من خفي إلى جلي، وإنما جعلت المحسوسات(الطرفان الحسيان) وسيلة لإجلاء وتوصيل المعاني والأفكار المعنوية المجردة، إلى جانب أن الرسالة المحمدية تنبني على العقل وتمجده وتجعل له حيزا هاما ضمن قيمها القرآنية والنبوية،فنجد توظيف العبارات: أولي الألباب، يعقلون، يتفكرون، العالمون، أفلايتدبرون؟، وما التمثيل (في الكتاب أو السنة)إلا وسيلة عقلية إدراكية تنضج العقل وتنمي التجربة الإنسانية الراغبة في لذة المعرفة.

# الخاتمـــــــة

**الخاتمة :**

إن غرض هذه الدراسة هي التعرف على الأسرار و الإيحاءات و الإشراقات النبوية في التشبيه التمثيلي و ما كان لهذا الأسلوب و البلاغة المتفردة من دور في التبليغ الرسالي للدعوة المحمدية الموسومة بخاصية الإبلاغ و الشمول باعتبار أن البيان النبوي عامة و التمثيل خاصة هما محور البحث و مدار تحليلاته، ومن خلال الفصول الأربعة التي تناولت فيها التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف، يمكن أن أخلص إلى النتائج الجزئية الآتية :

1- تعددت نظرات البلاغيين إلى التمثيل فمنهم من ذهب إلى أنه مرادف للتشبيه، فكل تشبيه تمثيل حتى و لو كان وجه الشبه مفردا، و هذا مذهب الزمخشري و ابن الأثير، و مذهب عبد القاهر يشترط فيه (في حال الإفراد و التركيب ) ألا يكون حسيا بل عقليا لا وجود له إلا في الأذهان و الضمائر، ومذهب الجمهور ومن بينهم الخطيب القزويني، لا يشترط فيه غير التركيب في وجه الشبه سواء أكان حسيا أو معنويا، كما يرى السكاكي أن يكون تشبيه التمثيل صورة منتزعة من متعدد، وهو ما تعتمده الدراسات البلاغية الحديثة.

2- العناصر المكونة للصورة التشبيهية مشتركة بين الحديث والقرآن من حيث المضمون والهدف خاصة، إذ أن كليهما يتضمن الرسالة السماوية الخاتمة و الهدف هو : الهداية الإنسانية، وقد يأتي التمثيل النبوي ليشرح و يفسر معنى آية قرآنية فيبينها و يقدمها للمتلقي الشغوف سهلة ميسورة.

3- تناولت التمثيلات النبوية جميع الموضوعات المتعلقة بالدنيا و الآخرة، و الجنة و النار، و العبادة و الترغيب فيها و الترهيب من تركها.

4- إن دراسة التشبيه عامة و التمثيل خاصة له الأثر العميق في تنمية الذوق البلاغي، و بخاصة إذا ارتبط الدرس بالبيان النبوي المؤيد بالحكمة و المحفوف بالعصمة، و قد تبين أن الحديث النبوي

مجال خصب لإثراء القواعد البلاغية و استخلاص الألوان البيانية النبوية و تدارسها و جعلها موطن استشهاد بلاغي .

5- إن بناء الصورة التشبيهية للبيان النبوي، اعتمد نمطا أسلوبيا متميزا، هو أن أغلب صوره تأتي خدمة للتشبيه، و من هنا كان وجه الشبه بين طرفي الصورة أقوى في المشبه به من المشبه لتوضيح الفكرة و تقريبها إلى الأذهان كون الغاية التربوية التعليمية كانت الهدف الأسمى .

6- استيعاب البيان النبوي لمختلف صنوف البيان من تشبيه و استعارة و كناية و مثل، و دقة ذلك التعبير المجازي حين العدول عن توظيف التعبير الحقيقي المباشر.

7- عدم التكلف في انتقاء الألفاظ و العبارات المناسبة للمعنى و البعد عن الغرابة و التعقيد حيث تبرز الفكرة في التمثيل النبوي موحية معبرة، لما فيه من بساطة ووضوح و إيجاز مما يجعله زاخرا بالحيوية و القوة البلاغية، و التنويع في الصياغة فتتلاحم الألفاظ و تتآلف من أجل خلق التمثيل المبدع المؤثر.

8- التمثيل النبوي تتزاحم فيه المعاني و تتوارد، إذ يمكن أن يكون كل تمثيل موضوعا لدراسات بلاغية ببيانها و معانيها و بديعها، بل و حتى كل لغته يمكن أن نتناولها كنموذج للغة الراقية و الأدب الرفيع فهو الرسول الكريم الذي أوتي جوامع الكلم.

9- تبين من خلال البحث أن التشبيه يعد الركيزة الأولى في تصوير المعاني و هذا ما يتفق مع طبيعة التمثيل من ناحية و التصوير عند العرب من ناحية أخرى، و بذا نزل القرآن، و هذا ما وضحه العلماء حيث بين المبرد : "أن التشبيه جار في كلام العرب، لدرجة أن لو قال قائل : أنه أكثر كلامهم لم يبعد " كما ذكر العلوي في الطراز قوله : "أعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة و أبو عذرتها، وسرها و لبابها و إنسان مقلتها...".

10- و اختلفت وظيفة التشبيه التمثيلي بين القدماء و المحدثين، فقد دارت وظائفه لدى القدماء حول الإيجاز و الإيضاح و البيان و المبالغة و التوكيد، و الإهتمام بالتقسيمات و التفريعات المنطقية، و اتفق معظمهم على أن مقياس الجمال في الصورة البيانية خاصة التشبيه هو أن الواضح

أجمل من الخفي و المألوف أقرب إلى النفس من الغريب، و ما يدرك بالحاسة أقوى مما يدرك بالعقل، و ما هو حاضر أوضح من الغائب، إلا أن المحدثين أولوا اهتمامهم للوظيفة النفسية الشعورية، التي تخاطب الوجدان، و تمس الفؤاد، ومن أول من دعا إلى هذا الإتجاه في الأدب الحديث هو "العقاد" بثورته المعروفة على القوالب الجامدة في البيان العربي، و قد وصف الرسول في "عبقرياته" بقوة الإبلاغ و التبليغ.

11- مقدرة البيان النبوي الكريم على تجسيم و تشخيص المعاني الذهنية المجردة، خاصة ما تعلق بالغيبيات، حيث تتحول المعاني من خلال التمثيلات وكذا الإستعارات إلى صور حية مشاهدة و شخوص متحركة، و إلى نماذج تنبض بالحياة، و ذلك أدعى لتقرير الفكرة في العقل، و استئناس النفس بها، فما يقع عليه الحس أقوى أثرا و تأكيدا للمعنى.

12- الطبيعة العربيةبكل ما انطوت عليه من مظاهر البيئة الصحراوية ووعورتها، وكذا جمالها- كانت مصدرا للتمثيل النبوي التعليمي الذي ربط المتلقي بمحيطه وجعله أكثر استعدادا لتطبيق الوحي، واقتفاء السنة المطهرة،ذلك التمثيل الذي كانت الطبيعة بنوعيها الحية والجامدة مصدرا ثريا له، فتتحول المادة إلى موضوع حسي مشحون بالفكر والشعور.

13- مطابقة التمثيلات النبوية لمقتضى الحال والمقام، وحسب ما يتطلبه الموقف من توظيف التشبيه الملائم للموضوع فيتجدد المعنى ويحدث التأثير،ويقع الكلام موافقا للهدف المنشود مما يجعل النفوس تواقة إلى سماعه واستيعابه ثم تطبيقه،لأنه يزيد الحياة حياة، كما تزيد المرآة النور نورا.

14- العلاقة الوطيدة بين التمثيل والمثل،و ما للمثل من شمولية،وما للتمثيل من خصوصية بلاغية،وإن كان المثل من لوازم النبوة وضروراتها،وأنه صلى الله عليه وسلم قد أكثر من ضرب الأمثال وأغلب التمثيلات صدرت بقوله: "مثل"، بينما كانت "الكاف" و"كأن" توظفان بقلة، والأمثال أقوال موجزة، تتميز بدقة العبارة، ونفاذ البصيرةو إصابة الهدف وللرسول الكريم مقدرة فائقة في التشبيه والتمثيل، وإرسال الحكمة،وإجادة الحوار وتلك ميزة الرسل، وهو صورة لحضارة الأمة و أخلاقها.

15- صدق التمثيل بين الممثل له والممثل به، من الجهة التي تعلق بها تشبيه التمثيل من حيث العظم والحقارة، أو الشرف والخسة مما أعطى قوة في التلاؤم بين طرفي الصورة ( المشبه والمشبه به) والصفة الجامعة بينهما (وجه الشبه) وأدى هذا في سياقات معينة إلى التناسب والتناسق الأكيد بين الفعل وثوابه أو عقابه، وكذا توظيف التقابلات القوية الآداء للإقناع والتدليل على صواب الفكرة النبوية والهدي المحمدي المستقى من كتاب سماوي معجز، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

16- استحدث النبي الكريم- صلى الله غليه وسلم- أساليب تعبيرية جديدة في تمثيلاته التشبيهية،إذ استخدم الأشكال الهندسية في تصوير معان قائمة في ذهنه وهذا اللون له مترلته وقيمته الفنية فهو إيجاز بديع، كما يعد لوحة من الفن التجريدي الإسلامي في البيان النبوي،كما استعمل اليد في الإشارة بها إلى تقريب المعاني من باب مزج التمثيل القولي بالتمثيل الفعلي.

17- و التمثيل النبوي خير مرشد تعليمي في مجال التربية والأخلاق وتنمية الحس الفني والذوق الأدبي،فحبذا لو يوليه اللغويون والبلاغيون الإهتمام الذي يستحقه كمصدر ثان في التشريع الإسلامي وذلك بتوظيف الأحاديث النبوية في النحو والصرف والبلاغة واللسانيات وعلم الدلالة كشواهد ذات مكانة وقيمة تعبيرية ضمن مناهجنا التعليمية الدنيا والعليا.

وختاما، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى،و أن يتجاوز به عن السيئات ويجزل لنا في الحسنات ونضر الله به وجوهنا في الدنيا والآخرة. وهذا جهدي في تلمس فيض من أنوار النبوة واستلهام لضيائها، في هذا الفن النبوي البليغ (التشبيه التمثيلي)، فإن أحسنت فذلك فضل من الله، وإن قصرت فحسبي أنني بذلت ما بوسعي، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين.

# الملخـــص

**الملخص باللغة العربية :**

التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف،أسلوب متفرد ببيانه وسماته البلاغية التي ميزته بقوة التأثير وجودة الصياغة، والرسول صلى الله عليه وسلم يدرك جيدا موقع الكلمة وهو المؤيد بوحي إلهي نورا وهدى للعالمين، لذلك يقول :" إن من البيان لسحرا،وإن من الشعر لحكمة" .

وقد ضمنت البحث أربعة فصول، تناولت التشبيه التمثيلي في أحاديثه عليه الصلاة والسلام،وفق خطة كانت كالآتي:

في الفصل الأول مهدت بتعريف التشبيه عامة والتمثيل خاصة وعرضت آراء البلاغيين القدامى والمحدثين في التشبيه التمثيلي بتقديم تعريفاتهم وحججهم، ثم ألقيت الضوء على الإمتداد التاريخي والفني للتمثيل في الشعر الجاهلي وشيوعه في القرآن الكريم لإيضاح أصالة هذا الفن كأسلوب بياني متميز.

وفي الفصل الثاني تناولت الخصائص الفنية للتمثيل النبوي بعرض عدد من أحاديثه عليه الصلاة والسلام،مركزة على الإنتقاء اللفظي المناسب للمعاني، والتشويق في اختيار التشبيهات التمثيلية المقنعة،ثم توظيف الطبيعة الحية والجامدة،و ما للبيئة العربية من أثر على الأدب النبوي ولغته في توصيل الأفكار وترسيخها، كما نوهت بخصائص فنية أخرى ارتبطت بالبلاغة النبوية وهي: الإيجاز و الإيضاح والتوكيد.

وفي الفصل الثالث حاولت ربط مقاربات علائقية بين التشبيه التمثيلي ومختلف ألوان البيان، كالتشبيه والإستعارة والكناية،وما أدركته أن هذه الفنون تخدم الغرض المتوخى وهو التبليغ الرسالي و الإبلاغ الدعوي للإسلام بصفته دينا يحتاج قوة الإقناع والإبداع لينتشر ويذيع في العالمين،و أردفت بعلاقات أخرى وطيدة الصلة بالتمثيل النبوي،وذلك بإبراز علاقة التمثيل بالمثل وعلاقة التمثيل بالتركيب النحوي كعامل لغوي مهم في إظهار أثر المعنى النحوي في صياغة العبارة النبوية .

وفي الفصل الرابع تطرقت لإبراز الأسرار والجماليات التي تفرد بها التمثيل النبوي،ليكون دوره فاعلا ومؤثرا في المتلقي، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مهتما بهذه الأبعاد لذلك فإن البعد النفسي كان حاضرا في كل تمثيلاته إذ برزت الجوانب العاطفية والوجدانية والنفسية في الشبيه التمثيلي خاصة حين توظيف التقابل بين العبارات وما حوته من معان تتقابل ضديا وغرضه في ذلك الترغيب بالتحسين تارة والترهيب بالتقبيح تارة أخرى،كما أوردت الجماليات البلاغية التي اختص بها الحديث النبوي بتمثيلاته البديعة ومن أهمها:

مطابقتها لمقتضى الحال والمقام، والتلاؤم بين طرفي الصورة التشبيهية بقوة الجامع (وجه الشبه)، إلى جانب توظيف الرسم الهندسي كأسلوب نبوي يتميز بالإيجاز وهذه وسيلة من وسائل الإيضاح، و اهتم كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بتصوير المجردات المعنوية بالمحسوسات المشاهدة كجمالية بلاغية تقرب المعنى وتزيد الفكرة إشراقا، ودعمت هذا الجزء بجدول توضيحي لأهم التمثيلات النبوية الواردة في الصحيحين: البخاري ومسلم.

وختمت البحث بإيراد أهم النتائج المتوصل إليها، كون التمثيل النبوي وسيلة بلاغية ذات خصائص فنية تساهم في الإبلاغ القوي والمؤثر وبتوظيفه يتسع أفق التعابير اللغوية في العربية ويزداد ثراؤها بالإفصاح عن المستحدث والجديد من الأفكار والأنسجة التعبيرية الفنية، وكونه وسيلة شيئ جميل بإتباع سنة الرسول عليه الصلاة و السلام، ولكن أن تكون الغاية سبر الأسرار البلاغية في البيان النبوي، وجعلها موردا للغة العربية في حجاجها وجمالياتها وتجددها الدائم بأن يدرج هذا الفن كمنهج تعليمي نبوي فكما أولي القرآن الكريم والشعر بالإهتمام أن نخص الحديث النبوي وبيانه بالعناية التي يستحقها كمنبع ثان للفكر الإسلامي العربي.

Résumé :

La comparaison hypotypose au Hadith (les dires du prophète que le salut et la bénédiction du Dieu soient sur lui) est un style unique, marqué par ces caractéristiques rhétoriciennes, qui lui donne l'effet et la bonne élocution. Le prophète que le salut et la bénédiction du Dieu soient sur lui, sait bien où mettre les mots ; comme il est soutenu par l'inspiration de Dieu ; pour guider les gens. Il dit : « en l'éloquence, il y a de l'envoûtement, et en la poésie, il y a de la sentence ».

La recherche renferme quatre chapitres, qui traitent la comparaison hypotypose aux dires du prophète que le salut et la bénédiction du Dieu soient sur lui, selon le plan suivant :

Au premier chapitre, on a fait une introduction, en laquelle on a défini la comparaison en générale, et on a parlé d'une façon particulière de la ressemblance, par ailleurs on a parlé des avis des rhétoriciens ; anciens et contemporains, en ce qui concerne la comparaison hypotypose ; en citant leurs définitions et leurs arguments, puis on a mis en valeur l'évolution historique et artistique de la ressemblance en la poésie préislamique et son utilisation au Coran; pour justifier l'originalité de cet art, autant qu'une figure du Bayan distincte.

Au deuxième chapitre, on a parlé des spécificités artistiques de la ressemblance utilisée par le prophète, en citant quelques Hadiths, et en mettant l'accent sur les expressions choisies qui s'harmonisent avec le sens. Et le suspense qui s'exprime par les comparaisons hypotyposes concluantes. Ensuite on a discuté l'utilisation de la nature vivante et figée, et l'influence de la société Arabe sur la littérature du Prophète et sa langue pour transmettre les idées et les implanter.

On a par ailleurs évoqué d'autres particularités artistiques caractérisant l'éloquence du prophète ; telles que la concision, l'explicitation et l'affirmation.

Au troisième chapitre, on a essayé de relier les convergences qui existent entre la comparaison hypotypose et les autres figures de Bayan, telles que la métaphore et la périphrase. A travers cette coordination, on a découvert que ces techniques nous aident à réaliser l'objectif visé, qui est la transmission du message et la vocation à l'Islam, en tant qu'une religion qui nécessite la persuasion et la création pour la propager entre les gens. Par la suite, on a parlé de d'autres rapports qui ont une relation ferme avec la ressemblance au Hadith ; en montrant le lien qui existe

entre la ressemblance et le proverbe, et celui qui existe entre la ressemblance et la syntaxe grammaticale, comme un facteur linguistique influent, pour montrer l'effet de la signification grammaticale sur la formulation de l'élocution du Prophète.

Au quatrième chapitre, on a mis en évidence les dessous et le charme, qui ont fait de la ressemblance au Hadith une figure unique, lui en donnant un rôle crucial et influent sur le récepteur. Le Prophète que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui, avait donné une importance à ces dimensions, ce qui est prouvé par l'existence de la l'aspect psychologique en ses ressemblances ; car on trouve les aspects sentimentales, émotionnels et psychologiques en la comparaison hypotypose, surtout quand il utilise l'opposition entre les expressions, visant l'incitation par l'embellissement parfois et la répulsion par la dénonciation parfois.

On a parlé, par ailleurs, du charme rhétoricien qui marque les dires du prophète par les ressemblances exceptionnelles, comme :

Leur convenance au contexte, et l'harmonisation entre les termes de la comparaison par la qualité commune, et l'utilisation du dessin symbolique comme un style prophétique marqué par la concision, qui représente l'une des méthodes d'explicitation. Le Prophète a, par ailleurs, accordé une importance à la représentation des abstraits moraux par les concrets apparents, tel que le charme rhétoricien, qui rapproche le sens et l'enrichit. On a illustré ce chapitre par un tableau illustratif des comparaisons utilisées par le Prophète aux Sahihain de El Bukhari et Muslim.

La conclusion de la recherche est une énumération des résultats auxquels on a abouti ; étant donné que la ressemblance utilisée par le prophète est une figure de la rhétorique, marquée par des spécificités artistiques, qui contribuent à la transmission influente, et son utilisation, permet de découvrir les horizons linguistiques de la langue Arabe et de l'enrichir par les nouveautés et les enchainements artistiques d'expression. Etant donné qu'il est bien, en suivant Sunna du prophète que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui, et afin d'explorer les dessous rhétoriciens qui existent en l'éloquence du Prophète, et les rendre une source de laquelle la langue Arabe puise ses arguments, son charme et sa nouveauté permanente, de considérer cet art comme une méthode didactique Prophétique. Et vu l'importance accordée aux Coran et la poésie, on est

censé d'accorder au Hadith l'importance qu'il mérite, en tant qu'une deuxième source de la pensée Arabo-Musulmane.

# الفهـــارس

# 1- فـــهرس الآيات القرآنية :

| الآيـــــــات | السور | رقم الآية | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| -"اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم" | **الفاتحة** | 07-06 | 259 |
| -" يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون" | **البقرة** | 09 | 121 |
| - " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" | | 17 | 75 |
| - " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت. | | 18-17 | 40 |
| -" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم..." | | 44 | 121 |
| -" لافارض ولا بكر عوان بين ذلك" | | 68 | 78 |
| -"ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق، بما لا يسمع إلا دعاء ونداء" | | 171 | 58 |
| - " ..كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" | | 187 | 186 |
| -" أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول الذين أمنوا معه حتى نصر الله ألا أن نصر الله قريب" | | 214 | 157-158 |
| -"كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة" | | 249 | 76 |
| -" قد تبين الرشد من الغي" | | 256 | 226 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -"وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" | | 260 | 273 |
| -" مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبه أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" | | 261 | 17 |
| - " قالوا إنما البيع مثل الربا" | | 275 | 23 |
| - "وأحل الله البيع وحرم الربا" | | 275 | 23 |
| - "ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم " | آل عمران | 07 | 217 |
| -"لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" | | 92 | 76 |
| - " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها" | | 103 | 240 |
| - "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" | | 110 | 223 |
| | | | |
| -" وخلق الإنسان ضعيفا" | النساء | 28 | 255 |
| - " أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" | | 78 | 124 |
| -" وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما" | | 113 | 96 |
| -" مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" | | 143 | 120.165 |
| - "كلما أوقدوا نارا للحرب أ طفأها الله" | المائدة | 64 | 181 |
| -" إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" | | 90 | 263 |
| -"ما على الرسول إلا البلاغ" | | 99 | 76 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -"هو الذي خلقكم من طين..." | الأنعام | 02 | 127 |
| -" لكل نبأ مستقر" | | 67 | 76 |
| - " وأن هذا صراطي مستقيما " | | 153 | 258 |
| -"قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" | الأعراف | 12 | 127 |
| -" ألا له الخلق و الأمر " | الأعراف | 54 | 77 |
| -" وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربنا" | | 89 | 150 |
| -" فمثله كمثل الكلب" | | 176 | 15-205 |
| -"أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون" | | 179 | 123 |
| -" خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " | | 199 | 77 |
| -" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" | التوبة | 128 | 99 |
| -" وإنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى أخذت الأرض زخرفها و ازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" | يونس | 24 | 38<br>42<br>81 |
| - "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" | | 39 | 78 |
| -" إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل" | هود | 12 | 104 |
| -" أليس الصبح بقريب" | | 81 | 76 |
| -"إن الحسنات يذهبن السيئات" | | 114 | 268 |
| -" الآن حصحص الحق" | يوسف | 51 | 76 |
| -"والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيئ إلا | الرعد | 14 | 34 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه" | | | |
| -"مثل الجنة التي وعد المتقون" | الرعد | 35 | 75 |
| - " أنزل في السماء ماء فسألت أدوية تقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال" | الرعد | 17 | 82 |
| -" ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار" | الرعد | 22 | 268 |
| -"مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في في يوم عاصف" | إبراهيم | 18 | 44 |
| " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء" | إبراهيم | 24 | 84<br>107 |
| - " وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار" | إبراهيم | 26 | 110 |
| -"ذرهم يأكلوا ويتمتعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون" | الحجر | 03 | 256 |
| -" وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" | الحجر | 09 | 258 |
| -" وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس" | النحل | 07 | 242 |
| - " فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون" | النحل | 61 | 254 |
| -"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر، ومما يعرشون،ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس" | النحل | 68<br>69 | 116 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -" إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها" | الإسراء | 07 | 261 |
| -" ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط | الإسراء | 29 | 78 |
| -"ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل، فأبى أكثر ا"لناس إلا كفورا" | الإسراء | 89 | 75 |
| - " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا" | الإسراء | 110 | 78 |
| -" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيئ مقتدرا" | الكهف | 45 | 81<br>142 |
| -"الملل والبنون والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات" | الكهف | 46 | 142 |
| -"فتمثل لها بشرا سويا" | مريم | 17 | 203 |
| -" وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا" | مريم | 25 | 108 |
| -" منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" | طه | 55 | 125<br>153 |
| - " كل نفس ذائقة الموت" | الأنبياء | 35 | 124 |
| "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" | الأنبياء | 107 | 100 |
| - " ذلك بما قدمت يداك" | الحج | 10 | 76 |
| -" يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" | الحج | 73 | 86 |
| - "وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" | النور | 15 | 271 |
| -"الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري | النور | 35 | 44<br>75<br>79 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية" | | | |
| -" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة" | النور | 39 | 75-43 -106 .169 |
| -" كظلمات في بحر لجي" | النور | 40 | 75-80 |
| -" ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور" | النور | 40 | 80 |
| -"و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين قواما" | الفرقان | 67 | 78 |
| -"فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم" | الشعراء | 63 | 58 |
| -" يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم" | الشعراء | 88 89. | 128 |
| -"مثل الذين اتخذوا مندون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا" | العنكبوت | 41 | 87 |
| -"ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل" | الروم | 58 | |
| -"ولقد آتينا لقمان الحكمة" | لقمان | 12 | 215 |
| - " و قليل من عبادي الشكور" | سبأ | 13 | 76 |
| - " إنما يخشى الله من عباده العلماء" | فاطر | 28 | 227 |
| -" ولا يحيق المرء السيئ إلا بأهله" | فاطر | 43 | 76 |
| - " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوها فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون..." | يس | 14-13 | 79 |
| -"وضرب لنا مثلا ونسي خلقه " | يس | 78 | 76 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -"وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون" | الصافات | 49-48 | 43 |
| -"إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين" | الصافات | 65.64 | 30 |
| -" قل تمتع بكفرك قليلا، إنك من أصحاب النار" | الزمر | 08 | 68 |
| "- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون" | الزمر | 27 | 89-75 |
| -" يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" | غافر | 19 | 121 - 239 |
| -"فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون، فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون" | فصلت | 15 16. | 158 |
| -"من عمل صا لحا فلنفسه ومن أساء فعليها " | فصلت | 46 | 261 |
| -"فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين" | الزخرف | 56 | 204 |
| -"وجعلناه مثلا لبني إسرائيل" | الزخرف | 59 | 204 |
| -" وإذا لم يهتدوا به فيقولون هذا إفك قديم" | الأحقاف | 11 | 78 |
| -" ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار" | الفتح | 29 | 112 |
| -" يوم يدعون إلى نار جهنم دعا" | الطور | 13 | 122 |
| -" وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي" | النجم | 4-3 | 114 |
| - " ليس لها من دون الله كاشفة" | النجم | 58 | 76 |
| -"ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" | القمر | 17 | 118 |
| -"يوم يسحبون في النار على وجوههم" | القمر | 48 | 122 |
| -"وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" | الرحمن | 24 | 148 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -" كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" | الرحمن | 26-27 | 1258 |
| -" وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان" | الرحمن | 09 | 76 |
| -"ليخرجكم من الظلمات إلى النور" | الحديد | 09 | 25 |
| -" واعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو و تفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما" | الحديد | 20 | 81 |
| -"وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" | الحشر | 21 | 89 |
| -" كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" | الصف | 03 | 122 |
| -" هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" | الجمعة | 02 | 265 |
| -" مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله" | الجمعة | 05 | -38-15 -123-82 .205 |
| -" قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم" | الجمعة | 08 | -256125 |
| ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون " | القلم | 42 | 122 |
| - "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" | المزمل | 05 | 117 |
| -" بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير و أبقى " | الأعلى | 16-17 | 112 |
| -"أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" | الغاشية | 17 | 242-115 |
| -" وللآخرة خير لك من الأولى" | الضحى | 04 | 135 |
| -" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" | الزلزلة | 07-08 | 261 |

## 2- فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| "الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء" | 15 |
| "أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها" | 25 |
| " إنما مثلي ومثلكم رجل استوقد نارا..." | 15 |
| " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ..." | 101-53 |
| " المرأة كالضلع إذا أقمتها كسرتها وإن استمعت بها استمعت بها وفيها عوج" | 71 |
| " اليد العليا خير من اليـــــد السفلى " | 190-141 |
| " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ..." | 94 |
| " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما، فقال : يا قوم إني رأيت الجيش" | 102 |
| " ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله..." | 128 |
| " إن القرآن كجراب ملأته مسكا ... " | 130 |
| " إذا اشتكى المؤمن، أخلصه ذلك كما يخلص الكير خبث الحديد" | 130-138 |
| " المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها" | 132-133 |
| " ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ..." | 133 |
| " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" | 125 |
| " إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة إنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء ..." | 127 |
| " ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله..." | 128 |
| " الناس معادن" | 129 |
| "إنما مثل القلب كمثل الريشة معلقة...تقلبها الريح..." | 128 |
| " إن هذا المال خضرة حلوة ... | 141 |
| " اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا" | 151 |

| | |
|---|---|
| " ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف..." | 158 |
| " الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها" | 163 |
| " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" | 173-266 |
| " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ..." | 175 |
| " المؤمن مرآة أخيه" | 179 |
| " اليمين الفاجرة تدع الدار بلا قع" | 179 |
| "الحياء نظام الإيمان " | 179 |
| " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" | 11-39 |
| "اشتدي أزمة تنفرجي" | 179 |
| "الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية" | 28 |
| "أعمالكم أعمالكم، وكما تكونوا يولى عليكم" | 179 |
| " أكرموا عمتكم النخلة" | 108 |
| "إياكم خضراء الدمن" | 193 |
| "الدال على الخير كفاعله" | 179 |
| " الأعمال بخواتمها" | 179 |
| "الحرب خدعة" | 179 |
| " الآن حمي الوطيس" | 181-202 |
| " أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا" | 189 |
| "إن سوء الخلق يفسد العمل..." | 233 |
| " إن المؤمن مثل النخلة إن شاورته نفعك..." | 195 |
| "المؤمن هين لين كالجمل الآنف، إن قيد انقاد، وان أنيخ على صخرة استناخ" | 202 |
| "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" | 232 |
| "أمتي كالمطر، لا يدري أوله خير أم آخره" | 202 |
| "الحمى رائد الموت، وسجن الله في الأرض وقطعة من النار" "أكثروا ذكر هادم الذات" | 202 |

| | |
|---|---|
| "إياكم والأسواق فإن الشيطان قد باض فيها وفرخ" | 202 |
| "إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق" | 206 |
| "الغنم بركة الإبل يمن لأهلها،والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ..." | 206 |
| " إن مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء ..." | 206 |
| -"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة...." | 202 |
| "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا..." | 99 |
| - " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه..." | 225 |
| - " أترون هذه طارحة ولدها في النار" قلنا: لا وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: " لله أرحم بعباده من هذه بولدها" | 229 |
| " الناس كالإبل المائة، هل ترى فيها راحلة" | 250-11 |
| " إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه..." | 270 |
| " بئس ما لاحدهم أن يقول نسيت آيةكيت ..." | 117 |
| " تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تقصيا من الإبل في عقلها " | 117-241 |
| " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون فيهم كمقدار ميل..." | 230-229 |
| " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ..." | 149-150 |
| " حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة " | 113 |
| خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، ..." | **253** |
| "رفقا بالقوارير" | 206 |
| " رويدك سوقك بالقوارير" | 48-187-188 |
| "كل الصيد في جوف الفرا" | 201 |
| " لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان..." | 191 |
| "لا تستضيئوا بنار المشركين" | 172 |
| "لا تنتطح فيها عنـــزان" | 202 |

| | |
|---|---|
| " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا" | 202 |
| " ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالعائد في قيئه" | 233 |
| "لا تبتعه ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه" | 233 |
| " لا يحل لأحد أن يعطى عطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولد" | 234 |
| " ليس الخبر كالمعاينة ..." | 235 |
| :" لله أفرح بتوبة العبد من فرح رجل أضل..." | 239 |
| " لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تخلص إلى جلده..." | 262 |
| "لا والله ماأخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله عليكم من زهرة الدنيا..." | 141 |
| "مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع..." | 200-68 |
| "مات حتف أنفه" | 202-201 |
| " ما من مسلم يصيبه أذى –شوكـــة فما فوقها- إلا كفر الله بها سيئاته ..." | 68 |
| "ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحاث ورق الشجر " | 109 |
| " مثل البخيل و المنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد..." | 223 |
| " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا..." | 96 |
| " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ..." | 98 |
| " ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها" | 68 |
| " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن..." | 44-110-153 |
| " مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها بعقلها ..." | 116 |
| " مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين ..." | 165 |
| " مثل المنافق مثل الشاة بين الرعيتين إن جاءت إلى هذه الغنم نطحتها..." | 119 |
| "ومثل المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب أدخلت النار فنفخ عليها فخرجت جيدة.. " | 128 |
| " مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا، ووضعت طيبا..." | 115 |
| " مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فيخرج وله حصاص ..." | 123 |

| | |
|---|---|
| "ومثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا" | 115 |
| " مثل النخلة مثل المؤمن كل ما أتاك منها نفعك" | 163-162 |
| "مثل المؤمن مثل السنبلة تقوم أحيانا وتميل أحيانا..." | 111 |
| " من وقاه الله شر ما بين فكيه ورجليه دخل الجنة" | 192 |
| "من أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار" | 203 |
| " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت" . | 206 |
| "مثل المؤمن مثل النخلة أو النحلة إن شاورته نفعك وإن ماشيته نفعك و إن شاركته " | 116 |
| "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ..." | 246 |
| : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها..." | 221 |
| "مثل الذي يسمع الحكمة ولا يحمل إلا شرها كمثل رجل أتى راعيا..." | 215 |
| " مثل الذي يعجل بالرواح إلى الجمعة كمثل الذي يهدى البدنة..." | 232 |
| " من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خترير ودمه " | 263 |
| " مثل من لعب الميسر ثم قام يصلي..." | 263 |
| " مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكتر الكتر فلا ينفق منه" | 266 |
| " من سئل علما وكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار" | 266 |
| " مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقه قد خنقته" | 268 |
| "من الشجر شجرة كالرجل المؤمن..." | 107 |
| " هل تدرون ما مثل هذه وهذه؟ ورمى بحصاتين، قالوا: الله ورسوله أعلم..." | 258 |
| " هذا سبيل الله مستقيما"هذه السبل ليس منهما سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه" | 258 |
| " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه ..." | 134 |
| "والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري..." | 188 |
| " والذي نفسي بيده، لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل ..." | 118 |
| "وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم" | 179-170 |

| | |
|---|---|
| " فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها" | 213 |
| " والذي نفسي بيده، لله أفرح بتوبة العبد من هذا ببعيره" | 239 |
| "يا أنجشه، رفقا بالقوارير" أو في رواية أخرى :" يا أتجش رويدك سوقك بالقوارير" | 71 |
| " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه... " | 121 |
| "يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع" | 206 |
| " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل ... | 261 |
| "يدخل أهل الجنة الجنة..." | 113 |
| "يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار..." | 170 |
| -"يا خيل الله إركبي" | 179 |

# -فهرس الأبيات الشعرية


| البيت الشعري | البحر العروضي | الصفحة |
|---|---|---|
| **حرف الألف "أ"** | | |
| والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء | الكامل | 14 |
| لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء | الكامل | 13 |
| جزى الله الموالي فيك نصفا وكل صحابة لهم الجزاء | الوافر | 205 |
| بفعلهم فإن خيرا فخيرا وإن شرا كما مثل الحذاء | الوافر | 205 |
| صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وأدمعي كاللألىء | البسيط | 12 |
| **حرف الباء "ب"** | | |
| أنت نجم في رفعـــة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا | الخفيف | 18 |
| عريت من الشباب وكنت غضا كما يعرى من الورق القضيب | الوافر | 28 |
| ألا ليـــت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب | الوافر | 29 |
| فلاتتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب | الطويل | 65 |
| فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلـــى فراشي ويقشب | الطويل | 65 |
| ولست بمستبق أخالا تلمـــه على شعث أي الرجال المهذب | الطويل | 66 |
| لا يعلق العار جبيني إن رميت به نأيت عنه كما لا يصدأ الذهب | البسيط | 129 |
| أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا | الكامل | 215 |
| يمشون تحت ظبا السيوف إلى الردى مشي العطاش إلى برود المشرب | الكامل | 132 |
| كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه | الطويل | 12 |

| | | |
|---|---|---|
| **حرف التاء "ت"** | | |
| إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت | الخفيف | 12 |
| فإذا أشرفت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميت | الخفيف | 12 |
| إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت | الرمل | 14 |
| ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت | الطويل | 70 |
| لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت | الطويل | 70 |
| تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها لجارتها إذا الهديـــــة قلت | الطويل | 70 |
| فدقت وجلت واستبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت | الطويل | 71 |
| كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له نابحـــــــــة | السريع | 124 |
| كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحـــــــة | السريع | 124 |
| نثر الخريف على الثرى أوراقه فتناثرت كتناثر العبرات | الكامل | 109 |
| يتركن أغصانا ألفن عناقها ويقعن على الأرض مكتئبات | الكامل | 109 |
| **حرف الحاء "ح"** | | |
| كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقـــاح | السريع | 11 |
| وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح | الكامل | 22 |

| | | |
|---|---|---|
| **حرف الدال "د"** | | |
| ليـــــل و بدر وغصن شعر ووحه وقـــــــد | مجزوء الرجز | 12 |
| قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد | مجزوء البسيط | 17 |
| يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود | مجزوء البسيط | 17 |
| وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقد | الطويل | 20 |
| وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود | الكامل | 20 |
| لولا أشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود | الكامل | 20 |
| فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي | الطويل | 67 |
| لخولة أطلال ببرقـــــة ثهمـــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليـــد | الطويل | 69 |
| وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولـــــون لا تهلك أسى وتجلـــــد | الطويل | 69 |
| كأن حدود المالكية غدوة خـــــلايا ناسفين بالواصـــــف من دد | الطويل | 69 |
| فما الفرات إذا جاشت غواربـــه ترمي أواذيه العبرين بالزبـــــــد | البسيط | 72 |
| يمده كـــــــل مترع لجـــــب فيه ركام من الينبوت و الخضد | البسيط | 72 |
| يظل من خوفه الملاح معتصمـــا بالخيزرانـــة بعد الأين و النجد | البسيط | 72 |
| يوما بأجـــــود منه سبب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد | البسيط | 72 |
| كالخالص الإبريز لم تجله فجلاؤه فيه وإن صحب الأبـــــد | الكامل | 129 |
| لا يستحيل على الليالي لونه أبى وجوهره شهاب يتـــــــقد | البسيط | 129 |
| إذا قل عقل المرء قلت همومه ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد | السريع | 138 |
| ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البـــــلاد | الوافر | 176 |
| أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد | السريع | 186 |
| ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضـــــد | الطويل | 225 |
| إنما نحن مثل خامة الزرع متى يأن يأت محتصـــده | الخفيف | 112 |
| **حرف الراء "ر"** | | |

| | | |
|---|---|---|
| أغر أبلج تأثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار | الوافر | 11 |
| وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر | الكامل | 13 |
| فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار | الطويل | 14 |
| سيذكرني قومي إذا جدجدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر | الطويل | 19 |
| ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر | الطويل | 22 |
| هذا النجم إلا إنه غير آفل يضئ إذا ما غابت الأنجم الزهر | الطويل | 23 |
| متى ما يجئ يوما إلى المال وارثي يجد مع كف غير ملأى ولا صفر | الطويل | 28 |
| يجد فرسا مثل القناة و صارما حساما إذا ما هز لم يرض بالهدر | الطويل | 28 |
| والرزء يبدي للكريم فضيلة كالمسك ترفع نشره الأفهار | البسيط | 137 |
| إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نورا | الكامل | 138 |
| قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثورا | الكامل | 138 |
| إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر | الطويل | 159 |
| فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير | الطويل | 186 |
| فلو إذ نبا دهر و أنكر صاحب وسلط أعداء وغاب نصير | الطويل | 214 |
| تكون عن الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور | الطويل | 214 |
| وإني لأرجو بعد هذا محمدا لأفضل ما يرجى أخ ووزير | الطويل | 214 |
| صفة الثعلب أدنى جريه وإذا يركض يعفور أشـــــــر | | |

| | | |
|---|---|---|
| **حرف السين "س"** | | |
| يعدو كعدو الثعلب المطور روحه العسا | الرجز | 124 |
| لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمسا | السريع | 127 |
| **حرف العين "ع"** | | |
| كأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتـــــداع | الخفيف | 24 |
| وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع | الطويل | 164 |
| فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرشق في أنيابها السم ناقع | الطويل | 66 |
| **حرف الفاء "ف"** | | |
| ما إن يغيب به الدهاس ولا تزل به الصفا | الكامل | 123 |
| **حرف القاف "ق"** | | |
| وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أرزق | الكامل | 13 |
| ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق | الكامل | 24 |
| رأيت الغانيات نفرن مني نفار الوحش من رام مفيق | الوافر | 28 |
| رأين تغيري و أردن لدنا كغصن البان ذي الفنن الوريق | الوافر | 28 |
| **حرف الكاف "ك"** | | |
| ألم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكـــا | الطويل | 32-16 |
| ولو أنني ما كنت هالكـــا على خصلة من صالحات خصالكا | الطويل | 32-16 |

| حرف اللام "ل" | | |
|---|---|---|
| لا تطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حظ مغزل | الكامل | 18 |
| لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي | الكامل | 20 |
| حسبت جمالها بدرا منيرا وأين البدر من ذاك الجمال | الوافر | 23 |
| كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل | الطويل | 27 |
| غدوتك مولودا وعلتك يافعا تعـــل بما أدني إليك وتنهـــل | الطويل | 66 |
| إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت لشكـــواك إلا ساهـــرا أتململ | الطويل | 66 |
| كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقـــت به دوني وعيني تهمل | الطويل | 66 |
| يخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت حتـــم مؤجل | الطويل | 67 |
| فلما بلغت السن و الغايـــة التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل | الطويل | 67 |
| جعلت جزائي منك جبها وغلظة كأنك أنـــت المنعم المتفضل | الطويل | 67 |
| فليتـــك إذا لم تـــرع حق أبوتي فعلـــت كما الجار المحاور يفعل | الطويل | 67 |
| اصبر على مضض الحسود فإنصـــبرك قاتـــلـــه | الكامل | 37 |
| فالنار تأكل نفســـها إن لم تجـــد ما تأكله | الكامل | 37 |
| ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل | البسيط | 67 |
| غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي كما يمشي الوجي الوحل | البسيط | 69 |
| كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابـــة لا ريث ولا عجل | البسيط | 69 |

| | | |
|---|---|---|
| تسمع للحلي و سواسا إذا انصرفت  كما استعان بريح عشرق زجل | البسيط | 69 |
| ليست كمن يكره الجيران طلعتها  و لا تراها لسر الجار تختتـــل | البسيط | 70-69 |
| إذا تقوم يضوع المسك أصورة  و الزنبق الورد من أدرانها شمـــل | البسيط | 70-69 |
| له أيطلا ظبي و ساقا نعامة  و إرخاء سرحان و تقريب تتفل | الطويل | 32 |
| و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي  بسهميك في أعشار قلب مقتل | الطويل | 36 |
| إذا خلعت على عرض له حللا  و جدتها في أبهى من الحلـــل | البسيط | 137 |
| بذي الغباوة من إنشادها ضرر  كما تضر رياح الورد بالجعـــل | البسيط | 137 |
| وإن حديثا منك لو تبذلينه  جنى النحل في أبكار عوذ مطافل | الطويل | 116 |
| ليث عليه من البردي هبريه  كالمرزباني عيار بأوصـــــال | البسيط | 119 |
| قد صاغه الله من مسك ومن ذهب  وصاغ راحته من عارض هطل | البسيط | 129 |
| ومايك في من عيب فإني  جبان الكلب مهزول الفصيـــل | الوافر | 185 |
| نقل فؤادك حيث شئت من الهوى  فما الحب إلا للحبيب الأول | الكامل | 272 |
| كم مترل في الأرض يألفه الفتى  وحنينه أبدا لأول مترل | الكامل | 272 |

| | | |
|---|---|---|
| **حرف الميم "م"** | | |
| بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه | الطويل | 35 |
| النـــشر مسك و الوجوه دنا نيرو أطراف الأكف عنم | الرجز | 12 |
| وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا منك الصبابة بالمحب المغرم | الكامل | 43 |
| أثنـــــي علـــي بما علمـــت فإنني سمـــــح مخالقتي إذا لم اظلم | الكامل | 73 |
| فإذا ظلمـــت فإن ظلمـــــي باسل مرمذاقته كطعم العلقم وإذا | الكامل | 73 |
| شربـــــت فإننـــي مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم | الكامل | 73 |
| وإذا صحـــوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرم | الكامل | 73 |
| فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما | الطويل | 119 |
| إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم | الطويل | 140 |
| ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم | الطويل | 140 |
| **حرف النون "ن"** | | |
| إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران | الوافر | 28 |
| الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان | الكامل | 185 |
| **حرف الياء "ي"** | | |
| وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا | الطويل | 194 |

# 4- فهرس المصادر و المراجع

**أولا: القرآن الكريم برواية "حفص"** عن عاصم بالرسم العثماني /دار ابن الهيثم/القاهرة.

**ثانيا : المصادر و المراجع العربية.**


-**الإمام أحمد** /مسنده/دار صادر بيروت/دط/دت .

-**الإمام أحمد**/مسنده/مؤسسةالرسالة،بيروت،لبنان/الطبعة الأولى 1421ه2001م.

- **أحمد جمال العمري** / المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها و تطورها حتى القرن السابع الهجري/ مكتبة الخانجي/ القاهرة 1410ه 1990م.

- **أسعد أحمد علي** / تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية / دار الرائد العربي/ بيروت لبنان / الطبعة الأولى 1349ه 1979م.

- **أحمد علي دهمان** / الصورة البلاغية عند عبد القاهر منهجا و تطبيقا/ منشورات وزارة الثقافة / دمشق سورية / الطبعة الثانية 2000م .

- **أحمد الأمين الشنقيطي** / شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها / تحقيق فاتن محمد خليل اللبون / دار إحياء التراث العربي /بيروت لبنان .

- **أحمد مصطفى الطرودي التونسي**/ جامع العبارات في تحقيق الاستعارات / دراسة وتحقيق محمد رمضان الجربى /الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان- الطبعة الأولى 1986م.

- **أحمد الشايب** /الأسلوب ( دراسةبلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ) / مكتبة النهضة المصرية القاهرة/ 2006 م.

- **أحمد حسن الزيات**/وحي الرسالة/دار الثقافة، بيروت،لبنان/ط10/1405ه1985م.

– **البخاري** (**أبو عبد الله محمد**)/ صحيح البخاري /ترقيم و ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي / تقديم أحمد محمد شاكر /دار ابن الهيثم / القاهرة مصر/ الطبعة الأولى 1425ه 2004م.

– **أبي البقاء الكفوي** ( **أيوب بن موسى** )/ الكليات ( معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ) / أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش و محمد المضري / مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية /1419ه 1998م .

– **بدوي طبانة** / البيان العربي /مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة /الطبعة الرابعة.

– **بدوي طبانة** / معجم البلاغة العربية / منشورات جامعة طرابلس / لبنان / الطبعة الأولى 1397ه 1977م .

– **البحتري** / ديوانه /شرح:يوسف الشيخ محمد/دارالكتب العلمية،بيروت/1421ه-2000م.

– **بشار بن برد** / ديوانه /تقديم وتحقيق:صلاح الدين الهواري/دار ومكتبة الهلال/بيروت/1998م.

– **بديع الزمان سعيد النورسي**/ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز/تحقيق إحسان قاسم الصالحي/شركة شوزلر للنشر مصر/الطبعة الرابعة 2004م.

– **بسيوني عبد الفتاح فيود**/ التشويق في الحديث النبوي( طرقه وأغراضه ) / مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى 1993م .

– **بسيوني عبد الفتاح فيود**/دراسات بلاغية/ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع مصر / الطبعة الثانية / 1426ه- 2006م.

– **بول ريكور**/نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى ) / ترجمة:سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء المغرب الطبعة الثانية 2006م.

– **بشير كحيل** /الكناية في البلاغة العربية/ مكتبة الآداب القاهرة / الطبعة الأولى 1425 ه/2004م.

-**بيير جيرو**/علم الدلالة/ترجمة:منذر العياشي/تقديم:مازن الوعر/طلاس للدراسات والترجمة والنشر/الطبعة الأولى 1988.

– **الترمذي** (أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي)/ الأمثال من الكتاب و السنة/ وضع حواشيه و علق عليه سالم مصطفى البدري/ دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان / الطبعة الأولى 1424ه 2003م.

–**الترمذي**(أبو عيسى محمد بن عيسى )/سننه/تحقيق:عبد الرحمن محمد عثمان /دارالفكر، بيروت/المجلد الرابع.

– **التفتازاني** / المطول / شرح و تلخيص المفتاح صححه و علق عليه أحمد عزوز عناية / دار إحياء التراث العربي / بيروت لبنان 1425ه 2004م .

– **أبو تمام** / ديوانه / شرح الأديب شاهين عطية / دار الكتب العلمية، بيروت لبنان/ الطبعة الثالثة/1424ه2003م

– **تامر سلوم** /نظرية اللغة والجمال في النقد العربي /دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا الطبعة الأولى 1983م

– **الثعالبي** (**أبو منصور عبد الملك بن محمدبن إسماعيل**)/التمثيل والمحاضرة /تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو/دار إحياء الكتب العربية القاهرة/ 1381ه 1961م.

– **الجاحظ** ( **أبو عثمان عمرو بن بحر**)/ **الحيوان** / تحقيق عبد السلام هارون/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت لبنان/ الطبعة الثالثة 1388ه 1969م.

– **الجاحظ** /البيان و التبيين /تحقيق عبد السلام هارون /دار الجيل /بيروت لبنان /

– **ابن جني** / الخصائص / تحقيق محمد علي النجار / مصر / دط–دت.

– **جلال الدين السيوطي**/ الإتقان في علوم القرآن / تحقيق عصام فارس الحرستاني / وخرج أحاديثه محمد أبو صعيليك / دار الجيل / بيروت لبنان/ الطبعة الأولى / 1998م .

– **جابرأحمد عصفور / الصورةالفنية في التراث النقدي والبلاغي** /دار الثقافة للطباعة والنشر/القاهرة،1974.

– **ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)** /فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ترقيم و ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي / تعليق عبد العزيز بن باز/اعتنى به محمود بن الجميل / مكتبة الصفا / القاهرة مصر / الطبعة الأولى 1424ه 2003م.

– **حازم القرطاجني** / منهاج البلغاء و سراج الأدباء / تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة/ دار الكتب الشرقية / باريس .

– **حنا الفاخوري** / منتخبات الأدب العربى / المكتبة البولسية / بيروت لبنان / الطبعة الثانية 1968 م.

– **حسن طبل**/ المعنى في البلاغة العربية/دار الفكر العربي القاهرة /الطبعة الأولى1998م.

– **الخليل بن أحمد الفراهيدي** / كتاب العين / دار إحياء التراث العربي / بيرو ت لبنان / الطبعة الأولى / 1421ه 2001م .

– **الخطيب القزويني ( جلال الدين أبو عبد الله محمد )** / الإيضاح في علوم البلاغة /دار الجيل / بيروت لبنان .

– **خالد ناصر المعيلي**/ أمثال القرآن الكريم ( التأويل فيما ورد في التنزيل من تمثيل) / الكويت/ الطبعة الأولى1988م

–**أبي داود**/سننه/الدار المصرية اللبنانية،القاهرة/1408ه-1988

– **ابن رشيق القيرواني ( أبي علي الحسن )**/ العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الجيل/ بيروت لبنان / الطبعة الخامسة /1401ه 1981م .

–**الرماني(أبو الحسن بن عيسى بن علي)**/(النكت(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:الرماني، الخطابي، الجرجاني)/تحقيق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف،مصر/ط2، 1968.

– **الرامهرمزي ( أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد )**/ كتاب أمثال الحديث / علق عليه أحمد عبد الفتاح تمام /مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت لبنان / الطبعة الأولى / 1409ه 1988م .

– **رئيف خوري** / التعريف في الأدب العربي / مطبعة الجبل / لبنان / 1963م .

– **رجاء عيد**/فلسفةالبلاغةبين التقنيةوالتطور/منشأة المعارف،الإسكندرية/ 1997

– **الزمخشري** / الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل/ دار الفكر / بيروت، لبنان/الطبعة الأولى/1397ه،1977م.

– **الزمخشري** / أساس البلاغة / دار إحياء التراث العربي / بيروت لبنان /الطبعة الأولى / 1422ه 2001م .

– **الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)**/ البرهان في علوم القرآن/تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم /دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة/الطبعة الثالثة1400ه1980م.

– **الزوزني** /شرح المعلقات السبع/ مكتبة المعارف بيروت /1983م.

– **سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان )** /الكتاب/ تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي / القاهرة / الطبعة الثالثة / 1988 م.

– **السكاكي** / مفتاح العلوم / ضبطه و علق عليه نعيم زرزور / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان .دط–دت.

– **ابن سنان الخفاجي ( أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد )** / سر الفصاحة / تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان / مؤسسة العليا عابدين / الطبعة الأولى /2001م .

– **سعد الدين التفتازاني** /شروح التلخيص/ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان/دط–دت.

– **سيد قطب** / في ظلال القرآن / دار الشروق / الطبعة السادسة عشر/ 1990م .

– **سمير أبو حمدان** /الإبلاغية في البلاغة العربية /منشورات عويدات الدولية / بيروت لبنان / الطبعة الأولى /1991م .

– **السيد أحمد الهاشمي** / جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع / مكتبة دار الباز دار الكتب العلمية / بيروت لبنان/ دط–دت.

– **السيد الجميلي**/ البلاغة القرآنية المختارة من الإتقان ومعترك الأقران للسيوطي دار المعرفة للنشر والتوزيع القاهرة 1413ه –1993م.

– **سعد أبو الرضا**/في البنية والدلالة( رؤية في نظام العلاقات في البلاغة العربية ) منشأة المعارف الأسكندرية.

– **سعد سليمان حمودة** /البلاغة العربية–دار المعرفة الجامعية مصر 2007م.

– **سعيد عبد العزيز مصلوح**/ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية / عالم الكتب القاهرة / الطبعة الأولى 2006 م.

– **الشريف الرضي ( أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى)**/ المجازات النبوية / تعليق كريم سيد محمد محمود / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / الطبعة الأولى /1428 ه 2007م .

– **أبو الشيخ الأصبهاني**/كتاب الأمثال في الحديث النبوي / تحقيق و تعليق عبد العلي عبد الحميد حامد / الدار السلفية / بومباي الهند/ الطبعة الثانية / 1408ه 1987م.

– **شفيع السيد** / التعبير البياني ( رؤية بلاغية نقدية )/ دار الفكر العربي/ القاهرة مصر / دط–دت

– **شفيع السيد**/فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو/دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2006م.

– **شوقي ضيف** / البلاغة تطور و تاريخ / دار المعارف مصر / الطبعة الثانية/دت.(والطبعة السادسة1983م).

– **صبحي البستاني** /الصورة الشعرية في الكتابة الفنية – دار الفكر اللبناني–الطبعة الأولى 1986م.

– **ضياء الدين بن الأثير** / المثل السائر / قدمه و علق عليه أحمد الحوفي و بدوي طبانة / نهضة مصر للطباعة و النشر والتوزيع / دط–دت.

– **طه عبد الرحمن**/ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي/ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب/الطبعة الثانية 2006م.

– **طارق سعد شلبي** / بلاغة الصورة القرآنية الجماليات و التجليات / دار البراق / القاهرة مصر /دط–

–**ابن عبد ربه** /العقد الفريد /دار الكتاب العربي–بيروت1983م.

– **العيني** (**بدر الدين محمد بن أحمد** ) / عمدة القارئ شرح صحيح البخاري /دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى1421ه2001م

– **عبد القاهر الجرجاني** / أسرار البلاغة / صححه محمد عبدو و علق عليه محمد رشيد رضا / دار المعرفة بيروت لبنان /دط–دت.

– **عبد القاهر الجرجاني** /دلائل الإعجاز / تقديم محمود محمد شاكر/ مكتبة الخانجي للطباعة و النشر / القاهرة / الطبعة الثالثة / 1413ه 1992م .

– **العقاد** / عبقرية محمد / مراجعة بشير كاشه الفرحي / دار رحاب للنشر و الفنون المطبعية / الجزائر .

– **عز الدين علي السيد** / الحديث النبوي من الوجهة البلاغية / دار إقرأ /الطبعة الثانية / 1406ه 1986م .

– **عبد المجيد قطامش** / الأمثال العربية ( دراسة تاريخية تحليلية) دار الفكر / دمشق/ دط–دت .

– **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني** / البلاغة العربية أسسها و فنونها / دار القلم / دمشق / الطبعة الأولى 1997م .

– **عبد الفتاح لاشين**/ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر / دار المريخ للنشر /السعودية/1980/دط

– **عبد الباري طه سعيد**/ أثر التشبيه في تصوير المعنى ( قراءة في صحيح مسلم ) القاهرة الطبعة الأولى 1412ه 1992 م.

– **عبد العزيز عتيق** / في تاريخ البلاغة العربية / دار النهضة العربية للطباعة و النشر / بيروت لبنان / دط–دت .

– **عبد العزيز عتيق** /علم البيان/دار النهضة العربية،بيروت/1405ه 1985م.

– **عبد القادر حسين** / اثر النحاة في البحث البلاغي / دار نهضة مصر للطبع والنشر/ القاهرة 1975م .

– **عبد الإله سليم** / بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية دار توبقال للنشر–الدار البيضاء– المغرب الطبعة الأولى 2001م.

– **عبد التواب مرسي حسن الأكرت**/ظواهر لغوية في الأمثال العربية ( دراسة في المستقصى للزمخشري /شركة ناس للطباعة والنشر مصر/ الطبعة الأولى/ 1425 ه 2004م .

– **عائض بن عبد الله القرني**/ثلاثون سببا للسعادة /دار ابن حزم / الطبعة الأولى،1996م.

– **علاء نور الدين** /عبد القاهر الجرجاني **في** قراءات البلاغيين المحدثين/منشأة المعارف **الإسكندرية 2007م.**

– **عمار ساسي** /المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم/عالم الكتب الحديث إربد الأردن/الطبعة الأولى 2007م.

– **عبد السلام المسدي**/ الأسلوبية والأسلوب/دارسعاد الصباح الكويت/ الطبعة الرابعة1993م.

–**عشتار داود محمد**/الإشارة الجمالية في المثل القرآني/منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2005.

–**عبد الرحمن حجازي**/البلاغة والتأويل( الصورة التشبيهية في شعر المؤيد في الدين الشيرازي)/ المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة/2008.

– **فوزي السيد عبد ربه عيد** / المقايس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين / دار الثقافة للنشر و التوزيع/ القاهرة مصر / 1983م/ دط .

– **فالح حمد أحمد الحمداني** / الصورة البيانية في الحديث النبوي/مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع عمان،الأردن/ الطبعة الأولى2001.

– **ابن فارس** ( **أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا**)/ معجم مقاييس اللغة /اعتنى به محمد عوض مرعب و فاطمة محمد أصلان / دار إحياء التراث العربي / بيروت لبنان / الطبعة الأولى / 1422ه 2001م .

– **ابن فارس** / الصاحبي (في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها) / تعليق أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / الطبعة الأولى / 1418ه 1997م .

– **فضل حسن عباس** /البلاغة فنونها و أفنانها (علم البيان و البديع) / دار النفائس / عمان الأردن / الطبعة الثانية عشر / 1429ه 2009م .

– **أبو فراس الحمداني** / ديوانه / شرح يوسف شكري فرحات /دار الجيل / بيروت.

–الفيروزأبادي/القاموس المحيط/القاهرة/1982م.

– **فايز القرعان**/ تقنيات الخطاب البلاغي (دراسة نصية) /عالم الكتب إربد الأردن 1425 ه 2004 م.

–**فايز القرعان**/التقابل والتماثل في القرآن الكريم(دراسة أسلوبية)/عالم الكتب الحديث، إربد الأردن /الطبعة الأولى2006م.

– **قدامة بن جعفر** / نقد الشعر / تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان /دط–دت.

–**ابن قتيبة(أبي محمد عبد الله بن مسلم)**/الشعر والشعراء(أو طبقات الشعراء)/ دار صادر بيروت/ ( وطبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل،سنة1902).

– **ابن كثير** /(عماد الدين أبي الفداء إسماعيل)/اعتنى به محمدأنس مصطفى الخن/مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى1421ه2001م.

–**مسلم بن الحجاج(أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري )**/ صحيحه/ دار ابن حزم،بيروت، لبنان/الطبعة الأولى1423ه–2002م.

– **مسلم بن الحجاج** / صحيحه /ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي / بيروت /الطبعة الثانية 1972م.

– **ابن المعتز** /ديوانه / تحقيق يونس أحمد الساحراني / عالم الكتب / بيروت 1997م.

– **الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد )**/ مجمع الأمثال/دار الكتب العلمية،بيروت لبنان/ تقديم وتعليق : نعيم حسين زرزور

– **محمد أبي بكر الرازي** /مختار الصحاح/ ضبط و تخريج تعليق مصطفى ديب البغا /دار الهدى /عين مليلة الجزائر.

– **ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)** / لسان العرب / دار صادر بيروت / دط–دت.

– **محمد فؤاد عبد الباقي** / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ دار الحديث / القاهرة / الطبعة الأولى / 1417ه 1996م .

– **المنذري (أبو محمد زكي الدين عبد العظيم)**/ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف/تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد/دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر1987م.

– **محمد ناصر الدين الألباني**/صحيح سنن أبي داود/مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض /الطبعة الأولى1419ه-1998م.

– **ابن ماجة**(أبي عبد اللهم محمد بن يزيد القزويني)/سننه/تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي/دار إحياء التراث العربي/1395ه1975م.

– **محمد الصغير بناني** / النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين / دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع / بيروت لبنان / الطبعة الأولى/1986م .

– **محمد رجب البيومي** / البيان النبوي / دار الوفاء للطباعة و النشر / المنصورة مصر / الطبعة الأولى / 1407ه 1987م .

– **محمد بن لطفي الصباغ** / التصوير النبوي في الحديث النبوي / المكتب الإسلامي/ بيروت لبنان / الطبعة الأولى / 1403ه 1983 م .

– **المتنبي** / ديوانه /دار صادر بيروت لبنان/الطبعة الثانية 2005م.

– **محمد بكر إسماعيل** / الأمثال القرآنية (دراسة تحليلية) / دار المنار / القاهرة /الطبعة الأولى / 2000 .

– **محمد السيد شيخون** / نظرات في التمثيل البلاغي / مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة / الطبعة الأولى /دط-دت .

– **محمد قطب عبد العال** / من جماليات التصوير في القرآن الكريم / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة 2006 .

– **محمد عبد العزيز الخولي**/ الأدب النبوي/دار القلم /بيروت، لبنان /الطبعة الأولى/دت.

– **محمد محمد أبو موسى**/التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) /مكتبة وهبة القاهرة /الطبعة السادسة 2006م .

–**مصطفى صادق الرافعي**:إعجاز القرآن والبلاغة النبوية دار رحاب الجزائر، دط،دت .

– **مصطفى ناصف**/نظرية المعنى في النقد العربي /دار الأندلس بيروت، لبنان.

– **محمد رضا مروة**/ الصعاليك في العصر الجاهلي(أخبارهم وأشعارهم)/دار الكتب العلمية بيروت لبنان.دط/دت .

–**مصطفى الصاوي الجويني**/البلاغة العربية،تأصيل وتجديد/منشأةالمعارف بالإسكندرية،دط/دت.

– **محمد التونجي**/ المعجم المفصل في علوم اللغة/ مراجعة إميل يعقوب/دار الكتب العلمية بيروت لبنان/الطبعة الأولى 1993م.

–**محمدعلي سلطاني**/البلاغةالعربيةفي فنونها/ مطبعة زيدبن ثابت/دمشق/1980م.

– **محمد بركات حمدي أبو علي**/البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق/دار وائل للنشر والتوزيع عمان الأردن /الطبعة الأولى/ 2003 م.

– **محمد عبد المطلب**/قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني/ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان الطبعة الأولى1995م.

–**محمد سليمان عبدالله الأشقر**/معجم علوم اللغة العربية/مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان/ الطبعة الأولى/1422ه 2001 م.

–**محمد برادة/ محمد مندور وتنظير النقد العربي/دار الآداب،بيروت/الطبعة الأولى/1979**.

– **النووي** / صحيح مسلم بشرح النووي / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / 1401ه1981م/ دط .

–**النووي**/صحيح مسلم بشرح النووي/تحقيق:خليل مأمون شبحا/ دار المعرفة،بيروت، لبنان/الطبعة الرابعة/1418ه 1917م.

– **أبو هلال العسكري**/ الصناعتين/تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم/منشورات المكتبة العصرية/صيدا بيروت/1986.

– **أبو هلال العسكري**/ جمهرة الأمثال/تحقيق:محمدأبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش/المؤسسة العربية الحديثة القاهرة/ الطبعة الأولى1384ه1964م

– **يحي بن حمزة العلوي**/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ مطبعة المقتطف/ مصر/1914.

– **يوسف أبو العدوس** /التشبيه والإستعارة (منظور مستأنف) / دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة / عمان الأردن / الطبعة الأولى 1427ه 2007 م

**ثالثا: الرسائل الجامعية:**

– أمثال القرآن/فيصل فاضل السامرائي/أطروحة ماجستير،جامعة الأزهر/كلية أصول الدين، 1395ه،1975م.

–التعبير الإستعاري في الربع الأخير من القرآن الكريم/دراسة بلاغية أسلوبية/زينب دوادي/أطروحة ماجستير /معهد اللغة العربية وآدابها،جامعة باتنة، 2002-2003م.

## رابعا: الدوريات:

– صلاح رزق/مفهوم الحال والمقتضى في ضوء نظريات الخطاب والتلقي/دورية المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي/جامعة عين شمس–القاهرة/2006م.

- أحمد مطلوب/ تيسير البلاغة / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،المجلد الثالث والسبعون/1419ه1998م.

– نعيم علوية، الحقيقة والمجاز بحساب الطاقة،مجلة الفكر العربي، العدد السادس والأربعون، معهد الإنماء العربي،بيروت،1987.

**خامسا: المراجع الأجنبية:**

- Marc bonhomme/les figures clés du discours/editions Du seuil/paris/1998

**سادسا: المواقع الإلكترونية:**

- سالم مرعي الهدروسي/المثل ومايجري مجراه من الأشكال التعبيرية في كتب الأمثال القديمة عند العرب/الأردن/uqu.edu.sa/page/ar/126595

- محمد سالم سعد الله/رؤية لنظم علاقات البيان عند الجرجاني/رابطة أدباء الشام.www.google.

-علي ميرلوحي فلاورجاني/بلاغة التشبيه في القرآن الكريم/مجلة التراث العربي/دمشق/العدد54/1994.

http://awu-dam.org/trath/54/turath54-002.htm

# فهرس الموضوعات


-مقدمة.

**-الفصل الأول :**

**-تعريف التشبيه و التمثيل و عرض الجهود البلاغية حولهما.**

-تعريف التشبيه والتمثيل : لغة و اصطلاحا .....08

-العرض التاريخي لجهود و آراء الدارسين :.....26

أ -القدامى .....27

ب -المحدثون.....46

-عرض آراء موجزة لبعض أعلام البلاغة العربية في التشبيه والتمثيل .....58

-التشبيه التمثيلي في الشعر الجاهلي .....64

-التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم .....75

**-الفصل الثاني :**

**-الخصائص الفنية للتشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف**

-تمهيد.....92

-1- الإنتقاء اللفظي المناسب للمعاني.....94

-2- التشويق .....101

3- توظيف الطبيعة بنوعيها: .....106

أ- الطبيعة الحية (النبات و الحيوان).....107

ب- الطبيعة الجامدة.....126

4- الإيجاز .....132

5- الإيضاح .....136

5 -التوكيد .....140

-**الفصل الثالث** :

-**علاقات التمثيل في الحديث النبوي الشريف.**

-تمهيد .....147

-التمثيل و علاقته بالتشبيه .....148

-التمثيل و علاقته بالإستعارة .....164

-التمثيل و علاقته بالكناية .....184

-التمثيل و علاقته بالمثل .....198

-التمثيل و علاقته بالتركيب النحوي .....208

-**الفصل الرابع** :

-**أسرار و جماليات التمثيل في الحديث النبوي الشريف.**

-1- الأسرار النفسية :.....220

أ -توظيف التقابل والتضاد.....221

ب-توظيف الترغيب و الترهيب.....229

2- الجماليات البلاغية للتمثيل النبوي :.....238

أ -مطابقة التمثيلات لمقتضى الحال .....238

ب قوة التلاؤم بين طرفي الصورة .....246

ج -إتخاذ الرسم الهندسي وسيلة من و سائل التصوير .....253

د -التناسق بين الفعل و ثوابه أو عقابه .....261

ه -تصوير المعنويات المجردة بالمحسوسات المصورة ..... 265

-جدول توضيحي لأهم التمثيلات النبوية المجردة و الحسية.....275

-الخاتمة.....283

-الملخص باللغة العربية.....288

-الملخص باللغة الفرنسية.....290

-فهرس الآيات القرآنية.....296
-فهرس الأحاديث النبوية.....302
-فهرس الأبيات الشعرية.....310
-فهرس المصادر والمراجع.....319
-فهرس الموضوعات.....333.